الأزهر

الشيشان

بين المحنة وواجب المسلمين

تأليف

مصطفى دسوقي كسبه

رئيس التحرير

د/ علي أحمد الخطيب

هدية مجلة الأزهر لشهر ذي القعدة ١٤١٥هـ

الأزهر

الشيشان

بين المحنة وواجب المسلمين

تأليف

مصطفى دسوقي كسبه

رئيس التحرير

د/ علي أحمد الخطيب

هدية مجلة الأزهر لشهر ذي القعدة/١٤١٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

عقب فشل الانقلاب العسكرى ضد الرئيس جورباتشوف فى الاتحاد السوفيتى أدرك «الجنرال» جوهر داوديف بحسه العسكرى أن الاتحاد السوفيتى سينهار ، لذا قدم استقالته من الجيش وعاد إلى مسقط رأسه فى الشيشان ليجسد حلم الشعب الشيشانى فى الاستقلال وتكوين جمهورية شمال القوقاز ، التى حلم بها الشعب الشيشانى وسعى لها ، وتجلى ذلك فى وقف الزحف الروسى على القوقاز الذى بدأه الشيخ منصور الشيشانى ، وتجدد من خلال حركة المريدية الصوفية الإسلامية والتى قادها الشيخ غازى ملا ، والشيخ حمزة ، والشيخ شامل .

وأعلن الجنرال داوديف استقلال جمهورية الشيشان فى عام ١٩٩١ م ، عن جمهورية روسيا الاتحادية . ولكنها لم توافق عليه ، ولم تقره . كما رفض الانضمام للاتحاد الروسى الفيدرالى ، وكان بذلك يعبر عن إرادة الشعب الشيشانى الذى انتخبه فى انتخابات ديمقراطية بـ ٨٠٪ من الأصوات ، وسبق ذلك انتخابات برلمانية . ولكن روسيا كانت مشغولة بآثار الانقلاب العسكرى ثم تلا ذلك أحداث البرلمان بقيادة شيشانى آخر «روسلان حسب اللاتوف». وفى نفس الوقت نجد أن جمهورية أخرى مثل تتارستان ، وهى جمهورية ذات حكم ذاتى تقع فى حوض نهر الفولجا ذات

أغلبية إسلامية طالبت بالاستقلال والسيطرة على عوائد مواردها الاقتصادية فلبى لها يلتسين ذلك فى إطار الفيدرالية الروسية .

لماذا تعامل يلتسين مع تتارستان بمعاملة ورفض نفس المعاملة مع الشيشان ؟ واستخدم القوة العسكرية ؟

هذا السؤال يحتاج إلى إجابة . وما يتعلق بالشيشان من كتابات نادر جداً لذا تم عمل هذه الدراسة لمحاولة الإجابة عن هذا السؤال .

فالوضع مختلف فى الشيشان لما تمثله من أهمية جيواستراتيجية ، وثقافية وحضارية واقتصادية فهى تقع على السفوح الشمالية لجبال القوقاز . وجبال القوقاز هى الحد الفاصل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية .

ولمد القارىء الكريم بالأحداث وتطورها (منذ إعلان الاستقلال وحتى آخر شهر فبراير ١٩٩٥م) وأثرها على القوى السياسية الداخلية والخارجية ، ووسائل الإعلام الروسية والغربية ، هذا فضلًا عن البعد القانونى للمشكلة فى إطار القانون الدولى . وحتى يكون التحليل سليماً مُهد لذلك بملامح الوضع الدولى الراهن ، والتوجهات السياسية فى روسيا وأهم المعطيات الجغرافية والتاريخية والثقافية لمسلمى آسيا الوسطى والقوقاز عن هذا كله خصص الفصل السادس من الدراسة .

أما عن تفاصيل توزيع المسلمين فى روسيا الاتحادية ، والقوقاز فخصص الفصلان التمهيدى والأول . وعن تفاصيل تطورات العلاقة التاريخية بين الشيشان وروسيا فى عهودهما المختلفة القيصرية ،

والشيوعية ، وحالياً تُخصص الفصل الثالث والرابع والخامس .
وعن دخول الإسلام فى القوقاز والشيشان خصص الفصل الثانى .
ونظراً لأن المراجع عن القوقاز والشيشان نادرة جداً لذا اعتمدنا على ما توفر لنا من مراجع وهو قليل وأهمها : احتلال الروس للقفقاس لجون بادلى ، وقتلة الأمم لروبرت كونكوست ، وتولى تعريبهما د. طه سلطان مراد . ثم على ما ورد فى الصحف وهو كثير إلا أن الذى يعتمد عليه علمياً قليل ، ومن أمثلة ذلك ما كتبه د. أحمد موسى الشيشانى ، د. محمد حرب ، وحوار «جيرينوفسكى» . وفى «الحياة والمسلمون والشرق الأوسط ، والأهرام ، والأحرار» كانت المعالجات على قدر كبير من العلمية .

وكذلك بعض ما كتبه مراسلو الصحف مثل ، عبد الملك خليل ، د. نبيل رشوان .

هذا بالإضافة إلى بعض الندوات المشار إليها ، والتى شارك فيها صاحب الدراسة ، ويضاف إلى ذلك لقاءات تمت مع السفير اسرافيلوف وكيلوف سفير آذربيجان ، وطلبة الشيشان بالأزهر ، وما سمعته من أستاذى الدكتور جعفر عبدالسلام عن زيارته لتلك المناطق ، والذى تعلمت منه منهجية التعامل مع قضايا العالم الإسلامى المتعددة الأبعاد (جغرافياً ، وتاريخياً ، واقتصادياً ، وسياسياً) .

وأتوجه بالشكر لكل من الأخوة الكرام الأساتذة الدكتور سمير بيومى مراد ، والدكتور على جمعة ، والدكتور سيف عبدالفتاح على إمدادى ببعض ما نشر عن الشيشان ، وأسرة تحرير مجلة الأزهر .

ولا أنسى توجيه الشكر إلى العلامة على الخطيب ذلك النموذج الفريد من جيل العمالقة من علماء الأزهر علماً وتواضعاً وزهداً ، والذى شهدت مجلة الأزهر فى عهده أزهى عصورها كما قال العلامة المرحوم عبدالجليل شلبى على اهتمامه بهذه الدراسة والعمل على نشرها .

والله ولى التوفيق

المؤلف

مصطفى دسوق كسبه

فصل تمهيدى

التوزيع الجغرافى للمسلمين فى «روسيا» و «شمال القوقاز»

المبحث الأول : التوزيع الجغرافى للمسلمين فى «الاتحاد السوفيتى» سابقا

المبحث الثانى : التوزيع الجغرافى للمسلمين فى جمهورية «روسيا الاتحادية»

المبحث الثالث : التوزيع الجغرافى للمسلمين فى «شمال القوقاز»

المبحث الأول

التوزيع الجغرافى فى الاتحاد السوفيتى «سابقا»

يكون المسلمون ٢٠٪ من مجموع سكان الاتحاد السوفيتى (سابقا)، إذ يبلغ عددهم ٥٦ مليون وفقا لإحصاء ١٩٩١م ويتركز معظم هؤلاء المسلمين (٤٠ مليونا) فى إقليمى «تركستان» و«القوقاز» فى ست جمهوريات اتحادية والباقى فى مناطق متفرقة من روسيا الاتحادية[1].

الأول : إقليم تركستان :

تركستان الروسية أو جمهوريات وسط آسيا وهى : خمس جمهوريات اتحادية من خمس عشرة جمهورية تكون الاتحاد السوفيتى وهى : «كازاخستان»، «أوزبكستان» و«وتركمانستان»، و«قيرغيزستان»، «وطاجيكستان»، وتقع إلى شرق بحر قزوين وتبلغ مساحتها ٤٩٠,٠٠٠ كم² وتضم ٦٤,٨٪ من مجموع المسلمين فى الاتحاد السوفيتى.

---

(١) د. محمد صبحى عبدالحكيم، «الجمهوريات الإسلامية عبر الحاضر للمستقبل» «مجلة شمس الإسلام»، مايو ١٩٩٣م. وهناك تقديرات أخرى ترى أن عدد المسلمين يتراوح بين ٦٠ ــ ٧٠ مليون نسمة.

الثانى : إقليم القوقاز :

ويشمل جمهورية «أذربيجان الاتحادية» وجمهوريات وأقاليم ذات استقلال ذاتى فى جمهوريتى «أرمينيا» و «وجورجيا» ، والجمهوريات المستقلة ذاتياً فى روسيا الاتحادية ، وتقع جميعاً عبر مرتفعات القوقاز ، وتبلغ مساحة الأراضى التى يشغلها المسلمون ٣٨٩,٠٠٠كم٢ وتضم ٢٠,٣٪ من مجموع المسلمين فى الاتحاد السوفيتى[٢] .

الثالث : جمهورية روسيا الاتحادية :

إلى جانب الإقليمين السابقين ينتشر المسلمون فى مناطق متعددة من جمهورية روسيا الاتحادية ، فهناك المسلمون فى وادى الفولجا الأوسط فى : (بشكيريا وتتاريا ، والشوفاش) وعند مصب «نهر الفولجا» يصعب تحديد مساحتها بدقة وتبلغ تقريبا ١,٢ مليون كم٢ ، وتضم ١٤,٩٪ من مجموع المسلمين فى الاتحاد السوفيتى[٣] .

الإطار القانونى للتوزيع الإدارى لجمهوريات ومناطق الاتحاد السوفيتى (سابقاً)[٤] :

---

(٢) د . محمد طه أبو العلا ، «المسلمون فى الاتحاد السوفيتى»(سابقا) دراسة اجتماعية اقتصادية ، سياسية ، ط الأولى ١٩٩٣ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص ٨ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٩ .

(٤) انظر : د. عبدالرحمن حميدة ، جغرافية أوروبا الشرقية ، والاتحاد السوفيتى ، الطبعة الأولى : ذمشق دار الفكر للتوزيع والنشر ١٤٠٥هـ ١٩٨٤ م ص ٢٥٤ .

طبقاً لدتسور ٧ أكتوبر عام ١٩٧٧ م ـ المادة (٧٠) ـ بتأليف اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية من ١٥ جمهورية اتحادية ، ومن ٣٨ مجموعة قومية ذات استقلال ذاتى .

ـ الجمهورية الاتحادية :

هى دولة اشتراكية ذات سيادة ولها دستورها الخاص المطابق لدستور اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، والذى يأخذ بعين الاعتبار الخصائص القومية والاقتصادية والأخرى لكل جمهورية .

ولكل جمهورية اتحادية مجلس سوفيتها ومجلس رئاسة أعلى ومجلس وزراء ، ومحكمة عليا ، وعاصمتها وعلمها ونشيدها القومى .

ـ الجمهورية ذات الاستقلال الذاتى :

هى وحدة قومية وسياسية تؤلف جزءاً من الجمهورية . ولها أيضاً دستورها الذى يعبر عن أصالتها .

ـ المنطقة ذات الاستقلال الذاتي :

وحدة قومية وأرضية ، تتمتع باستقلال إدارى ذاتى ينطبق على التركيب القومى لسكانها وملامحها المميزة .

ـ الناحية المستقلة ذاتيا :

وهى وحدة قومية وأرضية تتميز بتكوينها القومى ، وبنمط حياتها وكذلك بسكانها القليلى العدد نسبيا .

الجمهوريات الاتحادية ذات الأغلبية المسلمة فى «الاتحاد السوفيتى سابقا»

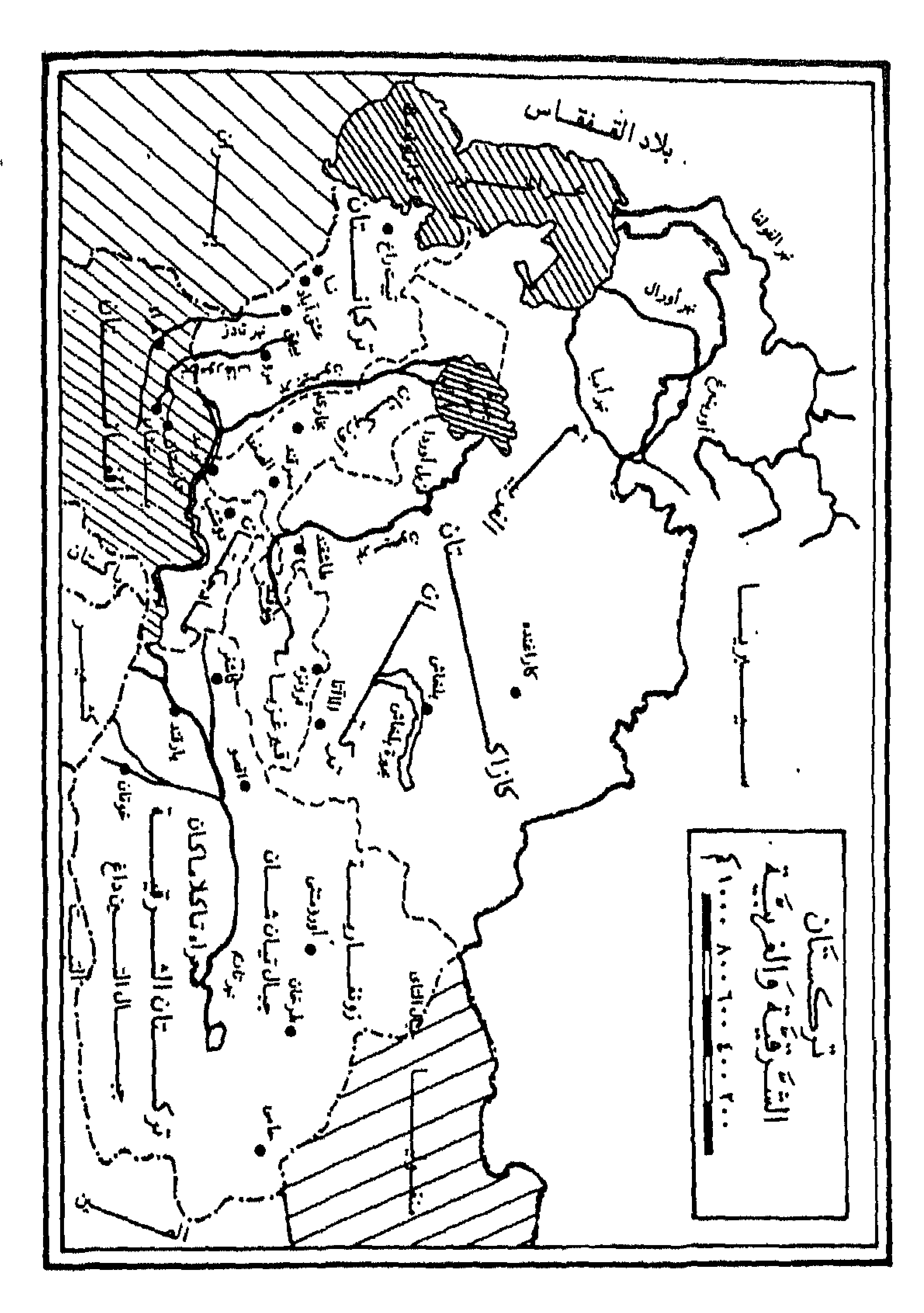
الدولة	العاصمة	المساحة ألف كيلوم٢	المساحة ٪	عدد السكان المليون(١)	الكثافة نسمة/كم	تاريخ غزوها	تاريخ تأسيسها
آذربيجان	باكو	٨٦,٦٠٠	٢,١	٧,٢٢	٨٣,٤	١٩٢٠	١٩٣٦
أوزبكستان	طشقند	٤٠٨,٩٨٠	١٠,١	٢٠,٩٦	٥١,٣	١٨٧٣	١٩٢٤
تركمانستان	عشق آباد	٤٨٨,١٠٠	١٢,١	٣,٧٥	٧,٧	١٨٧٣	١٩٢٥
قاذاخستان	دونسية	١٤٣,١٠٠	٣,٥	٥,٤٢	٣٧,٩	١٨٧٣	١٩٢٩
طاجيكستان	آلما آتا	٢,٧١٧,٣٠	٦٧,٣	١٦,٩	٦,٢	١٨٦٦	١٩٣٦
فرغيرستان	فرونزى	١٩٦,٨٤٠	٤,٩	٤,٤٩	٢٢,٨	١٨٨٦	١٩٣٦

(١) عدد السكان طبقا لاحصاءات الأمم المتحدة ١٩٩١م

المصدر : د. محمد على البار ، المسلمون الاتحاد السوفيتى عبر التاريخ

ـ الجزء الأول ، جدة ، دار الشروق ١٩٨٣م ص٧٢

ـ د. معين أحمد رجب ، «التطورات السكانية فى آسيا الوسطى فى عضون الثمانينات والتسعينيات ، مؤتمر المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز جامعة الأزهر ـ المجلد الأول ، ص ١٢٦ .



المصدر: د. محمد علي البار، المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، جدة، دار الشروق، ص ٣٢٠

المبحث الثانى
التوزيع الجغرافى للمسلمين فى جمهورية روسيا الاتحادية

إلى جانب الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى (أوزبكستان ، قازاخستان ، طاجيكستان فيرغيزيا ، تركمانستان) ، والقوقاز (آذريبجان) ـ تضم جمهورية روسيا الاتحادية ۲۰ مليون مسلم[٥] .

ويمكن تقسيم المسلمين فى روسيا الاتحادية طبقا للنظام الإدارى للاتحاد الروسى إلى مايلى :

أولا : جمهوريات مستقلة ذات حكم ذاتى وهى :

ا ـ فى حوض الفولجا :

١ ـ جمهورية تتاريا (تتارستان) .

٢ ـ جمهورية بشكيربا (بشكيرستان) .

٣ ـ جمهورية الشوفاش (الجوفاش) .

٤ ـ جمهورية موردوف .

٥ ـ جمهورية مارى .

---

(٥) انظر : عبدالواحد نيازوف (مدير المركز الثقافى الإسلامى فى موسكو) ، يرى أن عدد المسلمين يصل ١٧٪ من عدد السكان فى روسيا الاتحادية البالغ ١٥٠ مليون نسمة ، بينما السلطات الروسية ترى أن العدد لا يزيد على ٢٠ مليون ، المسلمون ١٩٩٤/٧/٢٩ .

٦ ـ جمهورية أودموزيتا

٧ ـ جمهورية أورنبرج (شكالوف) .

ب ـ في شمال القوقاز :

١ ـ جمهورية القبارطارى (الكباردين) ـ البلقار (البلكار) .

٢ ـ جمهورية داغستان .

٣ ـ جمهورية الشيشان ـ الأنجوش .

٣ ـ جمهورية أوسيتيا الشمالية .

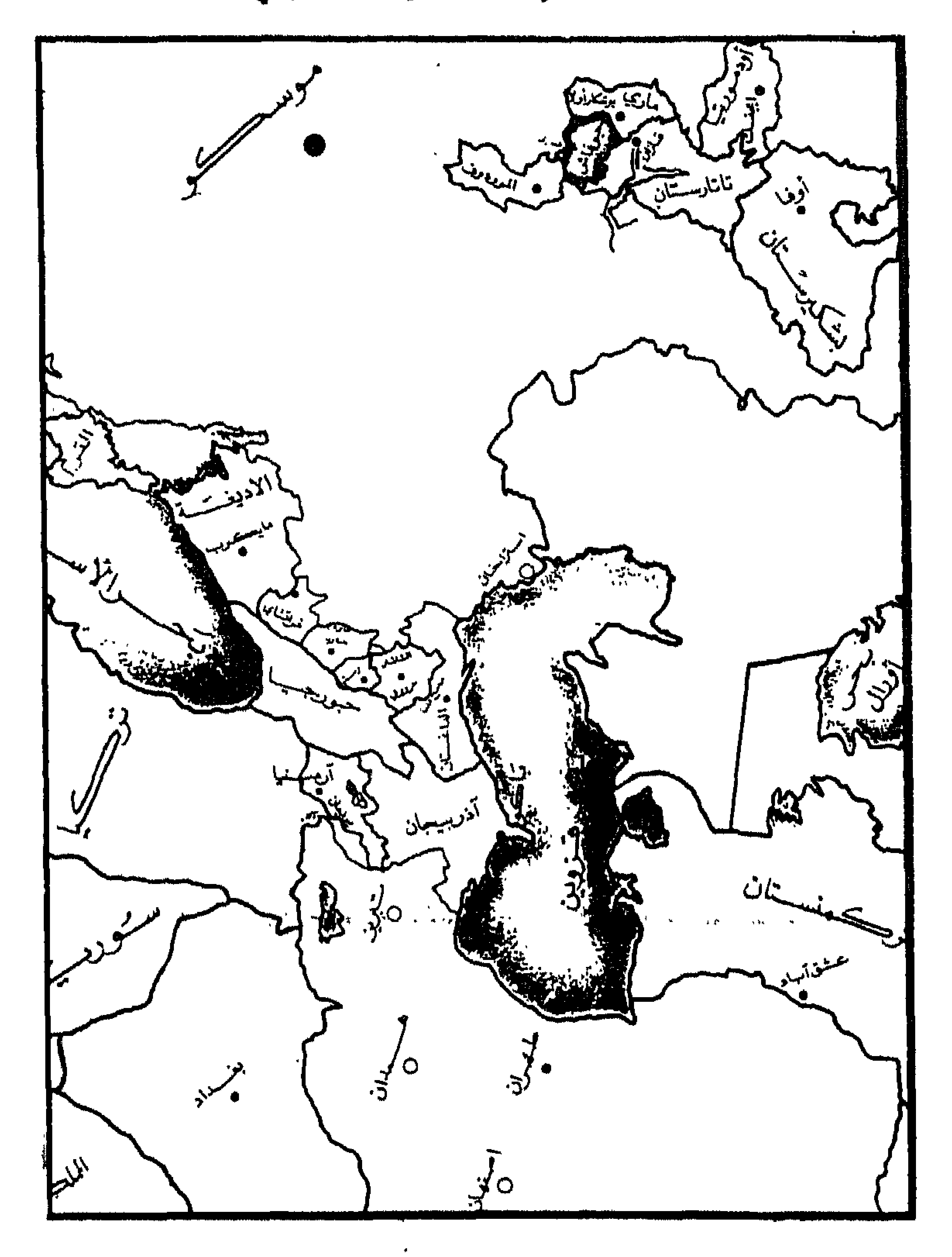
هذا وتضم جمهورية روسيا الاتحادية ٣١ جمهورية ذات حكم ذاتى ، ومناطق ذات استقلال ذاتى ، ونواحى مستقلة وتفصيلها على النحو التالى :

ـ جمهوريات ذات استقلال ذاتى ١٦

ـ مناطق ذات استقلال ذاتى ٥

ـ نواحى مستقلة ذاتياً ١٠

الجمهوريات والمناطق ذات الغالبية الإسلامية ضمن الاتحاد الروسي.



المصدر : مجلة البيان العدد (٦٦) ـــ صفر ١٤١٤هـ

الجمهوريات ذات الحكم الذاتى ، ذات الأغلبية المسلمة فى حوض نهر الفولجا فى روسيا الاتحادية

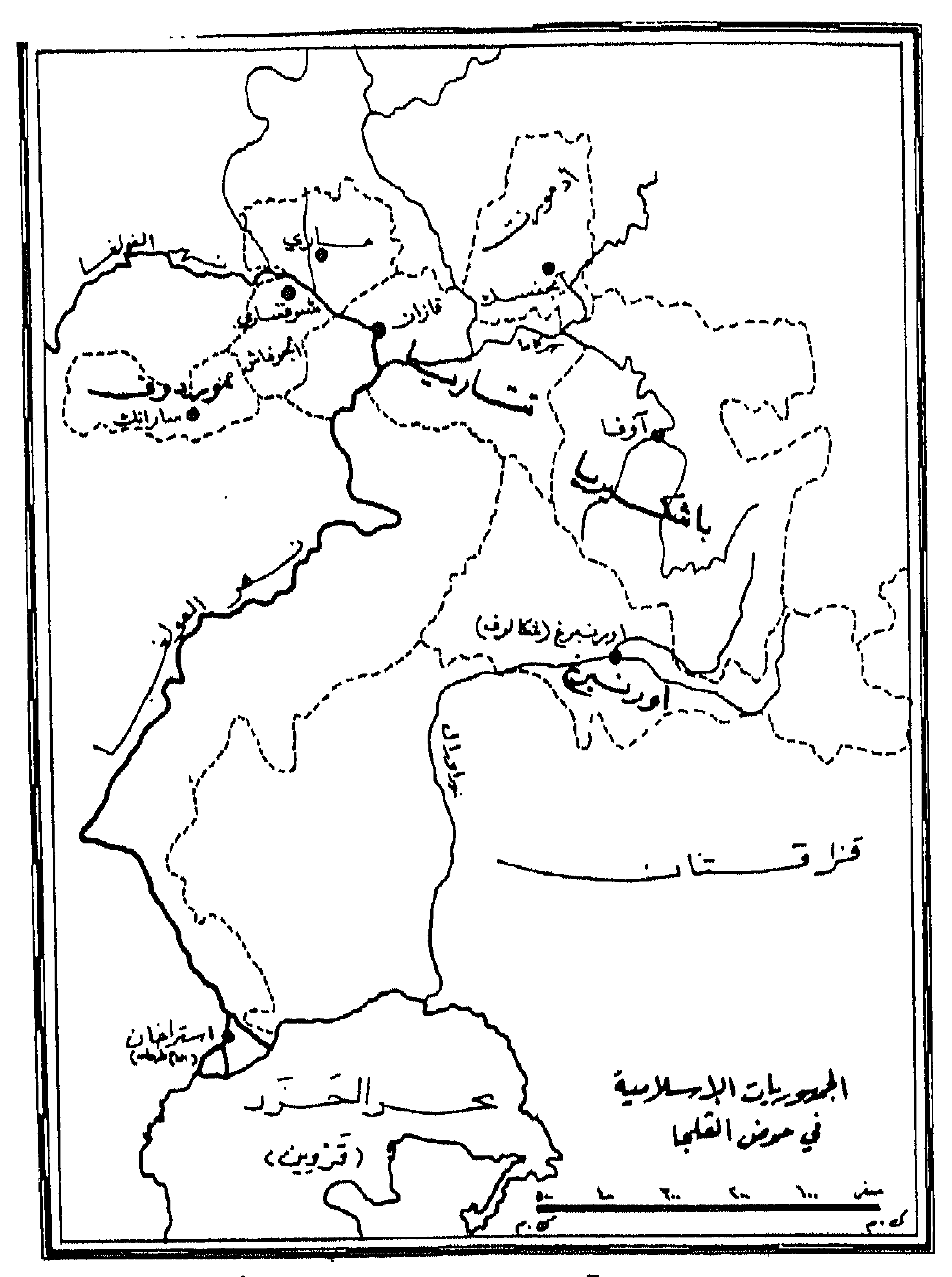
الجمهورية	العاصمة	المساحة	عدد السكان المليون	تاريخ غزوها	تاريخ تأسيسها
بشكيرستان	أوفا	١٤٣,٦٠٠	٣,٩٤٣	١٥٥٧	١٩١٩
تتارستان	قازان	٦٨,٠٠٠	٣,٦٤٢	١٥٥٢	١٩٢٠
أودمورتيا	إيجفسك	٤٢,١٠٠	—	١٥٦٠	١٩٣٤
الجوفاش (الشوفاش)	شبوقسارى	١٨,٣٠٠	١,٣٣٨	١٥٥٢	١٩٢٥
مارى	يوشكار ـ أولا	٣٣,٨٠٠	—	١٥٥٢	١٩٣٦
موردوف	سارنسك	—	١,١٤	١٥٥٣	١٩٤٣
شكالوف	أورنبرج	—	—	—	—

المصدر : د. محمد على البار ، مرجع سابق ، ص٧٢

ـ د. محمد السيد غلاب وآخرون ، البلدان والأقليات المسلمة فى العالم المعاصر ، عرض محمد كال جمعة ، مجلة لداره (هدية) ديسمبر ١٩٧٩ ، ص ١٣٣ ـ ١٣٤

(ـ) لم تتوفر للمؤلف أى بيانات ولذا تركت خالية

المسلمون فى جمهوريات حوض الفولجا :



المصدر د . محمد السيد غلاب ، وآخرون ، البلدان الإسلامية ، والأقليات المسلمة عرض محمد كمال جمعة ؛ هدية الدارة ـــ العدد الثانى ـــ السنة الخامسة ـــ محرم ١٤٠٠هـ ـــ ديسمبر ١٩٧٩ م .

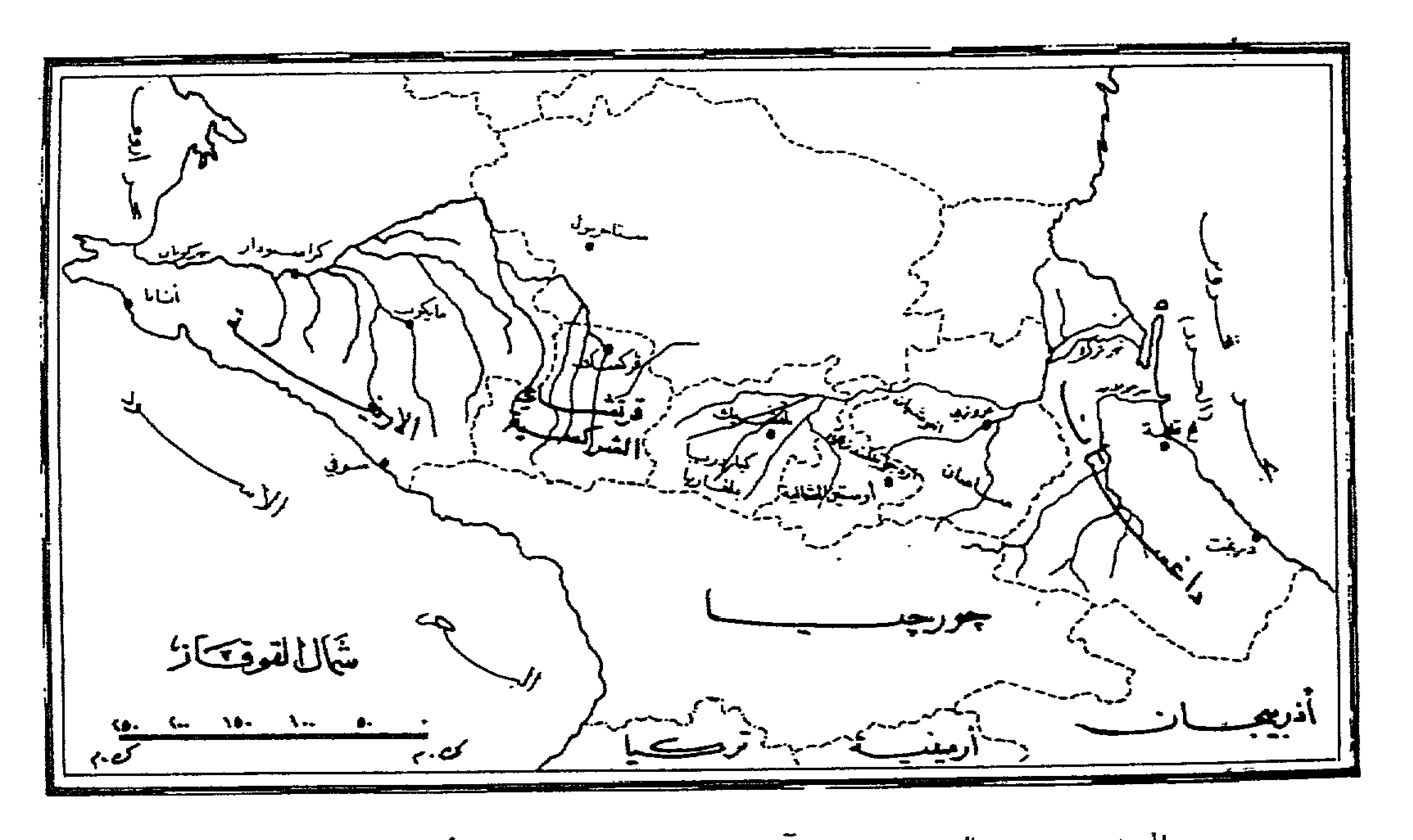
الجمهوريات والمناطق ذات الحكم الذاتى ـ ذات الأغلبية المسلمة فى شمال القوقاز (فى روسيا الاتحادية)

الجمهورية أو المنطقة	العاصمة	المساحة	عدد السكان	تاريخ غزوها	تاريخ تأسيسها	ملاحظات
الشيشان والأنجوش	جروزنى	١٩,٣٠٠	١,٣	١٨٥٠	١٩٥٧	جمهورية ذات حكم ذاتى
الداغستان	محج قلعة	٥٠,٣٠٠	١,٨	١٧٢٣	١٩٢١	جمهورية ذات حكم ذاتى
الكبارد ـ البلكار	نلتشيك	١٢,٥٠٠	,٧٥٤	١٥٥٧	١٩٣٦	جمهورية ذات حكم ذاتى
أوسيتيا الشمالية	اردجو نيكيدزى	٨,٠٠٠	,٦٠٠	١٧٨٤	١٩٣٦	جمهورية ذات حكم ذاتى
الاديجة	مايكوب	٧,٦٠٠	,٤٣٢	١٨٧٨	١٩٢٢	منطقة مستقلة ذاتيا
قرتشاى ـ الشركس	شركسك	١٤,١٠٠	,٤١٥	١٨٧٨	١٩٢١	منطقة مستقلة ذاتيا

(١) عدد السكان طبقا لاحصاءات ١٩٩٢

المصدر : د. محمد على البار مرجع سابق ، ص٧٣

ـ د. على عبدالرحمن عواض ، المسلمون المنسيون فى روسيا ، مجلة البيان ، العدد (٦٦) أغسطس ١٩٩٣ ، ص ٦٧



المصدر د. محمد السيد غلاب، وآخرون «البلدان الإسلامية، والأقليات المسلمة» عرض محمد كمال جمعة، هدية الدارة ـ العدد الثاني ـ السنة الخامسة ـ محرم ١٤٠٠هـ ـ ديسمبر ١٩٧٩م

ثانيا ــ مناطق ذات استقلال ذاتى :

فى شمال القوقاز :ــ

١ ــ منطقة الأديجة .

٢ ــ منطقة قرتشاى الشركسية .

ثالثا ــ أقليات وقوميات إسلامية تتمتع باستقلال ثقافى :

وهى قوميات تتمتع بنوع من الاستقلال الثقافى الإقليمى ، إذ تستخدم هذه القوميات لغاتها المكتوبة ، ولها مؤسساتها التربوية والعلمية وصحافتها ومسارحها ومعاهدها الخاصة بالبحث .

وهناك أربع قوميات إسلامية تتمتع بهذه الخصائص اثنتان منها هاجرت من الصين وهى(٦) :

(أ) **الويغور** : ويبلغ عددهم ٢٥٠ ألف نسمة ، وهم امتداد لنفس العرق فى الصين حيث يبلغ تعدادهم ٨ ملايين نسمة .

(ب) **الدنغان** : وهم مسلمون على المذهب الحنفى هربوا من الصين عام ١٢٩١هـ/١٨٧٧ م بعد فشل ثورة المسلمين فى الصين ضد السلالة المنشورية .

(جـ) **الأكراد** : ويبلغ عددهم حوالى ١٢٥ ألف نسمة جاءوا على شكل موجات من المهاجرين على فترات زمنية متباعدة. من «إيران» ، و «العراق» ، و «تركيا»أثر مشاكلهم مع الحكومات فى تلك البلاد .

---

(٦) ــ انظر د. على عبدالرحمن عواض ، «المسلمون المنسيون فى روسيا» ، مجلة البيان ــ العدد ٦٦ ــ صفر ١٤١٤هـ أغسطس ١٩٩٣ ، ص ٧٣ ــ ٧٤

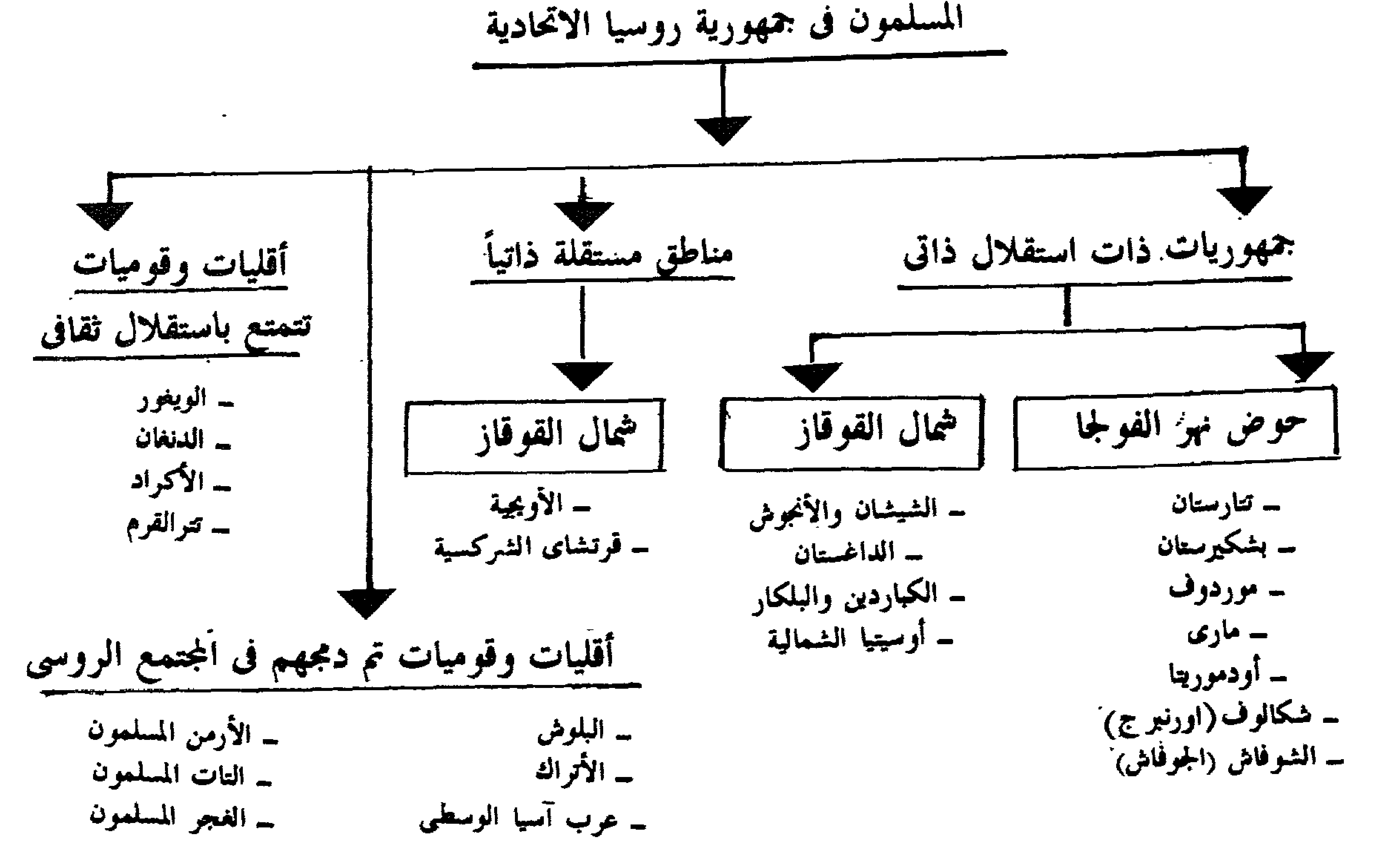
د ـ تتر القرم : وكان لهم حتى عام ١٣٦٤هـ/١٩٤٤ م إقليم خاص بهم له استقلالية ذاتية ولكنهم عوملوا كإخوانهم «الشيشان» و «الانجوش» ، عندما اتهموا بالتعاون مع الألمان وشتتوا على أيدى ستالين فى سيبيريا و«قازاخستان» . ومات منهم اعداد كبيرة خلال فترة التشريد ، وقد ألغيت جمهوريتهم نهائيا وألحقت «بأوكرانيا» .

رابعا ـ أقليات وقوميات تم دمجهما فى المجتمع الروسى[٧] :

وهى أقليات وقوميات إسلامية لاتتمتع بأى استقلال أو تميز ثقافى أو اجتماعى وقد تم دمجهم فى الإطار الروسى الأوسع لإذابة شخصيتهم المميزة منهم :

البلوش ـ الأتراك ـ عرب آسيا الوسطى ـ الأرمن المسلمون ـ التات المسلمون ـ الغجر المسلمون .

(٧) انظر : المرجع السابق ، ص ٧٤ .


المسلمون فى جمهورية روسيا الاتحادية
جمهوريات ذات استقلال ذاتى
مناطق مستقلة ذاتياً
أقليات وقوميات تتمتع باستقلال ثقافى
حوض نهر الفولجا
شمال القوقاز
شمال القوقاز
ـ تتارستان
ـ بشكيرستان
ـ موردوف
ـ مارى
ـ أودموريتا
ـ شكالوف (اورنبرج)
ـ الشوفاش (الجوفاش)
ـ الشيشان والأنجوش
ـ الداغستان
ـ الكباردين والبلكار
ـ أوسيتيا الشمالية
ـ الأوبجية
ـ قرتشاى الشركسية
ـ الويغور
ـ الدنغان
ـ الأكراد
ـ تترالقرم
أقليات وقوميات تم دمجهم فى المجتمع الروسى
ـ البلوش
ـ الأتراك
ـ عرب آسيا الوسطى
ـ الأرمن المسلمون
ـ التات المسلمون
ـ الغجر المسلمون

المبحث الثالث

التوزيع الجغرافى للمسلمين فى شمال القوقاز

المسلمون فى شمال القوقاز ، يتوزعون على أربع جمهوريات ذات حكم ذاتى ، ومنطقتين تتمتعان باستقلال ذاتى وتفصيل ذلك :

أولا ـ الجمهوريات المستقلة ذات الحكم الذاتى :

١ ـ جمهورية الشيشان والأنجوش .

٢ ـ جمهورية داغستان .

٣ ـ جمهورية الكباردين ـ البلقار .

٤ ـ جمهورية أوسيتيا الشمالية .

١ ـ جمهورية الشيشان والأنجوش[٨] :

تكونت هذه الجمهورية عام ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٤ م ، وذلك بتوحيد « جمهوريتى الشيشان » التى تكونت عام ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٢ م وجمهورية « الأنغوش » التى تأسست عام ١٩٢٤ م. وأصبحت

---

(٨) ـ انظر :ـ د . محمد السيد غلاب ، د . حسن عبدالقادر صالح ، محمود شاكر ، « البلدان والأقليات المسلمة فى العالم المعاصر » عرض : محمد كمال جمعة ـ مجلة الداره ـ هدية العدد الثانى ـ محرم ١٤٠٠ هـ ـ ديسمبر ١٩٧٩ ، ص ١٣٧ ،

ـ د . محمود أبو العلا ، مرجع سابق .

ـ د. على عبدالرحمن عواض ، مرجع سابق ، ص ٧٠ ـ ٧١

ـ د . محمد على البار ، المسلمون فى الاتحاد السوفيتى عبر التاريخ ، جدة ، دار الشروق الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ ـ الجزء الأول ص ١٦١ ـ ١٦٨

جمهورية مستقلة عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٦م. وفى عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م طرد جميع السكان من الشيشان والأنجوش إلى سيبيريا وآسيا الوسطى فى ظروف صعبة أدت إلى موت أرقام كبيرة منهم أثناء عملية الترحيل. وقسمت أراضيهم بين جمهوريات أخرى مجاورة و «جورجيا» وبعد موت ستالين أعيد للشيشان اعتبارهم وعادوا إلى بلادهم وأعيد إنشاء الجمهورية عام ١٩٥٧م «جمهورية الشيشان» عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، أعلنت استقلالها عن روسيا الاتحادية وفضلت الأنجوش البقاء فى الاتحاد الروسى. وفى أواخر عام ١٩٩٤ قامت القوات الروسية بغزو «جروزنى» (المدينة الرهيبة) عاصمة جمهورية الشيشان بدعوى تجريد الشيشان من أسلحتهم فى أكبر عملية عسكرية روسية منذ غزو «أفغانستان» مما أدى إلى تدمير «جروزنى» وآلاف القتلى والجرحى، وهجرة السكان.

يزيد السكان على ١,٣ مليون نسمة، يعيشون على مساحة تبلغ ١٩,٣٠٠ كم٢، وعاصمتها «جروزنى». ولغة «الشيشان» و «الأنجوش» ليست من أصل تركى، وكانت تكتب بالأحرف العربية وتحولت مع سياسة الترويس إلى اللغة الروسية عام ١٣٥٩/ ١٩٣٩م.

ـ دخل الإسلام هذه البلاد فى وقت متأخر ـ القرن الثامن عشر ـ عبر «بخارى» و «داغستان» و «شيرفان» (شيراون).. وكان لكل من الطريقة النقشبندية والقادرية دور كبير فى نشر الإسلام فى بلاد الشيشان.

٢ ـ جمهورية «داغستان»[٩] :

تأسست جمهورية «داغستان» عام ١٣٤٠/ ١٩٢١م، وعدد سكانها يقارب المليونين نسمة يقطن المدن ٣٠ ٪ ، والباقى قرويون . يعيشون على مساحة تبلغ ٥٠٣٠٠ كم٢ . ونسبة المسلمين فى هذه الجمهورية ٨٥,٣ ٪ من المجموع العام. وعاصمتها (محج قلعة). يمثل الداغستانيون ٧٨ ٪ من مسلمى البلاد يليهم الآذاريون ثم الشيشان .

حتى الثورة البلشفية كانت العربية هى لغة الأدب فى «داغستان» وكانت أيضاً اللغة الرسمية لمنطقة الإمام «شامل». وفى عام ١٣٤٧ هـ/ ١٩٢٨م أبعدت الحكومة اللغة العربية لما لها من طابع دينى ، وحلت محلها اللغة الروسية للتعامل الرسمى والآذارية كلغة شعبية . والغالبية العظمى من أهل السنة ويتبعون المذهب الشافعى كما تنتشر بينهم الطرق الصوفية خاصة النقشبندية والقادرية .

وقد اعتنق سكانها الإسلام مبكراً منذ خلافة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إذ توغل فيها جيش عبدالرحمن بن ربيعة وجيش مسلمة ابن حبيب واستمر الفتح منذ زمن خلافة عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ وحافظ السكان على إسلامهم . وتزعموا الجهاد ضد الروس ومن أشهر قادتهم الشيخ «شامل».

---

(٩) ـ انظر : د . محمد السيد غلاب وآخرون ، مرجع سابق ، ص ١٣٦
ـ د. محمود ابوالعلا ، مرجع سابق ، ص ١٠٠ ـ ١٠٧
ـ د . علي عبدالرحمن عواض ، مرجع سابق ، ص ٦٩ ـ ٧٠
ـ د. محمد على البار ، مرجع سابق ، ص ١٥١ ـ ١٦٠

٣ ـ جمهورية الكباردين ـ البلقار[١٠] :

أنشئت الجمهورية لأول مرة عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م كمنطقة مستقلة وتحولت إلى جمهورية مستقلة عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٦م. وتحول اسمها إلى «الكباردين» خلال الحرب العالمية الثانية لاتهام «البلقار» بالتعاون مع الألمان . وجرت حملات إبعاد منظمة لهم إلى «سيبيريا» و «آسيا الوسطى». وفى عام ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٨م أعيد لهم الاعتبار وأعيدوا إلى جمهوريتهم وعادت الجمهورية باسم «جمهورية الكباردين» ـ «البلقار».. وعاصمتها «نالتشيق». وعدد سكان الجمهورية يقارب المليون نسمة وهم من عرقين أصليين الكباردين (وهم الشركس الشرقيون) ، والبلقار (الأتراك). وتعود لغتهم إلى أصل تركى . ومساحتها تتجاوز ١٢٥٠٠ كم٢. وسكان الجمهورية يدينون بالإسلام .

٤ ـ جمهورية أوسيتيا الشمالية[١١] :

تأسست عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٢٦م ، الجمهورية ذات حكم ذاتى بعد أن كانت مجرد إقليم ذات استقلال ذاتى ، وكان الروس قد احتلوا المنطقة عام ١١٩٩هـ . علماً بأن روسيا فصلت بين الغالبية

---

(١٠) ـ انظر :ـ د. محمد السيد غلاب ، وآخرون ، مرجع سابق ، د. محمد أبو العلا ، مرجع سابق ، ص ١٠٩ ـ ١١٥ ، د. على عبدالرحمن عواض ، مرجع سابق ، ص ٦٩ د. محمد على البار ، مرجع سابق ، ص ١٦٦ ـ ١٦٨

(١١) انظر : د. محمد السيد غلاب ، وآخرون ، مرجع سابق ، ١٣٧ ، ومحمود أبو العلا ، مرجع سابق ، د. محمد على البار ، مرجع سابق ص ١٦٥ ـ ١٦٦

الإسلامية ، وبين النصارى وجعلت لكل منهم جمهورية ذات استقلال ذاتى ، والجمهورية التى تزيد فيها نسبة المسلمين هى « جمهورية أوسيتيا الشمالية » وعاصمتها مدينة «أردجو نيكيرزى».. ويبلغ عدد سكانها ٦٣٤ ألف نسمة يعيشون على مساحة تبلغ ٨٠٠٠ كم٢ .. والمسلمون أكثر من النصف ، وهم من العناصر الشركسية إلا أن لغتهم لا تتصل بالتركية .

ب ـ المناطق ذات الإستقلال الذاتى :

١ ـ منطقة الأديجة .

٢ ـ قرتشاى ـ الشركس .

١ منطقة الأديجة(١٢) :

تأسست هذه المنطقة عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م باسم «منطقة الأديجة الشركس المستقلة» . وتحول اسمها إلى «الأديجة» عام ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٦ م . وعاصمتها «مايكوب» وقد سيطر الروس على المنطقة بعد مؤتمر برلين .

وعدد سكانها يتجاوز النصف مليون نسمة ، ونسبة المسلمين بينهم ٧٠ ٪ من مجمل السكان ، ومساحتها ٧٦٠٠ كم٢ . والأديج الأصليون جزء من الأمة الشركسية . وقد هاجرت جماعات كبيرة منهم بعد

(١٢) انظر : د. محمد السيد غلاب ، وآخرون ، مرجع سابق ، ص ١٣٨ ، د. محمود أبو العلا ، مرجع سابق ، ص ١١٧ ـ ١١٩ ، د. على عبدالرحمن عواض ، مرجع سابق ، ١٦٦ ـ ١٦٨ ، محمود بيومى ، فى القوقاز ، اللواء الإسلامى ـ ١٩٩٤/١٢/٢٩

احتلال الروس لهم عام ١٢٨٠ هـ إلى البلادِ الإسلامية الأخرى .
ويتكلم الشراكسة لغة خاصة بهم لا تمت بصلة إلى التركية .

ودخلها الإسلام أيام الدولة العثمانية فى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى . وهم من أهل السنة ويتبعون المذهب الحنفى . وكانت اللغة العربية هى لغة الأدب حتى ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨ م واستبدلت رسمياً عام ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٦ م باللغة الروسية .

٢ ـ منطقة القرتشاى ـ الشركسى [١٣] :

تأسست هذه المنطقة عام ١٣٤١ هـ/١٩٢٢ م ، وانقسمت عام ١٣٤٥ هـ/ ١٩٢٦ إلى منطقتين مستقليتين ذاتياً : «ومقاطعة الشركس القومية» وعادت إلى الاتحاد عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨ ، واتخذت اسمها الراهن . وتم الترحيل القسرى « القرتشاى » المستقلة ذاتياً عام ١٩٤٤/١٣٤٦ بتهمة التعاون مع الألمان ثم أعيد البعض إليها عام ١٩٥٧/١٣٩٨ م .

والمنطقة خضعت للروس إثر مؤتمر برلين عام ١٩٧٨ م .

ويبلغ عدد سكانها حوالى نصف مليون نسمة يقطنون على مساحة تبلغ ١٤١٠٠كم٢ وتصل نسبة المسلمين إلى ٨٠٪ وهم من «التتار» وليسوا من الشركس ولغتهم تتصل بالأصل التركى ، ولكنهم تعلموا الشركسية من جيرانهم وسموا عاصمتهم شركسك .

---

(١٣) ـ انظر :ـ د. محمد السيد غلاب وآخرون ، مرجع سابق ، ص ١٣٧ ، د. محمود أبو العلا ، مرجع سابق ، ص ١١٩ ـ ١٢١ ، د. محمد على عبدالرحمن عواض ، مرجع سابق ، ص٧٣ ، د. محمد على البار ، مرجع سابق ، ص١٦٨ ـ ١٧٠ .

الفصل الأول

الملامح الجغرافية والسكانية بشمال القوقاز والشيشان

المبحث الأول : الملامح الجغرافية لإقليم القوقاز

المبحث الثانى : التركيب العرق لشمال القوقاز والشيشان

المبحث الثالث : جمهورية الشيشان : جغرافيا ، سكانيا

المبحث الأول

الملامح الجغرافية لإقليم القوقاز

إقليم القوقاز ينقسم ـ جغرافيا ـ إلى قسمين :

الأول ـ القوقاز القريب ، وهو (القوقاز الأوربى) :

وهو يضم الجمهوريات الإسلامية ذات الحكم الذاتى ، والتى تقع فى نطاق روسيا الاتحادية وهى « كاباردين » (القبارطاى) ، و « أوسيتيا » الشمالية ، و « الشيشان » ، «والأنجوش » ، « داغستان » ، وهذا غير الأقاليم الأخرى ذات الحكم الذاتى « أو بلاستى » .

الثانى ـ القوقاز البعيد (القوقاز الآسيوى) :

ويضم « جمهورية آذربيجان الاتحادية » ، فى الشرق ، وإلى غربها « جمهورية جورجيا » التى تضم « أبخازيا » ، و « جمهورية آجار » ذات الحكم الذاتى ، وإقليم أوسيتيا الجنوبية ذات الحكم الذاتى (أو بلاستى)[1] .

استخدم اسم القوقاز (القفقاس) منذ أيام إيسكيلوس ، وهيرودتس ، على الأقل للدلالة على سلسلة الجبال الشامخة الممتدة بين

---

(١) انظر : د. محمود أبو العلا ، المسلمون فى الاتحاد السوفيتى (سابقا) دراسة اجتماعية اقتصاية ، سياسية ، الطبعة الأولى ١٩٩٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ٨٥ ، وانظر أيضا : د. محمد على البار ، المسلمون فى الاتحاد السوفيتى عبر التاريخ ، الطبعة الأولى ـ جدة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ ص ١٤٣ .

البحر الأسود ، وبحر قزوين من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ، ويتفاوت اتساع المناطق فى كلا الجانبين[٢] .

ويبلغ طول السلسلة الجبلية التى كان يقتصر اسم القوقاز عليها ما يقارب الـ(٦٥٠) ميلا . ويبلغ طول الجزء الجبلى الحقيقى منها (٤٠٠) ميل مع حافتين تمتد الأولى منها (١٥٠) ميلا ، والثانية (١٠٠) ميل إلى جوار « باكو » على « بحر قزوين » ، و« نوفور سيسك » على البحر الأسود ، أما عرض هذه السلسلة فمتفاوت كثيراً ، وثمة مجال لاختلاف الرأى فى تقديره لكنه يقارب مائة الميل ، اللهم إلا فى الوسط حيث يضيق هذا العرض إلى درجة كبيرة ، وكذلك الأطراف[٣] .

الملامح الجغرافية لإقليم القوقاز :

إقليم القوقاز مجموعة من المرتفعات ، والمنخفضات نشأت أصلا فى منخفض ضخم من سطح الأرض يعرف « بالمنخفض الألبى » .

وهذا المنخفض هو الذى تعرض لحركات القشرة الأرضية مكونا من بعض أجزاء هذا المنخفض الالتواءات الضخمة التى كونت مرتفعات القوقاز العظمى ، وإلى جنوبها مرتفعات القوقاز الصغرى والتى تنتهى

---

(٢) انظــــــــــــر : جون بادلى JOHN. F. BADDELEY, THE RUSSIAN CONQUEST OF THE CAUCASUS, LONGMAN'S, GREEN AND CO, 1908 ترجمة : صادق ابراهيم عودة ، الناشر د. طه سلطان مراد ـ الزرقاء (الأردن) ـ ١٩٨٧ ص ٢٥ .

(٣) انظر المرجع السابق ، ص٢٦ .

جنوبا بالحدود السياسية الجنوبية للاتحاد السوفيتى (سابقا) مع إيران وتركيا . ثم مجموعة المنخفضات إلى شمال هذه المرتفعات ، وإلى غربها وشمالها الغربى وإلى شرقها ، وإلى جنوب مرتفعات القوقاز العظمى أيضاً ، والتى تبلغ مساحتها جميعاً ٤٤٠,٠٠٠ كم٢ .

لدراسة هذا الإقليم جغرافياً نقسمه إلى الأقسام الآتية :

١ ـ مرتفعات القوقاز العظمى فى شمال الإقليم (القوقاز القريب)[٤] :

تمتد هذه المرتفعات الالتوائية الضخمة من شبه (جزيرة تامان) التى تقع بين البحر الأسود ، وامتداده إلى شمال (بحر آزوف) ، ثم تأخذ اتجاها جنوبيا شرقيا إلى شبه (جزيرة آسفرون) الملحقة ببحر قزوين والغنية بالطبقات الحاملة للنفط .

تتميز السفوح الشمالية لهذه المرتفعات بأنها تنحدر فى رفق إلى المنخفض الضخم فى شمالها وهو قسمان :

(أ) المنخفض الذى يجرى فيه (نهر كوبان) ، والذى يصب فى البحر الأسود ، ويقع إلى الشمال الغربى من هذه المرتفعات .

(ب) المنخفض الذى يشغله (نهر كوما) فى الشمال ، ويصب فى بحر قزوين ، والذى ينتهى شمالا بالمنخفض الذى تتكون منه (دلتا نهر الفولجا) ، ويقع إلى الشمال الشرقى من المرتفعات ، والأجزاء الجنوبية

---

(٤) انظر د. محمود أبو العلا ، المرجع السابق ، ص ٨٦ ـ ٨٧ .

من هذا المنخفض يجرى فيها (نهر تيرك) والذى يصب ـ أيضاً ـ فى بحر قزوين .

أما السفوح الجنوبية لمرتفعات القوقاز العظمى فهى أكثر وعورة ، وتنتهى غرباً بمنخفض (كولخيدا) المطل على البحر الأسود ، والذى يجرى فيه نهرا (ريونى ، وإنجورى) ، والذى يصب فى البحر الأسود ، وهو مرتبط بمنخفض البحر الأسود ، وتنتهى السفوح الجنوبية ـ أيضا ـ فى الجنوب الشرقى بالمنخفض الذى يشغله (نهر كورا) ، ورافده (أراكس) وهو مرتبط بمنخفض بحر قزوين .

إن مرتفعات القوقاز العظمى هذه ، وخط تقسيم المياه بها هما الحد الفاصل بين قارتى أوربا وآسيا .

٢ ـ مرتفعات القوقاز الصغرى (عبر القوقاز ـ القوقاز البعيد)[٥] :

تمتد مرتفعات القوقاز الصغرى شرقا باسم مرتفعات « طاليش » بين منخفض « كولخيدا » فى الغرب ، ومنخفض « كورا » فى الشرق ، وهذه المرتفعات يحددها نهر « كورا » الذى يجرى إلى شمالها ، ورافده نهر « أراكس » الذى يمتد إلى جنوبها ، وكأنها تمتد بين أحضان هذين النهرين . هذا لالتواء المحدب الذى يكون مرتفعات القوقاز الصغرى نتيجة التواء فى سطح المنخفض الألبى السابق الاشارة إليه . وفى الأجزاء

---

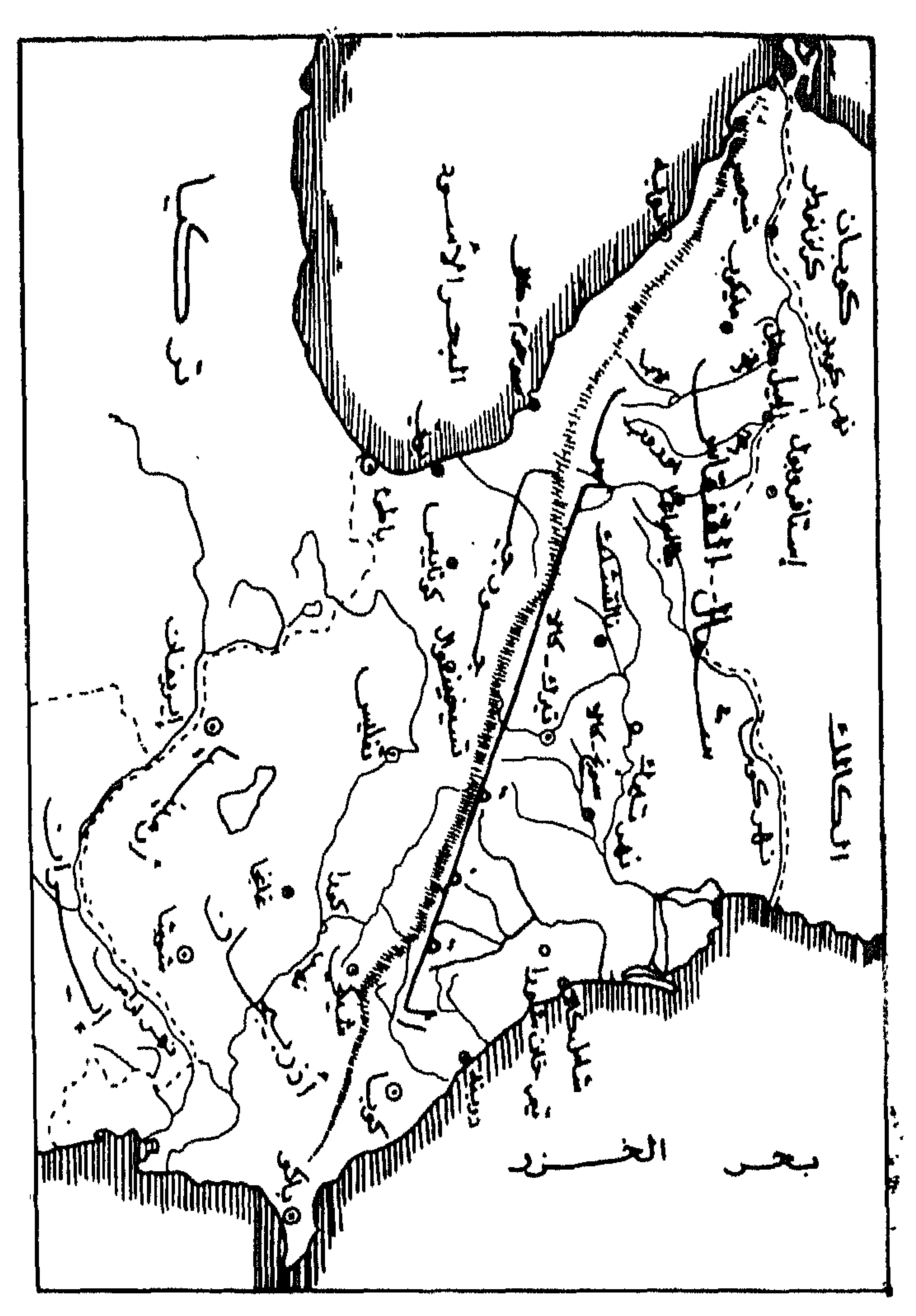
(٥) انظر د. محمود أبو العلا ، مرجع سابق ، ص٨٨ ـ ٨٩ .

الشرقية من هذه المرتفعات تقع بحيرة « سيفان » ، وإلى شرقها توجد أكثر القمم ارتفاعاً ٣٦٠٠ متر فوق سطح البحر .

هذا والتركيب الجيولوجي للطبقات حول مرتفعات القوقاز العظمى خاصة فى منخفض « كورا ـ أراكى » تحتوى على النفط والغاز والفحم . وهناك أيضاً الحديد الخام فى نطاق جمهورية (آذربيجان) كما يوجد النحاس ومعادن أخرى غير فلزية مثل المنجنيز والرواسب المحتوية على الأسمنت .

المجارى المائية :

إقليم القوقاز غنى بالأنهار التى تستخدم فى الرى والتى تصلح بعض مجاريها الدنيا للملاحة . وأنهار مرتفعات القوقاز العظمى تفيض بالمياه حوالى ستة أشهر فى فصل الدفء ، أما أنهار مرتفعات القوقاز الصغرى فإن مياهها تفيض فى فصل الربيع ، وهناك أيضاً محطات توليد الكهرباء على مجارى هذه الأنهار .



خريطة توضح جبال القوقاز

المصدر: جون بادلى ، احتلال الروس للقفقاس ، (الطبعة العربية) ، ووضعها المعرب (صادق ابراهيم عودة ، والمشرف على الترجمة ، د. طه سلطان مراد) فى غلاف الكتاب نقلا عن مجلة شمالى القفقاس ، والتى كانت تصدر فى وارسو – بولونيا عام ١٩٣٤ .

المبحث الثانى

التركيب العرقى (الأنثولوجى) لشمال القوقاز والشيشان

ينتمى المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز إلى ثلاث مجموعات عرقية هى[٦] :

١ ــ مجموعة الشعوب التركستانية :

وتضم سكان : أوزبكستان وقازاخستان وآذربيجان وتركمانستان وقيرغيزيا . وهؤلاء يتحدثون بلغات قريبة من اللغة التركية ، وهم أقرب ثقافيا إلى تركيا .

٢ ــ مجموعة الشعوب الإيرانية :

ويتركزون فى طاجيكستان أساسا وهؤلاء أقرب حضاريا وثقافيا إلى إيران ، وإن لم يكونوا شيعة كما هو حال سكان آذربيجان .

٣ ــ مجموعة الشعوب الايبروقوقازية :

. وهؤلاء يعيشون فى مجموعات متفرقة فى القوقاز وروسيا .

---

(٦) انظر : عبدالعزيز محمد عوض الله : « بين التركان : دراسة انثروبولوجية وتاريخية لتركان آسيا الوسطى » ، مؤتمر : المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ، جامعة الأزهر ٢٨ ــ ٣٠ سبتمبر ١٩٩٣ ، المجلد الثانى ، ص ١٧٦ .

شعوب القوقاز[7] :

توصف بلاد القوقاز بأنها « متحف للأجناس واللغات » ، وداغستان « متحف القوقاز » ففى منطقة القوقاز الصغيرة نسبيا ، يتعايش أكثر من خمسين شعبا ذات خصائص عرقية مختلفة ولغات ولهجات متباينة وبالعشرات إن لم تكن بالمئات .

فالمنطقة كانت ممراً رئيسياً عبر العصور ، للتبادل التجارى والحضارى بين آسيا وأوربا ، ومسرحا رئيسا للصراعات القبلية ، ونقطة تصادم بين الإمبراطوريات الكبيرة ، كل هذا ترك تأثيرات عرقية ولغوية كثيرة ومتباينة فى الساحة القوقازية ، ثم إن الاحتلال الروسى للمنطقة وما صاحب ذلك من تغيرات إدارية وسكانية لأسباب سياسية ساهم بشكل كبير فى هذا التنوع العرقى العجيب .

ولما ذكرنا سابقا أن القوقاز ينقسم جغرافيا إلى منطقتين منفصلتين ، هما القوقاز الشمالى والقوقاز الجنوبى ، تفصل بينهما سلسلة جبال القوقاز التى تعتبر فاصلا طبعيا بارزا بينهما .

---

(٧) انظر : عبدالوهاب ولى ، « القوقاز متحف الأجناس واللغات » ، الشرق الأوسط ١٩٩٥/١/١٨ ، وانظر أيضا : دائرة المعارف البريطانية ـ مادة قوقاز ـ اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية .

وتتكون شعوب شمال القوقاز من[8] :

١ ـ الشراكسة :

ويقطنون فى الشمال الغربى والأوسط للقوقاز الشمالى ، وينقسمون إلى عدة قوميات هى :

(أ) الأديجية (الأديغية) .

(ب) القبارطاى .

(جـ) الأباظة .

(د) الشابسوغ .

(هـ) القرة شاى (القرتشاى) .

(و) البلقار (البلكار) .

٢ ـ الشيشان :

ويقطنون فى وسط القوقاز الشمالى الشرق .

٣ ـ الأنجوش :

يقطنون وسط القوقاز الشمالى .

٤ ـ الأوسيتين :

يقطنون فى وسط القوقاز الشمالى .

٥ ـ الداغستان :

يقطنون فى أقصى الشمال الشرقى لشمال القوقاز .

---

(٨) انظر : د. أحمد موسى الشيشانى ، « شهد الإسلام عصره الذهبى فى القوقاز على يد الفاتح تيمورلنك » الشرق الأوسط ١٩٩٥/١/٢٤ .

وتتكون شعوب القوقاز الجنوبى من[٩] :

١ ـ الجورجيون (جورجيا) فى وسط القوقاز الجنوبى .

٢ ـ الآذربيجان : فى الجنوب الشرقى .

٣ ـ الأرمن (آرمينيا) : فى الجنوب الغربى .

٤ ـ الأدجار : سكان جمهورية أدجاريا فى الجزء الجنوبى الغربى لجورجيا .

شعوب القوقاز ولغاتها[١٠] :

يقسم الباحث التركى نادر دولت ، شعوب القوقاز ولغاتها إلى أربع مجموعات :

١ ـ الشعوب الناطقة بالتركية ، والتى تدين بالمذهب الشيعى مثل الآذربيجانيين .

٢ ـ الشعوب الناطقة بفرع من اللغة الهندو ـ جرمانية ، والتى تدين بالمذهب الجريجورى المسيحى مثل الأرمن .

٣ ـ الشعوب الناطقة باللغات الايبروقوقازية ، والتى تدين بالمذهب الأرثوذكسى اليونانى مثل الجورجيين .

٤ ـ الشعوب الناطقة باللغات الأبيروقوقازية والتركية وغالبيتها من المسلمين وهم سكان شمال القوقاز .

---

(٩) المرجع السابق .

(١٠) انظر : عبدالوهاب ولى ، مرجع سابق ، وانظر أيضاً نادر دولت .

ومن الشعوب التركية فى شمال القوقاز ، والذين يحتفظون بلغاتهم وعاداتهم حتى اليوم هم : النوغاى ، القوندور ، القره تشاى (الكاراتشاى) ، البلقار (البلكار) ، تركمان القوقاز ، والقوموق .

هذا فضلا عن لغات أخرى مثل[11] :

١ ـ الاديجانية والانجازية :

وهى لغات القبرطاى ، الأديجان ، الشركس والأباظة ، والانجاز .

٢ ـ الداغستانية وتتكون من :

(أ) اللغة الداغستانية الأصلية ـ وهى فرع من اللغة التركية ـ ويتحدث بها القوموق والنوغاى .

(ب) مجموعة « العائلة الداغستانية » :

وهى لغات اللزجيين واللاكيين ، بالإضافة إلى خمس عشرة مجموعة عرقية صغيرة تسمى جميعاً بالأفاريين ، ومجموعة العائلة الداغستانية تختلف كليا عن اللغة الداغستانية الأصلية .

بالإضافة إلى أن الروس والأوكرانيين الذين يعيشون فى القوقاز يتحدثون لغات سلافية من أصل هندو ـ أوربى .

---

(١١) انظر : عبدالوهاب ولى ، مرجع سابق .

المبحث الثالث

جمهورية الشيشان :جغرافيا، سكانيا

أولا : الوضع الجغراف :

تقع جمهورية الشيشان والأنجوش فى الأطراف الشرقية لمرتفعات شمال القوقاز . ويحد الجمهورية من الشرق والجنوب الشرق جمهورية داغستان ، ومن الجنوب جورجيا ، ومن الغرب أوسيتيا الشمالية . وأشهر مدن الجمهورية : جروزنى ، كوديرميس ، مالكوبيك ، وأركون[١٢]

شيشانيا :

الاسم الذى أطلقه الروس على المنطقة التى يحدها شرقاً نهر سولاك (Soulak) ، ومن الغرب نهر سوندجا الأعلى (Upper Soundja) ومن الشمال نهرا سوندجا الأسفل ، وتيرك (Terek) ، ومن الجنوب تلامس حدودها المناطق الجبلية التى يقطنها العنديون ، والآفاريون الداغستانيون والتوشيبتون ، والخفسوريون .

---

(١٢) انظر : د. محمد حرب ، معلومات أساسية لفهم المسألة الشيشانية ، مجلة الأزهر ، شعبان ١٤١٥ هـ، ص١٠٧٥، وانظر : محمود آبو العلا ، مرجع سابق .

وكانت البلاد ولاتزال فى معظمها ، مكسوة بالغابات الكثيفة التى يقطعها عدد من الأنهار الصغيرة العميقة السريعة العديدة ، والتى تنبع من الجبال التى ترتفع سلاسلها فوق بعضها آخذة فى الارتفاع كلما اتجهنا جنوبا[١٣].

وشيشانيا : كانت تقسم أحياناً من قبل الروس إلى شيشانيا الكبرى ، وشيشانيا الصغرى ، وتقع الكبرى شرق نهر الأرجون ، والصغرى غربه[١٤].

تتكون جمهورية الشيشان من ١٢ مقاطعة ، و٤ مدن رئيسة . وتقع على السفوح الشمالية لجبال القوقاز ، ويصل ارتفاع هذه الجبال إلى ٤٤٩٣ متراً[١٥].

ثانياً ـ السكان :

الشيشان من الشعوب القديمة التى سكنت القوقاز منذ آلاف السنين ويشكلون أحد الشعوب الأصلية لمنطقة القوقاز والتى تشمل أيضا شعوب الشراكسة والآفار (فى الداغستان) ، والأنجوش وشعب أوسيتيا الشمالية والجنوبية اضافة لشعب الكارتفيل ، وهو العرق الأصلى للشعب الجورجى .

وامتاز الشيشان بطولهم ، ونحافتهم ، وقوة بنيتهم ، ووسامتهم .. ويتمتعون ببديهة حاضرة ، وشجاعة . وكان كرم الضيافة ولازال

---

(١٣) ، (١٤) انظر : جون بادلى ، مرجع سابق ، ص ٣٨ ـ ٣٩ ، ١٥٢ .
(١٥) مجلة الإصلاح ، العدد (٣١٩) ١٢/٢٩ ـ ١٩٩٥/١/٤ م .

واجباً مقدسا . وسلوكياتهم تتسم بالشرف ، وإلى درجة لم تعرف لدى الشعوب المتمدنة كما يقول « بادلى »[١٦].

يزيد عدد سكان الجمهورية على ١,٣ مليون نسمة يعيشون على مساحة تغطى ١٩٣٠٠ كيلومتر مربع وعاصمة الجمهورية (جروزنى) .

توزيع السكان

الجماعات العرقية	٪	الحضر	الريف
الشيشان	٥٢,٩	٢٠,٤	٦٧,٤
الأنجـــوش	١١,٩	٨,١	١٢,٦
الداغستانيون	٢١,٩	,٨	٢,٦
الـــروس	٢٩,١	٦٠,٨	١٥,٦
عناصر أخرى	٤,٤	٩,٩	١,٨

النسبة المئوية عالية لإحصاءات عام ١٩٨٩م :

والجدول السابق يبين ما يلى :

ـ أن الشيشان أعلى نسبة من الأنجوش بمعدل ٤ : ١ .

ـ الروس يمثلون أعلى نسبة لعدد سكان جمهورية الشيشان والأنجوش فى الحضر .

ـ بينما الشيشان والأنجوش يتركزون فى القرى .

---

(١٦) انظر : جون بادلى ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

هذا فضلًا عن أن الشيشان كانوا فى هجراتهم يتجهون إلى جمهورية داغستان ، بينما الأنجوش يتجهون فى هجراتهم إلى أوسيتيا الشمالية ، كما أن كليتهما يتوزع أفرادهما فى الاتحاد السوفيتى بنسب متقاربة باستثناء جمهورية الداغستان التى يوجد بها من الشيشان حوالى ٦,٥٪ من عدد السكان(١٧).

اللغة :

حتى عام ١٩٣٤ م كانت اللغتين الشيشانية ، والأنجوشية لغة واحدة ، ولكن اليوم يوجد فصل بينهما ، واللغة الشيشانية تتميز بعدة لهجات ، أما اللغة الأنجوشية فليس لها لهجات . واللغتان تندرجان تحت فرع لغات شمال شرق القوقاز ، وتحت مجموعة «ناخجو».

وتتميز ألفاظ هاتين اللغتين بعدد كبير من الألفاظ العربية ، والفارسية ، والتركية ، والروسية . وكانت المجلات والصحف تنشر تارة باللغة الروسية ، وتارة أخرى باللغة الشيشانية .

وحتى أواسط العشرينيات كانت تكتب الشيشانية بالحرف العربى ، وأُستبدل فى الفترة من عام ١٩٢٨ م ــ ١٩٣٨ م إلى الحرف اللاتينى ، ثم استخدمت الحروف الكيريلية الروسية . أما لغة الأنجوش فلم يكن لها شكل مكتوب ، ومنذ عام ١٩٢٨ م استخدم الحرف اللاتينى ثم الحروف الكريلية(١٨).

---

(١٧) د. محمود أبو العلا ؛ مرجع سابق ، ص ١٠٧ ــ ١٠٨ .

(١٨) قاسم ملكى ، «نظرة على جمهورية الشيشان المستقلة وتطوراتها الحالية» ــ مقال مترجم عن الفارسية ــ منشور فى كتاب ندوة : أحرار الشيشان والدب الروسى ، المركز العربى الدولى ١٩٩٥/١/٦ م. ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

الدين :

الشيشان مسلمون ، ويتبعون المذهب الشافعى ، وكانوا تابعين للإدارة الدينية لشمال القوقاز وداغستان «الاتحاد السوفيتى سابقاً».

وللحركات الصوفية نفوذ كبير فى القوقاز ، ودخل الشيشانيون الإسلام عن طريقها وتنتشر هناك الطريقة النقشبندية والقادرية[19] .

ثالثاً ـ أثر البيئة على نفسية وسلوك الشيشانى :

وقد سكن الشيشان على ضفاف الأنهار التى تتخللها فى مزارع منعزلة أو قرى يبلغ عدد الواحدة منها أحياناً مئات البيوت ، وهذه البيوت ذات طابق واحد ومستوية السطوح مبنية من الطوب الذى جففته الشمس والمدعم بالخشب . ولكل بيت حديقته فى العادة ، كما تمتد الحقول المزروعة حول القرية فى المناطق التى قطعت منها الغابات . ولكن نظرا لعدم تحصين القرى ، فقد كان هناك اهتمام دائم بجعل أحد أطراف القرية ملاصقاً للغابة ، حيث تهرب النساء والأطفال ، وما خف حمله من الأثاث والممتلكات إلى الغابة ، عند أول إنذار بالخطر .

وهذه الغابات المؤلفة تسعة أعشارها من أشجار الزان كانت ملجأهم الأمين وقت الضيق ، وحصنهم الرئيس ضد توغل الروس . ويدين الشيشان للغابات بكثير من الخصائص التى ميزتهم عن جيرانهم ، من سكان سهول الكوموك والداغستان . كما أنها شكلت

---

(١٩) المرجع السابق ، ص١٩٧ .

المظهر الطبيعي الرئيس فى بلادهم ، فإنها حددت أيضاً طابع الحرب التى تلزم لإخضاعهم ، ومدتها . ومادامت الغابات قائمة ، لم يكن هناك من سبيل لقهر الشيشان ، ولم يؤثر الروس بشكل دائم عليهم إلا عندما كان الروس يقومون بقطع غابات الزان . ويقول «جون بادلى» مؤلف كتاب «احتلال الروس للقفقاس» : «ولذلك يمكن القول دون مبالغة إن الذى هزم الشيشان فى المدى البعيد ، لم يكن السيف بل البلطة . وقد أدرك الإمام شامل أهمية الغابات إدراكاً كاملاً ، وأعطى أوامر مشددة للمحافظة عليها . بل إنه فرض غرامات ثقيلة ليس على قطعها العشوائى فحسب ، بل حتى على قطعها دون إذنه ولسبب مشروع» [(٢٠)].

رابعاً ــ الموارد الاقتصادية :

يشكل البترول الدعامة الكبرى للاقتصاد الشيشانى . كما أن عمليات استخراج وتكرير البترول ومصانعه تتكثف على الأغلب فى المنطقة الواقعة بين جروزنى وكوديرميس وبجوار مالكوبيك ، أما أكبر مصانع تكرير البترول فتقع فى العاصمة .

إن الشاشان يصدرون البترول ومنتجاته إلى البلاد الأخرى ، وتصل خطوط أنابيب البترول من هناك إلى (محج قلعة) فى داغستان

---

(٢٠) انظر : جون بادلى ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

على شاطىء بحر قزوين وإلى (توآبه) على ساحل البحر الأسود ، وإلى حوض الفحم فى دونيتس [٢١]

وفى خلال الخمسة والسبعين عاماً الماضية قام الشيشان بتصدير ٤٠٠ مليون طن من البترول إلى الاتحاد السوفيتى ولكن مستوى المعيشة لشعبها منخفض [٢٢].

ومصانع إنتاج الماكينات والأجهزة الضرورية لصناعات البترول والصناعات البتروكيماوية تحتل مكاناً واضحاً حول العاصمة الشاشانية .

وبجانب البترول وصناعاته هناك صناعات شيشانية مؤثرة فى الاقتصاد الشاشانى مثل : الصناعات الغذائية ، وقطع الأخشاب ، والأجهزة الموسيقية ، ويشكل الفحم والغاز الطبيعى أهم الثروات الطبيعية لدى الشاشان بعد البترول .

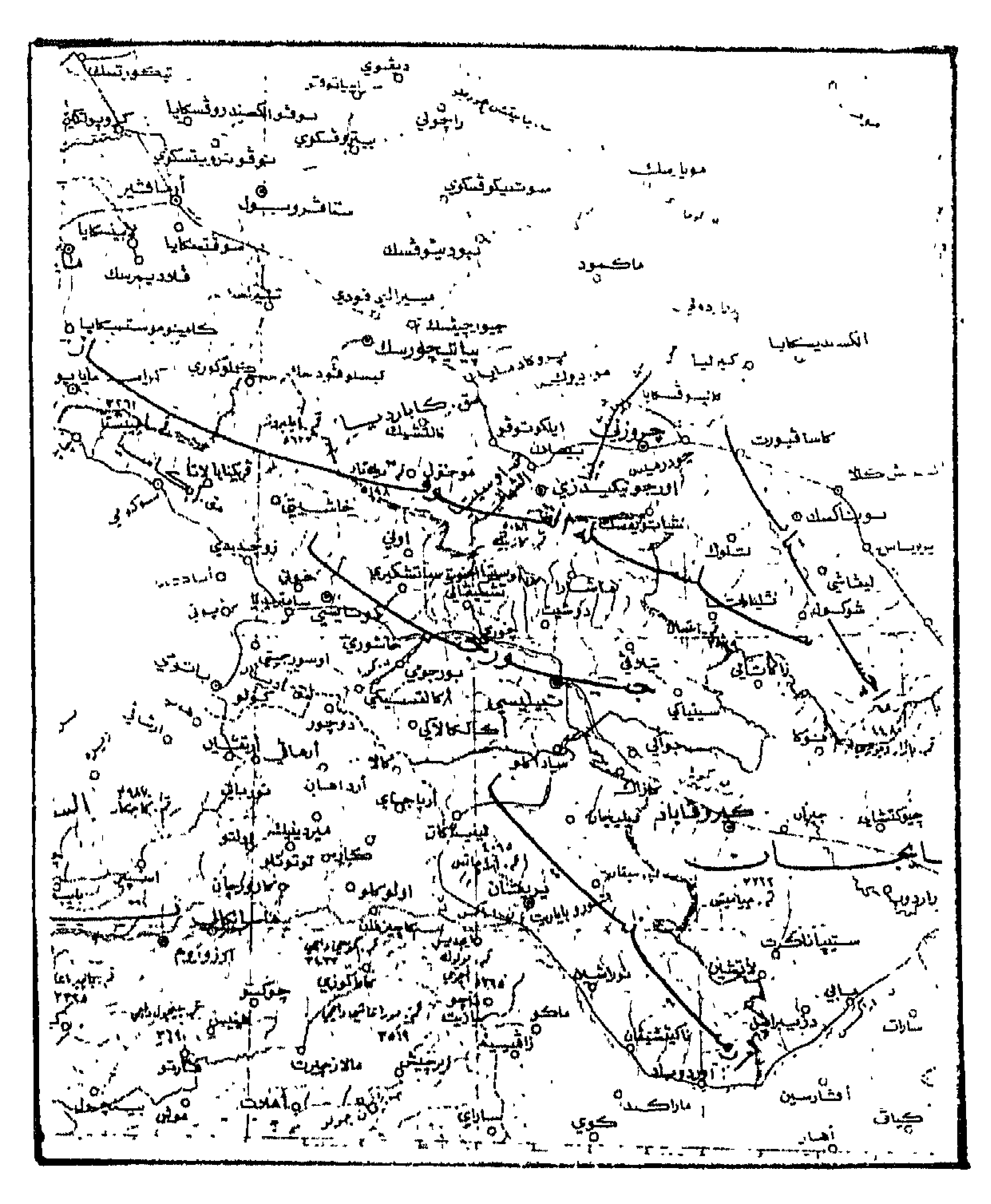
أما الزراعة فهى على الأكثر فى حوض نهر تيرك وتحتل زراعة الفواكه والدخان أهمية واضحة بين الإنتاج الزراعى المختلف ، كما أن الإنتاج الحيوانى فى الشاشان يتطور بشكل واضح [٢٣].

---

(٢١) د. محمد حرب ، مرجع سابق ، ص ١٠٧٧ .

(٢٢) قاسم ملكى ، مرجع سابق ، ص ١٩٤ .

(٢٣) د. محمد حرب ، مرجع سابق ، ص ١٠٧٨ .



جمهورية الشيشان

المصدر : أطلس العالم ، تشارل جورج عام ١٩٧٨م ، ص١٩٦ خريطة رقم (٤٤)

الفصل الثانى

انتشار الإسلام فى « القوقاز » و« الشيشان »

- تمهيد .
- المبحث الأول : انتشار الإسلام فى « روسيا » .
- المبحث الثانى : انتشار الإسلام فى « القوقاز والشيشان » .

الفصل الثانى

انتشار الإسلام فى «القوقاز والشيشان»

تمهيد :

تعتبر بلاد « الشيشان » بجبالها الوعرة وغاباتها الكثيفة من المناطق التى لم تخضع عبر التاريخ لأى فاتح أو غاز بما فيها الفتوحات الإسلامية ، وحتى بداية القرن السابع عشر، فقد بقى « الشيشان » بدون ديانة ولكن اعتناقهم للإسلام بدأ على يد الدعاة والمبشرين من « جمهورية الداغستان » المجاورة، و« من شبه جزيرة القرم » و« بخارى ».

ومنذ اعتناقهم الإسلام فقد أصبح « الشيشان » من أكثر شعوب « شمال القوقاز» تمسكا بدينهم، وتاريخ صراعهم مع القياصرة يؤكد تمسكهم بالدين الإسلامى فلا القياصرة المسيحيون استطاعوا تنصيرهم ولا الشيوعيون نجحوا فى إبعادهم عن دينهم رغم تحريم الشيوعيين للمساجد والعبادة فيها مما اضطر الشيشانى إلى أن يكون بيته هو المسجد وخلال حرب القوقاز الأولى فإن المقاتلين الشيشان والداغستان الذين كانوا يحاربون صفا واحدا مع « الإمام شامل » كانوا يتوجهون للمعارك مع الروس وهم يرتلون القرآن الكريم وينشدون الأناشيد الدينية .

وقد أكدت الكاتبة الأمريكية « لزلى بلانش » حقيقة هذا الوصف لمقاتلى « شامل » فى « حرب القوقاز الأولى » حيث كتبت تقول ص ٢ من كتاب « سيوف الجنة » : « حرب المريدين هى حقبة الشريعة الإسلامية التى قام بإحيائها وفرضها فى شمال القوقاز واستخدمها كمصدر ضد الغزو الروسى . إنها حرب شارك فيها جنود « شامل » من أجل الله ومن أجل الحرية ، وساروا لقتال الروس وهم يرتلون القرآن الكريم وأناشيدهم الدينية وكانت سيوفهم بالنسبة لهم مفاتيح الجنة » .

وتأكيدا للطابع الدينى لحرب القوقاز الأولى اختارت الكاتبة والمؤرخة الأمريكية لكتابها التاريخى الذى غطى « حرب القوقاز الأولى » » اسم « سيوف الجنة »[١] .

ومن الجدير بالذكر أن الصوفية بطريقتيها النقشبندية والقادرية انتشرت فى « الشيشان » بعد الاحتلال الروسى لها وكان لهاتين الطريقتين دور كبير فى الجهاد ضد الروس[٢] .

---

(١) انظـــــر : د. أحمد موسى الشيشانى ، «من هم الشيشان»؟، الشرق الأوسط ـ ١٩٩٤/١٢/٧م.

(٢) انظر : د. محمد حرب ، معلومات أساسية لفهم المسألة الشيشانية ، مجلة الأزهر ـ السنة السابعة والستون شعبان ١٤١٥ هـ ، ص ١٠٧٧ .

وانظر : د. عبدالحميد صالح ، الشيشان : وهل يعيد التاريخ نفسه الأهرام ـ ١٩٩٥/١/٩م .

المبحث الأول

انتشار الإسلام فى «روسيا»

يمكن تقسيم انتشار الإسلام فى روسيا من حيث المكان والزمان إلى ما يلى[٣] :

١ ـ حوض نهر الفولجا (شرق أوربا)[*] :

انتشر الإسلام فى هذه المنطقة فى فترتين :

الأولى : فى بداية القرن الرابع الهجرى، حين انتشر الإسلام بين « البلغار » على ضفاف « نهر الفولجا » عن طريق التجار المسلمين الذين كانوا يتاجرون بالفراء .

الثانية : عندما دخلت القبائل التتارية تلك الجهات فى القرن السابع الهجرى، وما لبثت القبيلة الذهبية من بينها أن اعتنقت الإسلام وكانت منطقتهم شمال « البحر الأسود » وفى حوض « نهر الفولجا » الأسفل .

---

(٣) انظر : د . محمد السيد غلاب ، د . عبد القادر صالح ، محمود شاكر ، البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة فى العالم المعاصر ، عرض محمد كمال جمعة ، مجلة الدارة ـ هدية العدد الثانى ـ السنة الخامسة ـ محرم ١٤٠٠ هـ ـ ديسمبر ١٩٧٩ ـ ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ، ص ١٣١ .

ـ د. محمد السيد غلاب ، د . عبد القادر صالح ، محمود شاكر ، البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة فى العالم المعاصر ، الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود ـ صفر ١٣٩٩ هـ ـ يناير ١٩٧٩ م .

(*) كما دخل الإسلام منطقة القرم ، وهى تابعة الآن لجمهورية أوكرانيا ، وأهم مدنها (استزخان)

وقد تعرض الإسلام فى شرق أوربا للانحسار نتيجة اضطهاد المسلمين على أيدى القياصرة الروس ، ومن بعدهم الحكام الشيوعيون .

٢ ـــ سيبيريا :

بدأ الإسلام ينتشر فى بعض الأجزاء الجنوبية خلال السنوات القليلة التى سبقت الاحتلال الروسى لها فى القرن السادس عشر الميلادى .

٣ ـــ القوقاز :

انتشر الإسلام فى هذه المنطقة فى ثلاث فترات :

الأولى : فى صدر الإسلام ، حيث دخلتها جيوش الفتح سنة ٢٢ هجرية فى عهد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ .

الثانية : فى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى على يد « تيمورلنك » وخصوصا بعض أجزاء من داغستان .

الثالثة : القرن الثامن عشر الميلادى (١٢ هجرى) فى عهد الدولة العثمانية .

المبحث الثانى

انتشار الإسلام فى «القوقاز والشيشان»

كان القرن السابع الميلادى أول احتكاك للمسلمين بمنطقة « القوقاز » لكن انتشار الإسلام فى « القوقاز » كان بطيئا للأسباب التالية :

١ ــ طبيعة القوقاز الجبلية، لم تكن من التضاريس المألوفة للعرب الذين أتقنوا القتال فى السهول والصحارى المنبسطة .

٢ ــ كانت هناك عدة ديانات ومذاهب موجودة فى منطقة « القوقاز » قبل الإسلام مثل المسيحية، واليهودية، والزداشتية، والمانوية الفارسية .

٣.ــ وجود دولة « الخزر فى الداغستان وأذربيجان » وكذلك وجود الكرج (جورجيا) و « الأرمن » المدعومتين من الأمبراطورية البيزنطية .

ويمكن تقسيم انتشار الإسلام فى منطقة « القوقاز » إلى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : عن طريق الفتوحات الإسلامية :

أول اختراق إسلامى « للقوقاز » كان عام ٦٣٩م فى منطقة « أذربيجان » ، حيث خضع حكامها للمسلمين مع احتفاظهم بديانتهم المسيحية ، وعام ٦٤٤م تمكن العرب المسلمون من فتح

« دربند » أو « باب الأبواب » كما سماها المسلمون ، وحاول العرب عام ٦٥٢م التوسع نحو الشمال ، لكنهم هزموا على يد « الخزر » ، وطوال مائة عام تقريبا فإن منطقة ما تسمى الآن بجنوب « داغستان » كانت منطقة نزاع بين المسلمين « ودولة الخزر » ، وفى عهد « مروان بن محمد الأموى » (٧٣٤ ـ ٧٤٣م) تمكن المسلمون من هزيمة « الخزر » نهائيا فى أذربيجان والأجزاء الجنوبية الشرقية من الداغستان .

ورغم أن القائد المسلم « مسلمة بن عبدالملك » تمكن من فتح معظم الأجزاء الباقية من الداغستان ما بين أعوام (٧٣٤ ـ ٧٤٣م) ، وخضعله حكام تلك المناطق من سكانها الوطنيين ، إلا أنه كان خضوعا اسميا فقط ؛ إذ عندما ضعف الحكم الإسلامى ارتد هؤلاء الحكام إلى دياناتهم السابقة .

أما بلاد الكرج (جورجيا)، والأرمن (أرمينيا) فإن المسلمين وصلوها بقيادة « سراقة بن عمرو » فى القرن السابع الميلادى والذى استولى أيضا على أجزاء واسعة من آذربيجان وجعل سراقة عاصمته مدينة تفليس وهى عاصمة جورجيا الحالية[٤] .

واستمر حكم المسلمين لتلك المناطق من القوقاز لمدة طويلة، لكن مع نهاية العصر العباسى بدأت عناصر الحكم الإسلامى تضعف فى

---

(٤) انظر : د . أحمد عادل موسى الشيشانى ، « شهد الإسلام عصره الذهبى فى القوقاز ، على يد الفاتح تيمور لنك » ، صحيفة الشرق الأوسط ١٩٩٥/١/٢٤م .

ـ د. محمد على البار ، المسلمون فى الاتحاد السوفيتى عبر التاريخ ، جدة ـ دار الشروق ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ـ ص ١٤٤ ـ ١٤٦ .

منطقة القوقاز الجنوبى والأجزاء الشرقية الساحلية من الداغستان وانقسمت تلك البلاد إلى عدة دويلات محلية مما سهل على السلاجقة فى آسيا الصغرى (تركيا حاليا) وبلاد الشام احتلال هذه المناطق بعد أن نجحوا فى احتلال إيران وخوارزم ومعظم مناطق آسيا الوسطى . ونظرا لكون السلاجقة مسلمين فقد انتعش الإسلام مرة أخرى فى تلك المناطق بل وامتد إلى المناطق الجبلية من الداغستان وبشكل خاص وسط وشمال وغرب الداغستان .

أما الأجزاء المتاخمة لبلاد « الداغستان » وهى بلاد « الشيشان » و « الأنجوس » فبقيت وثنية بالنسبة للشيشان ومسيحية بالنسبة للأنجوس . وأهم ما يميز هذه المرحلة هو أن التعايش بين الأديان كان طبيعيا فى مختلف مناطق « القوقاز »، والتى لم تشهد أى نزاعات عسكرية قائمة على التعصب الدينى[٥] .

المرحلة الثانية : عن طريق «المغول والتتار» :

ظهور « المغول والتتار » على مسرح الأحداث العسكرية فى العالم العربى والإسلامى واندفاعهم بجحافلهم الهائلة عبر « القوقاز » نحو آسيا الصغرى والعالم العربى أدى إلى ضعف الإسلام فى تلك المناطق ، وارتداد كثير من شعوب « القوقاز » إلى الدين المسيحى ، خصوصاً أن الموجات الأولى من المغول والتتار كانوا إما أتباع مذهب الروحية : (كل شيء فى الكون له روح ، وبأن الروح أو النفس هى المبدأ الحيوى

---

(٥) انظر : د . أحمد موسى الشيشانى ، مرجع سابق ، الشرق الأوسط ١٩٩٥/١/٢٤م.

المنظم للكون) وإما مسيحيين نسطوريين وإما بوذيين ، وجميعهم كانوا معادين للإسلام .

لكن « أوزبك خان » اعتنق الإسلام عام ١٣١٣ م ولكونه كان زعيم القبيلة الذهبية الحاكمة ، فقد كان هذا نقطة تحول بارزة لصالح الإسلام فى منطقة « القوقاز » خصوصاً أن « قبائل النوغاى » التى تقطن السهول والبوادى الممتدة من شبه « جزيرة القرم » إلى « نهر الفولجا » كان لها الفضل الأكبر فى تعريف « الشيشان » و « القبارطاى » ، و « شراكسة البحر الأسود » بالدين الإسلامى .

أما العصر الذهبى للإسلام فى منطقة « القوقاز » ، من حيث ثبات العقيدة الإسلامية بين سكان « شمال القوقاز » ، فقد كان فى عهد الفاتح الكبير « تيمورلنك » ، والذى ضم « آذربيجان » و « الداغستان » ما بين أعوام ١٣٨٥ ـ ١٣٩٥ م ، واهتم « تيمورلنك » شخصيا بنشر الإسلام فى « آذربيجان » ، و « الداغستان » بحيث أصبح الإسلام هو الدين الوحيد لسكان وسط « الداغستان » وهم شعب اللاك والذين أصبحوا بدورهم حماة الإسلام فى « الداغستان » ضد المسيحين والوثنيين هناك[٦] .

وكانت مدينة « غازى » ، قمق عاصمة شعب اللاك هى مركز الإسلام فى « الداغستان » ومصدر الدعاة والمبشرين الأوائل بالإسلام ، والذين وصلوا بلاد « الشيشان » وقبائل « القمق » التركية الأصل فى « الداغستان » والتى كانت مثل « الشيشان » لا تزال وثنية .

---

(٦) المرجع السابق ، الشرق الأوسط ١٩٩٥/١/٢٤م.

فى الوقت نفسه ، فإن «تيمور لنك» وجه ضربة قوية لأقوى قوة مسيحية فى وسط شمال القوقاز ، وهى مملكة شعب الآلان ، والذين هم أجداد الأوسيتين الذين يعيشون الآن فى «أوسيتيا الشمالية والجنوبية» وفى عهد «تيمور لنك» أصبحت شعوب «الكاتياك» اللادينية واللزجيين و«الآفار» فى «الداغستان» مسلمين ، أما بقية شعوب «الداغستان» مثل الديدو والأنيين فقد بقوا مسيحين لغاية عام ١٤٦٠ م .

وفى نهاية القرن الخامس عشر ، ظهرت قوتان إسلاميتان فى القوقاز الشمالى وهما : «تركيا العثمانية» و«خانية القرم» ، وكان لهاتين القوتين الفضل الكبير فى تحول سكان «أبخازيا» من المسيحية للإسلام وكذلك شراكسة الشرق (القبارطيون والأباظة) ، وشراكسة الغرب (الأديجيون) .

أما فى القوقاز الجنوبى الشرقى فإن «الدولة الصفوية» الحاكمة لإيران قامت بغزو درنبدوخانية شيروان عام ١٥٣٨ م وبالتالى أصبح المذهب الشيعى هو السائد فيما يسمى الآن «آذربيجان» .

وفى منتصف القرن السادس عشر انتشر المذهب الشافعى فى «الداغستان» بينما انتشر المذهب الحنفى التركى فى «غرب شمال القوقاز» وحتى ذلك الوقت باستثناء مجموعات قليلة من الزعماء والنبلاء ، فإن معظم «الشيشان» و«الشراكسة» : (القبارطاى) ، وكذلك قبائل القرتشاى والبلقار والأنحوش والأوسيتين إما وثنيين أو مسيحيين[٧] .

---

(٧) المرجع السابق ، الشرق الأوسط ١٩٩٥/١/٢٤م.

المرحلة الثالثة عن طريق العثمانيين وخانات القرم .

بدأ الاحتكاك الروسى المنظم نحو شمال القوقاز عام ١٥٥٦ م من خلال بناء مستعمرات وقلاع حصينة على امتداد نهر التيرك يقوم بحراستها شعوب القوزاق المسيحية التى كانت تنتشر حول موسكو ، وبولندا وفى أوكرانيا ، والتى قامت روسيا القيصرية بإخضاعها . ولكن العثمانيين وحلفاءهم خانات شبه جزيرة القرم تصدوا لهذا التوسع الروسى باتجاه شمال القوقاز .

وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر كثف «خانات القرم» و«الأتراك العثمانيون» جهودهم لنشر الإسلام فى الأجزاء الشمالية الغربية والوسطى فى «شمال القوقاز» ، وبشكل خاص بين شراكسة البحر الأسود وهم الأديجيون ، وبين قبائل القرتشاى والبلكار والأباظة ، والأبخاز . وقام الأتراك عام ١٦٢٧ م بغزو الأجزاء الجنوبية الغربية من جيورجيا واعتنق قسم من سكانها الدين الإسلامى وهم شعب أدجاريا الحالى وعاصمتهم باطومى على ساحل البحر الأسود[٨] .

وقد وطد الإسلام أركانه فى هذه الربوع خلال القرن الثامن عشر الميلادى بفضل الطريقة النقشبندية وانتشارها بشكل كبير فى هذه الربوع . وقد لعبت هذه الطريقة الصوفية ومازالت ـ دوراً هاماً فى الحياة الاجتماعية بل والسياسية للبلاد[٩] .

---

(٨) المرجع السابق .

(٩) انظر : د . عبد الحميد صالح ، الشيشان : وهل يعيد التاريخ نفسه ، الأهرام ١٩٩٥/١/٩م.

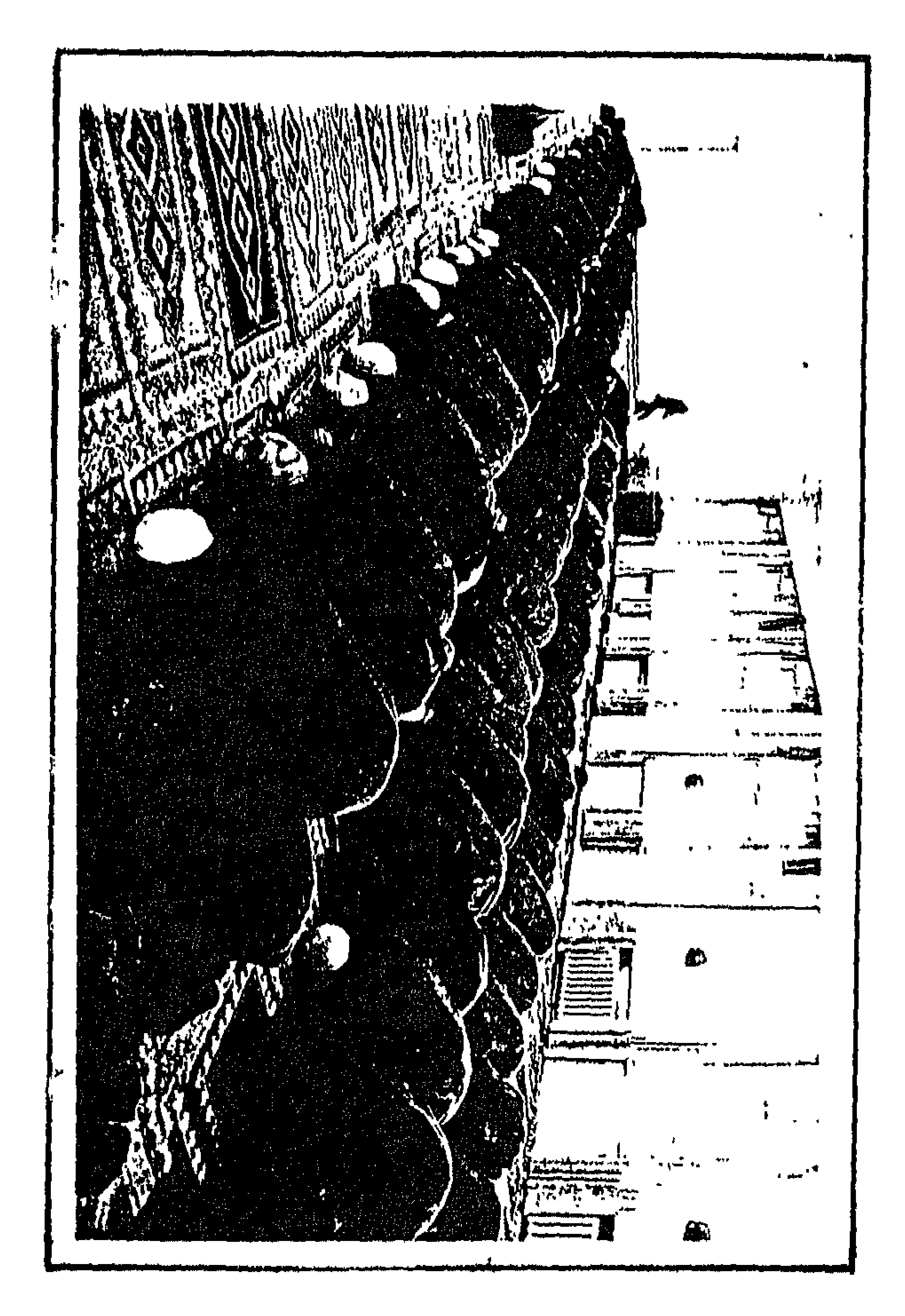
وتعزز هذا الدور بدخول الطريقة القادرية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر على يد كونتاحاجى كيشييف الذى أخذ التصوف وتلقن الذكر عن مؤسس الطريقة الشيخ عبد القادر الجيلانى ببغداد أثناء مروره بها فى طريقه إلى مكة المكرمة للحج . وقد ظلت هذه الطرق الصوفية تعمل حتى فى عصر الشيوعية كمنظمات سرية فى سبيل الاستقلال والحرية . ومن عجائب المفارقات أن هذه الطريقة كانت وحتى وقت قريب تضم بين ظهرانيها أعضاء الحزب الشيوعى والإدارة الروسية ، ولكن يبدو كما ذكر المحللون السياسيون أن الولاء للطريقة قد فاق الولاء للحزب[10] .

كما يلاحظ أنه كان فى بلاد الشيشان فى عام ١٨٣٧ م (٣١٠) جوامع مفتوحة للعبادة ، وقد وصل هذا العدد عام ١٩٧٨ م فى أثناء الحكم الشيوعى إلى النصف إلا أن هذا العدد أخذ فى الصعود مرة أخرى فى عهد جورباتشوف[11] .

---

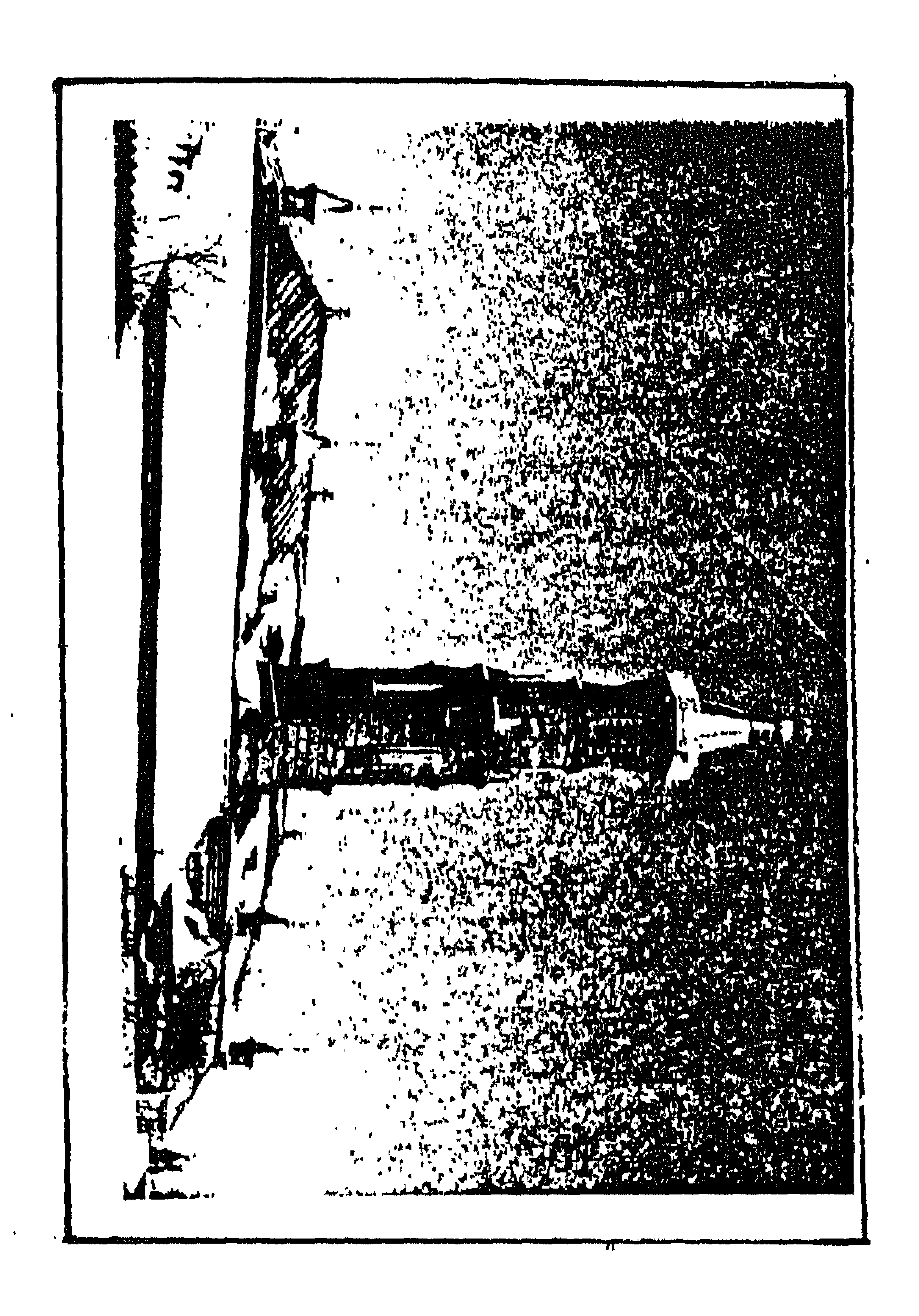
(١٠) المرجع السابق .

(١١) انظر : د . محمد حرب ، مرجع سابق ، ص ١٠٧٧ .



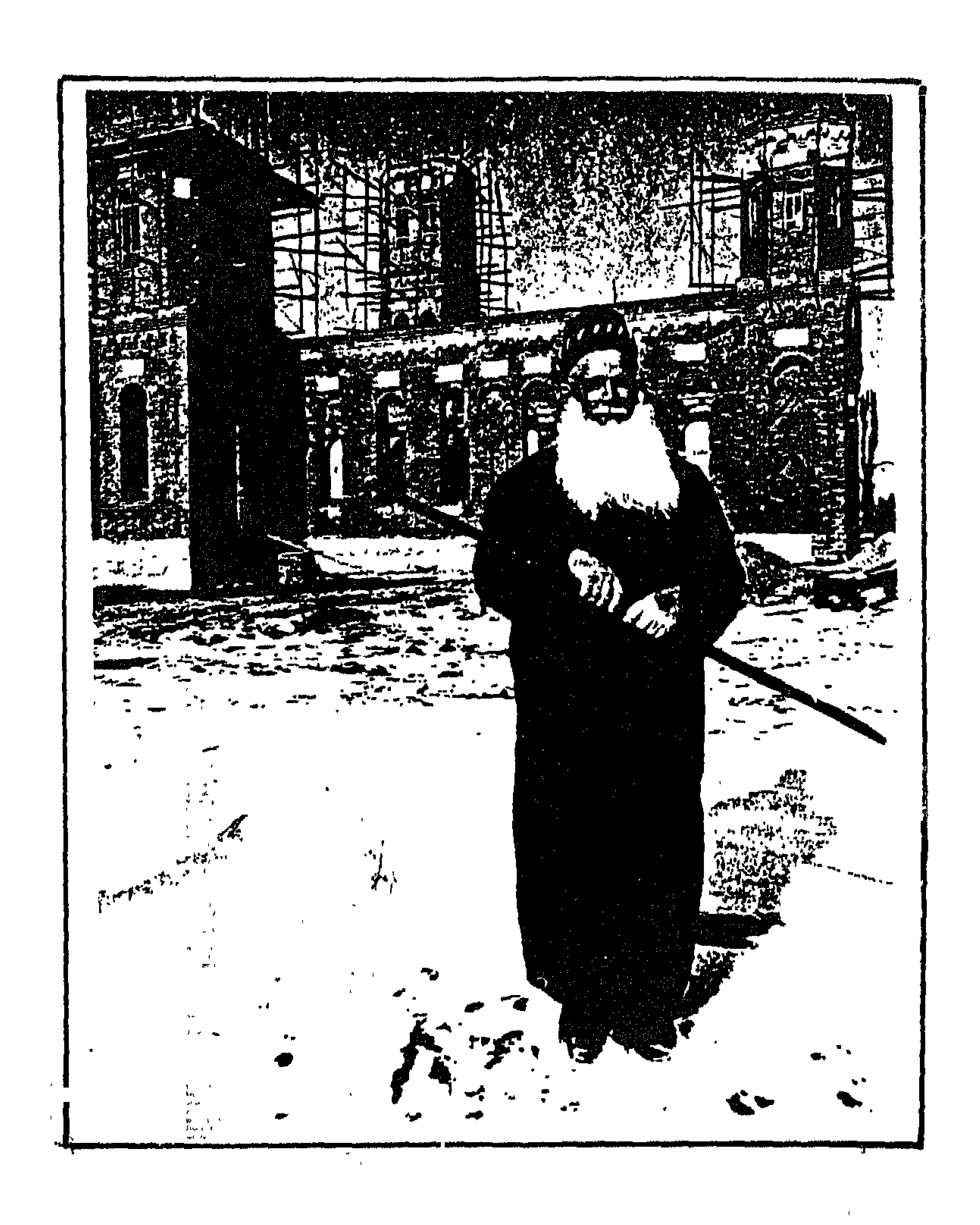
المسلمون فى الشيشان يسجدون لله

المصدر : جوهر داوديف ، صعوبة الطريق إلى الحرية

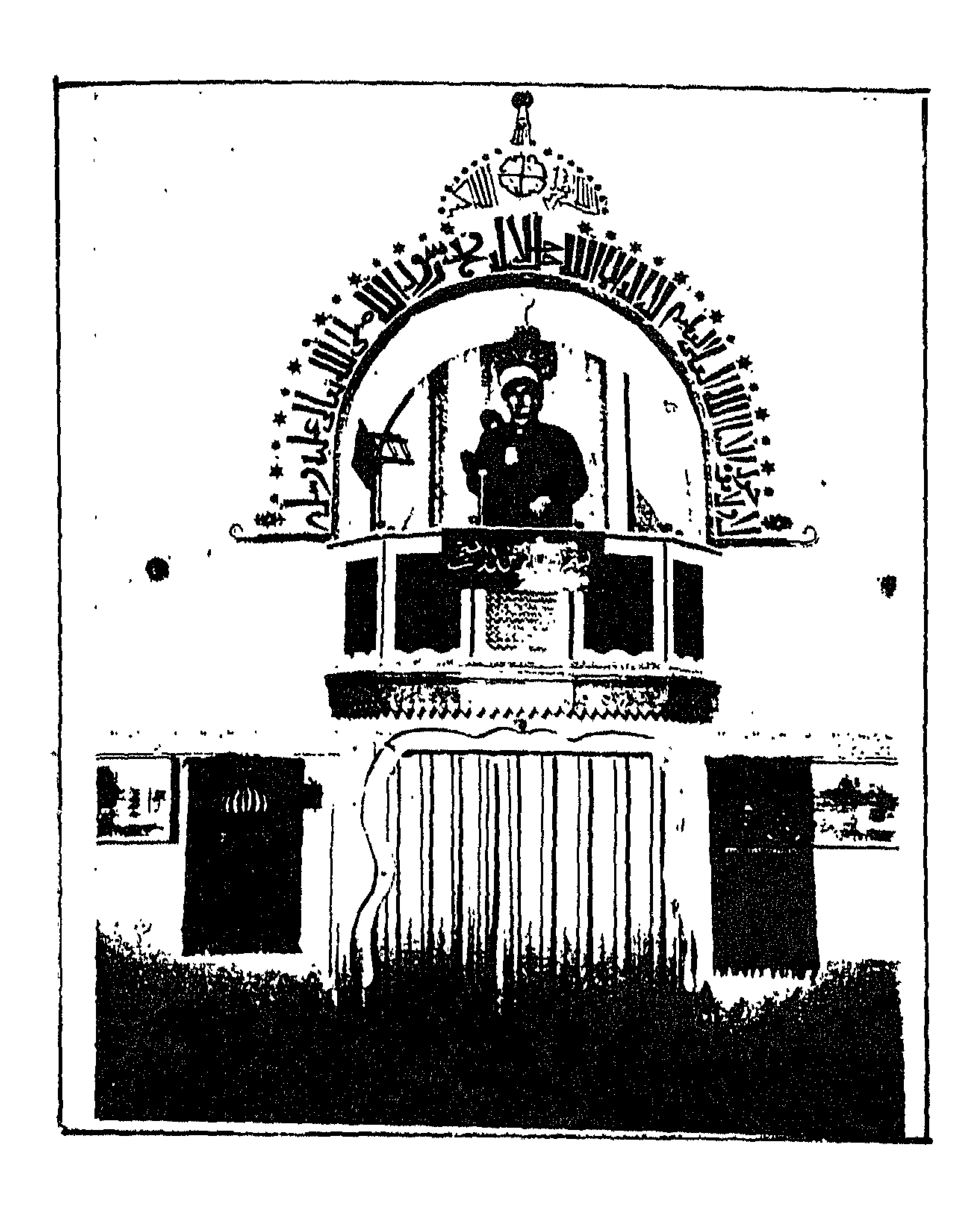


مأذنة مسجد فى الشيشان على الطراز المعمارى العثمانى

المصدر : جوهر داوديف ، صعوبة الطريق إلى الحرية



أحد العلماء يشرف على بناء مسجد بمواد خام من البيئة المحلية
المصدر : جوهر داوديف ، صعوبة الطريق إلى الحرية



إمام وخطيب منسجد يدعوا إلى الله فى أحد مساجد الشيشان
المصدر : جوهر داوديف ، صعوبة الطريق إلى الحرية

الفصل الثالث

التوسع الروسى القيصرى فى القوقاز والشيشان

- تمهيد .
- المبحث الأول : المرحلة الأولى من التوسع الروسى فى القوقاز .
- المبحث الثانى : المرحلة الثانية من التوسع الروسى فى القوقاز .

الفصل الثالث

التوسع الروسى القيصرى فى القوقاز والشيشان

تمهيد :

لقد بدأت الأطماع الروسية فى القوقاز قبل أكثر من ألف عام وبالتحديد عام (٩٤٣م) حين بدأ المغامرون الروس فى الإبحار جنوبا من نهر «الفولجا» إلى «بحر قزوين» واستولوا على قلعة «باردا» فى ألبانيا القوقازية ، ونتيجة الصراعات الداخلية المستمرة بين الإمارات القوقازية اضطر بعض هؤلاء إلى طلب المعونة الروسية ضد غرمائهم. وكان بطرس الأول (الكبير) أول من أدرك نقاط الضعف القاتلة عند الأمراء القوقازيين فاستغل انشغالهم بالاقتتال الداخلى واستولى على ممر دربند الحيوى عام ١٧٢٢م ، ثم احتل «باكو» فى السنة التالية ، وفى عام ١٧٧٠ م، عبر المقاتلون الروس ــ ولأول مرة ــ جبال القوقاز واحتلوا «كوتايس» وما أن حل عام ١٧٨٥م حتى تحولت جميع المناطق الشمالية من القوقاز إلى ولاية روسية .

أما جورجيا فقد ضمت إلى الأراضى الروسية فى بداية القرن التالى(١)

---

(١) انظر : عبدالوهاب ولى «القوقاز متحف الأجناس واللغات»، صحيفة الشرق الأوسط ــ ١٨/١/١٩٩٥م

ويرى الباحث التركى «نادر دولت» ـــ فى كتابه (تاريخ الكفاح القومى لأتراك روسيا ـ منشورات معهد أبحاث الثقافة التركية ـــ أنقرة ١٩٨٥ م) ـ أن سقوط إمارة «قازان» التركية فى يد القيصر «إيفان الرابع» عام ١٥٥٢م كان بداية الزحف الروسى نحوِ الجنوب، وأول خطوة فى تأسيس الأمبراطورية الروسية القيصرية ؛ لأن إمارة قازان ظلت ولزمن طويل حائلا منيعا ضد وصول الروس إلى بحر قزوين (بحر الخزر) عبر نهر الفولجا (نهر إتل) وانتشارهم فى منطقة «الأورال» الجنوبية، ومع سقوط إمارة قازان أصبح الطريق مفتوحا للاستيلاء على الإمارات التركية فى المنطقة حربا أو سلما، ولأول مرة استطاعت روسيا الوصول إلى سواحل «بحر قزوين» والانتشار فى منطقة الأورال، ومن ثم أصبح الطريق سهلا أمامهم للوصول إلى سيبيريا وتركستان .

كما أن تحول روسيا إلى جارة للامبراطورية العثمانية هو إحدى نتائج سقوط «إمارة قازان» ، لأنه بعد احتلال «قازان» سقطت إمارة «استراخان» (الحاج طرخان) بيد الروس عام ١٥٥٤م[٢]

ولم يمض سوى وقت قصير حتى بدأ الروس الزحف إلى القوقاز عبر سواحل «نهر تيرك» TEREK من جهة وباتجاه «قلعة آزاق» والمناطق المحيطة بها . وفى حروب متواصلة استمرت من ١٥٥٨م إلى ١٥٨٢م استولت روسيا على مناطق كثيرة فى طريقها إلى سيبيريا إلى أن اغتصبت

---

(٢) انظر : عبدالوهاب ولى، المرجع السابق، وانظر أيضا :

Nadir Devlet Rusya Tuklerinin Mili Mucadcle Tarihi, Turk Kulturunu Arastirmo Emstitusu Ankra, 1985.

« إمارة سيبيريا » عام ١٥٩٨م ، وبذلك أصبح الطريق ممهدا للوصول إلى الصين عبر « سيبيريا » وإلى « الهند » عبر « تركستان » وإلى إيران وتركيا عبر القوقاز ـــ غير أن الحلم الروسى هذا لم يتحقق بسبب المقاومة العنيفة التى أبدتها تركستان أمام زحفهم بينما استمر تقدمهم فى مناطق أخرى .

وبين عامى ١٥٩٣م و١٦٠٣م أصبحت كل مناطق سيبيريا تحت النفوذ الروسى وفى عام ١٦٠٤م استولوا على إمارة « نوغاى » الواقعة بين « استراخان والقرم » واستولوا على « الإمارة القرغيزية » عام ١٦٢٨، أما إمارة « كوجوك جوز » القزقية فقد وقعت فى أيديهم عام ١٧٣١م واستولوا على « القرم » عام ١٧٨٣، وعلى شمال « القوقاز » فى ١٨٥٩م، وعلى مدينة « طشقند » عام ١٨٦٥م، وسقطت « إمارة بخارى » فى أيديهم عام ١٨٦٨م « وإمارة خيوه » عام ١٨٧٣م، و « إمارة خقند » عام ١٨٧٦م وخلال معارك شرسة استمرت أربعة أعوام (١٨٨٠ ـــ ١٨٨٤م) استولوا على « تركمانستان »، وبذلك وقعت كل المناطق التركية ماعدا « تركستان الشرقية » تحت الاحتلال الروسى .

كما أعلنت قبيلتان كبيرتان فى القوقاز الوسطى ولاءهما لروسيا وهما : « الأوسيتيون عام ١٨٠٢م » و « اللزجيين » عام ١٨٠٣م وسقطت « منجرليا » عام ١٨٠٤م، و « إمارة إمبريتى » عام ١٨١٠م وبموجب معاهدة « جولستان » التى عقدت عام ١٨١٣م تنازلت الدولة الفارسية لروسيا عن مساحة كبيرة تمتد من أراض « لنكوران » شمالا إلى « دربند »

ثم اغتصبت روسيا من الدولة الفارسية شريطا واسعا من السهول الشمالية لأرمينيا من ضمنها كل سهول « بريقان »[٣].

ويشهد التاريخ أن روسيا القيصرية لاقت إبان زحفها على القوقاز مقاومة عنيفة من قبل الأديج الشركى والشيشان والداغستان وكانت السياسة التوسعية الاستعمارية لروسيا القيصرية فى شمال القوقاز موجهة نحو حصرهم فى الجبال وسلبهم المراعى والمناطق الزراعية. وفى الوقت نفسه فرضت الإدارة القيصرية بالإكراه قواعد جديدة للنظام السياسى والإدارى فى المنطقة، وقضت على الأحكام والمؤسسات الاجتماعية التى تشكلت على مدى قرون لدى هذه الشعوب[٤].

وكان الأديجون (الشركس) والشيشان فى طليعة من هب للنضال ضد المستعمرين الروس الذين قمعوا حركتهم بلا رحمة. وفى عام ١٧٨٥م ظهر على مسرح الحوادث فى القوقاز الشيخ منصور (الشيشانى) الذى التف حوله الآلاف من الشيشان وقسم من الأديج والداغستان . وكان الشعار الرئيس للشيخ منصور : تطهير النفس على أسس وقواعد الشريعة الإسلامية والدعوة إلى الحرية . ثم وقع الشيخ منصور فى الأسر وجرى التنكيل بأنصاره وبهذا اختتمت المرحلة الأولى من الحرب ضد المستعمرين الروس[٥] .

---

(٣) انظر : المرجع السابق .

(٤) د. دينجا خالدوف (أستاذ بجامعة محج قلعة بداغستان)، صحيفة اليوم (موسكو) والمنشور بصحيفة الشرق الأوسط ــ ١٩٩٤/١٢/١٧م، بعنوان رأى مؤرخ من داغستان .

(٥) انظر : د. ينجا خالدوف مرجع سابق ــ الشرق الأوسط ١٩٩٤/١٢/١٧ م

وترتبط المرحلة الثانية من غزو شمال القوقاز باسم «الجنرال ألكسى يرملوف(١٨١٨ ـــ ١٨٢٧)» وقد عرف هذا الجنرال بقسوته وترك فى الذاكرة التاريخية لأبناء جبال القوقاز بصمات الحقد عليه وعلى الإدارة القيصرية . وفى هذه المرحلة ظهر الإمـــام غازى مولا (داغستانى) وقاد الداغستانيين والشيشانيين فى أعوام (١٨٢٨م ـــ ١٨٣٢م)، وسار على نهج الشيخ منصور ، واعتباراً من عام ١٨٣٤ م بدأ عهد «الإمام شامل» الذى يعود إليه الفضل فى إقامة نظام إدارى وسياسى وقانونى توحد فى إطاره أبناء شعوب الداغستان والشيشان وقسم من غرب القوقاز فى دولة واحدة. وكان لهذه الدولة جيش واحد (بلغ تعداده فى أفضل الأوقات حوالى ٢٠ ـــ ٢٥ ألف رجل) وسلطة تمثيلية بشكل مؤتمرات وهكذا ترسخت روح الاستقلال وتقاليد الإدارة المستقلة على أساس الشريعة الإسلامية، وأصبحت أساس الدولة التى أقامها «شامل» مما أتاح لشعوب شمال القوقاز الصمود على مدى حوالى ٣٠ عاماً أمام قوات القيصر المتفوقة فى العدد والعدة[٦]

وفى نهاية الأربعينيات ومطلع الخمسينيات من القرن التاسع عشر وجهت لمحاربة الإمام شامل قوات روسية قوامها (٢٠٠) ألف مائتا ألف رجل ـــ أى حوالى ثلث عدد أفراد الجيش القيصرى آنذاك ـــ وعانى الشعب الشيشانى أكثر من غيره من هذه الحرب، لكن المعركة غير المتكافئة لم تستمر طويلا. واضطر أبناء جبال القوقاز بسبب الظروف

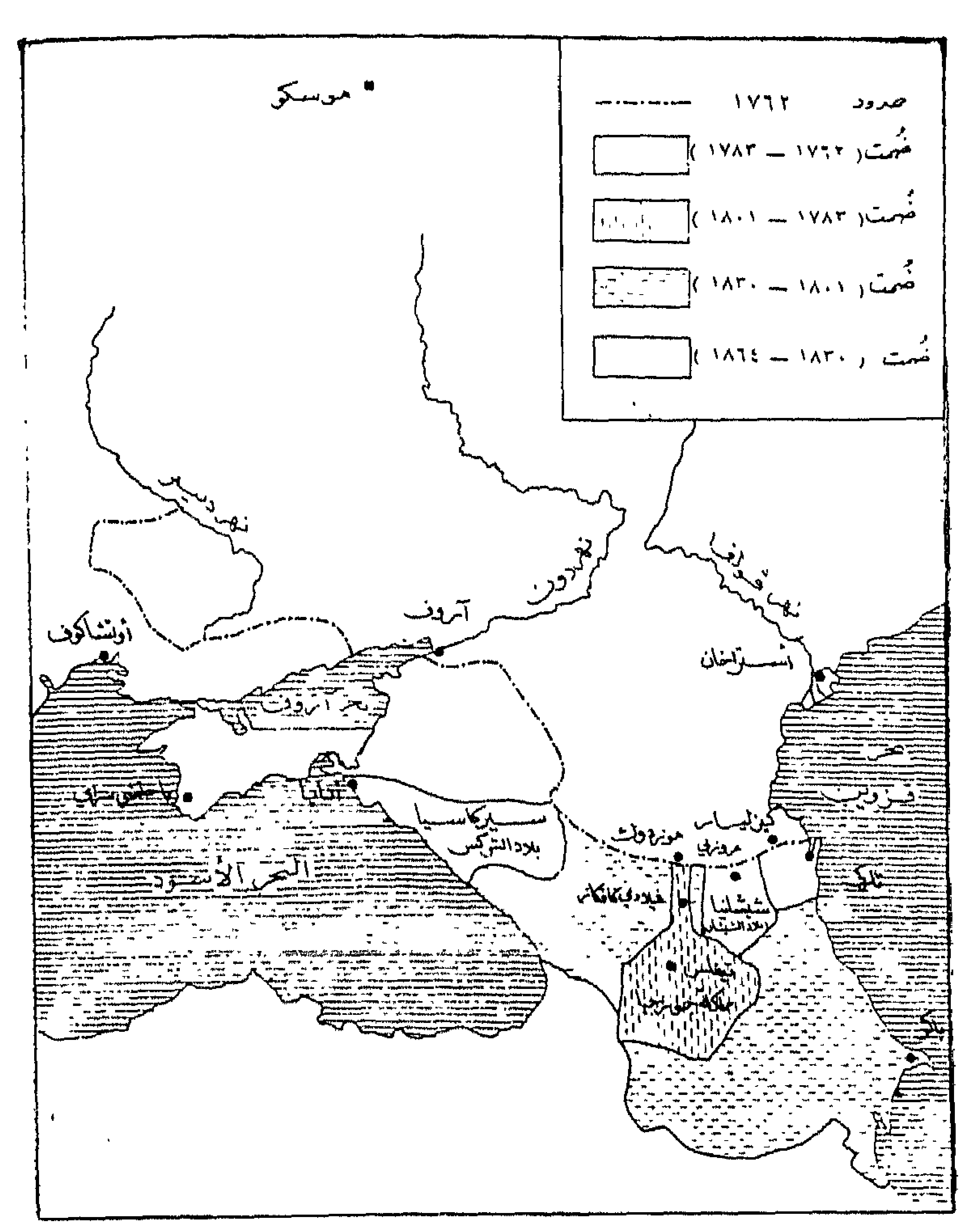
---

(٦) انظر : المرجع السابق .

القاسية كالجوع والخسائر البشرية إلى القبول بهزيمتهم فاستسلم الشيشانيون والداغستانيون فى أغسطس عام ١٨٥٩م وتلاهم الأديجيون ـ الشركسى فى مايو عام ١٨٦٤ وتم طرد الشراكسة من أوطانهم واستقروا فى أراضى الدولة العثمانية .

وحين اندلعت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا ساند العثمانيون المهاجرين الشراكسة فى محاولتهم استعادة وطنهم إلا أن المحاولة لم تأت بأى ثمرة ، وانتفاضة الشعوب القوقازية لم تخمد كليا، بل استمرت حتى قيام الدولة البلشفية عام ١٩١٧[٧]

(٧) انظر : المرجع السابق .



حريطة التوسع الروسى نحو الحنوب ١٧٦٢ ـ ١٨٦٤ .

المصدر :ر.وبرت كونكست ، قتلة الأمم ، (الترجمة العربية) ص ٢٧

المبحث الأول

المرحلة الأولى من التوسع الروسى فى القوقاز

توسع روسيا فى المنطقة كلها أمر حديث جدا فقد قامت أول مملكة روسية فيما يسمى الآن «أوكرانيا»، لكن المغول قضوا عليها فى العصور الوسطى .

أما روسيا الجديدة التى نشأت حول موسكو فإنها توسعت شمالا، وشرقا، وجنوبا[^٨].

ومنذ القرن الثالث عشر الميلادى، كانت السهول المفتوحة المكشوفة فى روسيا الجنوبية والشرقية بما فيها «القرم» تحتلها خانية (إمارة) التتار التابعة للقبيلة الذهبية، وكان الأمراء الروس الذين يحكمون نطاق الغابات الشمالى أتباعا لـ (الخان) التترى .

---

(٨) توسعت موسكو فى ثلاثة اتجاهات :

(أ) شمالا حيث دمجت القبائل الفنلندية التى تسكن الآن روسيا الشمالية، وصبغتها بالصبغة الروسية .

(ب) وشرقا عبر المساحات الواسعة الخالية نسبيا من السكان فى سيبيريا، حيث وصلت إلى المحيط الهادى فى القرن السابع عشر .

(جـ) وجنوبا بصورة أبطأ بكثير، إلى المنطقة التى كانت قد قامت فيها دول كبيرة مسلمة، وبوذية منذ زمن طويل .

وعندما تفككت عرى القبيلة الذهبية فى القرن الخامس عشر، وحصلت روسيا على استقلالها كانت خانية (إمارة) القرم، إحدى الدول التى قامت على أنقاض تلك القبيلة. ومنذ السبعينيات من القرن الخامس عشر (١٤٧٠م) دخلت هذه الإمارة تحت سيطرة الأتراك، وهم ينتمون إلى نفس الدين الذى تنتمى إليه الخانية (الإمارة) أى كانوا مسلمين وفى أوقات مختلفة كانت الخانية تشغل مساحة واسعة تمتد من «مولدافيا» حتى القوقاز وحتى أواخر أيام استقلالها كانت تغطى مساحات واسعة من «جنوب أوكرانيا، ومنطقة الكوبان»(٩)

وكانت بلاد القرم على اتصال دائم ووثيق مع الحضارات الرئيسة فى أوربا. ووقف تتار القرم حائلا أمام التوسع الروسى قرابة ثلاثة قرون. وفى سنة ١٥٧١م احتلوا «موسكو».

وكانت المنطقة المسماة الآن «أوكرانيا» منطقة حاجزة وخالية بين الخانات والقياصرة لكن حدود الروس كانت تندفع نحو الجنوب بالتدريج ، وذلك عن طريق مستوطنات القوزاق والمغامرين الغرباء . .

ولم يتمكن بطرس الأكبر من ضم أراضى «آزوف» الواقعة على «بحر آزوف» إلا فى أوائل القرن الثامن عشر، وبذلك وصل ــ لأول مرة ــ إلى المياه الجنوبية ولكن جيشه أصيب بكارثة على نهر البروت

---

(9) Robert Conquest, The Natian Kllers, : The Soviet Deport Atian of Natienalities, Macmillan, 1970

ترجمة، صادق إبراهيم عودة، ط ١، للترجمة العربية ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م، الناشر : د. طه سلطان مراد ــ الزرقاء ــ الأردن، ص ٢٠

عام ١٧١١م، واضطر للتخلى عن المدينة، ولم تحصل روسيا على موطىء قدم نهائى على بحر آزوف حتى عام ١٧٣٩م[١٠] .

وبازدياد قوة روسيا ، وضعف تركيا فإن الوضع فى « القرم » تحدّر أمْنُه بالتدريج، وفى سنة ١٧٨٣م ضمت « القرم » إلى روسيا. ومع أن التتار أبدوا كل مظاهر العداء العنيد نحو المستعمرين الروس. إلا أنه كان من السهل قمع ثوراتهم بسهولة نسبية، وعبروا عن آرائهم ومواقفهم بهجرة واسعة النطاق إلى تركيا، لا سيما بعد حرب القرم[١١] .

التوسع الروسى فى اتجاه القوقاز (القفقاس) :

كان التوسع الروسى فى اتجاه القوقاز أكثر سرعة ؛ ذلك لأن انهيار « خانية أستراخان » عام ١٥٥٦م ترك ما يسمى الآن بفراغ القوة فى المنطقة الواقعة بين تلك المدينة وشمال القوقاز، وتنازع السلطة على هذه المنطقة كل من خانات القرم، والفرس، وخانات استراخان، وذلك لفترة طويلة باستمرار، وأصبحت روسيا الآن الدولة التى خلفت « خانية استراخان »[١٢] .

وسيطر على شمال شرق القوقاز (القفقاس) كيانان سياسيان محليان :
الأول : نوع من الكيان الاتحادى الفيدرالى، وهو أمراء القبرطاى .
الثانى : إمارة تاركى التى يرأسها شفكال (أى الحاكم) وكانت تقع شمال داغستان .

---

(١٠) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٠
(١١) انظر : المرجع السابق ، ص ٢١
(١٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٢

وحالما سقطت استراخان، قرر «إيفان الرهيب» إنشاء قلعة «تركا» على مصب نهر «تيرك» وفى عام ١٥٦٠م قامت قوة روسية بمهاجمة الشفكال (الحاكم) تأييدا للقبرطاى .

وفى عام ١٥٦١م تزوج إيفان من ابنة «تمريوك» أحد أمراء القبرطاى، ومنذئذ ادعى الروس أن القبرطاى خضعوا لهم .

وقام الشفكال عام ١٥٩٣ ـــ ١٥٩٤م بإيقاع هزيمة بقوة روسية كما لحقت الهزيمة بالروس فى عام ١٦٠٤ ـــ ١٦٠٥م، واضطروا للتخلى عن قلاعهم المتقدمة ولم يحدث أى تحرك إلى الأمام خلال بقية (القرن السابع عشر)[١٣] .

وفى العشرينيات من القرن الثامن عشر قرر «بطرس الأكبر» أن يستولى على المقاطعات الفارسية على بحر قزوين ، وفى سنة ١٧٢٢ قام «بطرس الأكبر» بنقل جيش عن طريق البحر من «استراخان» إلى ساحل «داغستان»، واحتل المنطقة حتى «مدينة باكو»، لكن الروس أُرْغِمُوا بين سنتى ١٧٢٩م ـــ ١٧٣٥م على التخلى عن جميع المقاطعات التى ضمها، بما فيها «دربند» و«باكو» التى لم تعد لحكم الروس حتى القرن التاسع عشر[١٤] .

غير أن «الامبراطورة كاترين الثانية» أقرت عام ١٧٧٧م مشروعا ينص على إقامة (خط القوقاز) وهو سلسلة من القلاع والمستوطنات

---

(١٣) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٣

(١٤) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٤

القوزاقية (لكازاكية)، ممتد من وادى «نهر تيرك» حتى «بحر أزوف»، وفى سنة ١٧٧٩م قدم حكام القبرطاى الكبرى والصغرى ولاءهم وخضوعهم[١٥] .

وعاد الروس عام ١٧٨٣م للاحتكاك ثانية بالقوقاز بعد أن جهزوا قوة كبيرة، وركزوا جهودهم للقضاء على الوجود التركى فى شبه جزيرة القرم، والأجزاء الشمالية الغربية من القوقاز (بلاد شراكسة الأوديجيين)، وإقليم أبخاريا، وجاءت هذه الانتصارات الروسية فى عهد كاترين الثانية[١٦]

وطوال سنوات العداء السابقة بين روسيا والأتراك وحلفائهم «خانات القرم» ، فإن القتال من الأتراك وخانات القرم لم يأخذ طابع الحرب الواجبة أو الجهاد، بل كان بالدرجة الأولى صراعا سياسيا أكثر منه دينيا بين الطرفين، ويمكن وصف حروب الروس مع الإيرانيين الصفويين فى آذربيجان وجورجيا بنفس الطابع السياسى البعيد عن عامل الدفع الدينى رغم أن حجة الروس فى غزو جورجيا فى نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر تحت ذريعة حماية سكان جورجيا النصارى وكذلك الأرمن من وحشية الأتراك والإيرانيين[١٧] .

---

(١٥) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٤

(١٦) انظر : د.أحمد موسى عادل الشيشانى ، مرجع سابق ، الشرق الأوسط ١٩٩٥/١/٢٤م .

(١٧) د.أحمد موسى عادل الشيشانى ، مرجع سابق الشرق الأوسط ــ ١٩٩٥/١/٢٤م .

وفى عام ١٧٨٥م ظهر فى مدينة «الدى» ببلاد الشيشان الإمام منصور أو «أشورما» كما لقبه الروس وكان ظهوره بداية حرب جديدة لم تألفها روسيا القيصرية من قبل، وهى حرب «الجهاد الواجب» الذى نادى به الإمام منصور كوسيلة دينية سياسية عسكرية لتوحيد شعوب شمال القوقاز التى كان معظمها فى ذلك الوقت قد اعتنق الإسلام، وحيث إن الإمام كان من أتباع الطريقة النقشبندية فإن حركته المسلمة هذه سميت بالحركة النقشبندية التى انتشرت فى «بلاد الشيشان» بشكل واسع وسرعان ما تجاوب مع الإمام شعوب الداغستان والقبرطاى والنوغاى .

وتجمع لديه جيش ضخم استطاع به إلحاق هزائم عديدة بالروس فى شمال القوقاز ورغم أن «الامبراطورة كاترينا» لم تكترث فى بادىء الأمر بالإمام منصور وحركته فى بلاد الشيشان إلا أن هزيمة الكولونيل «بيرى» الذى أرسله «بوتمكين» للقضاء على الإمام بقوة ضخمة، جذبت انتباه كاترينا لهذا الخطر الذى ظهر فجأة ضد أطماعها فى شمال القوقاز .

وبعد توالى انتصارات الإمام منصور فى بلاد الشيشان والداغستان، أرسلت كاترينا جيشا ضخما بقيادة الكولونيل ناجل استطاع أن يهزم الإمام فى معركة «تتارتوب» بتاريخ ١٧٨٥/١٠/٣٠م على نهر التيرك، وبالتحديد فى موقع بلدة «الخوتوفو» الواقعة أمام أوسينيا الشمالية، إلا أنها كانت هزيمة غير كاملة، لأن الإمام منصور انسحب من المعركة بعد

أن شعر بأنه سيخسر نتيجة التفوق العددى الكبير للروس وعاد لمسقط رأسه ببلاد الشيشان[18] .

وعندما بدأت بوادر حرب روسيا وتركيا عام ١٧٨٧م استنجد الأتراك بالإمام منصور ، ولبى هذا النداء وظهر فجأة بين الشراكسة فى الغرب الذين التفوا حوله وقاموا بمهاجمة القوات الروسية من الخلف وفى الذكرى السنوية لمعركة « تتارتوب » هاجم الإمام ومعه الشراكسة ثلاثة أفواج من قوازق الدون وأبادوهم .

وفى سبتمبر عام ١٧٨٧م هاجمت القوات الروسية قلعة « أنابا » على ساحل البحر الأسود، فقام الإمام منصور بالهجوم على الروس من الخلف فى « منطقة أوبون » وقتل ثلاثة آلاف جندى روسى فى هذه المعركة ، وإثر هذه المعركة تم عزل « الجنرال توكالى » وحل محله « الجنرال بيبكوف » وأيقن الروس بأن احتلال « أنابا » لن يتم إلا بهزيمة الإمام منصور أولا . وكان الأتراك قد أرسلوا حسين باشا (بطال باشا) للدفاع عن « أنابا » على رأس جيش قوامه ثلاثون ألف رجل مزودين بالمدافع والذخيرة والمؤن، وفور وصوله لأنابا، قام بطال باشا بمعاملة الإمام منصور ومتطوعيه من الشيشان والشراكسة بجفاء وعجرفة عندما قدموا للترحيب به ونتيجة لهذه المعاملة غير اللائقة غادر الإمام منصور

---

(١٨) انظر : جون بادلى ، احتلال الروس للقفقاس، ترجمة صادق إبراهيم عودة ، الزرقاء ــ الأردن الطبعة الأولى ــ ١٩٨٧م ص ٨٥ ــ ٨٩ ، وانظر أيضا : د. أحمد موسى الشيشانى، «ثورة الشيخ منصور أجهضبت أحلام القياصرة فى إلقوقاز» ، الشرق الأوسط ١٩٩٥/١/٢٥م .

ومتطوعوه أنابا، وبإلحاح السلطان العثمانى والشراكسة، عاد الإمام منصور لأنابا للدفاع عنها وفشل الجنرال بيبكوف فى احتلال «أنابا» وتم استبدال «الجنرال بيلمان» به وبتنسيق مع الأتراك خرج الإمام من حصن أنابا ومعه مقاتلوه لمهاجمة قوات «الجنرال جيرمانيين» أحد مساعدى «بيلمان» وجرت معركة «كبيروسكوى» التى اضطر الإمام فيها للانسحاب لأن القوات التركية لم ترسل التعزيزات التى كان قد اتفق على إرسالها أثناء المعركة[١٩] .

عاد الإمام منصور ثانية لأرض المعركة واضطر «الجنرال جيرمانيين» للانسحاب. وبعد مسلسل الفشل الروسى فى احتلال «أنابا» قامت الإدارة الروسية بتعيين «الجنرال غوردوفيتش» لقتال الأتراك والإمام منصور وأرسلت له تعزيزات كثيرة من السلاح والجنود، وبعد اكتمال وصولها قام «غوردوفيتش» بالهجوم على «أنابا» فى ١٧٩١/٦/٢١م وتمكنت القوات الروسية من دخولها بتاريخ ١٧٩١/٦/٢٢م، وفاوض الأتراك الروس بعد دفاع أسبوعين وقبلوا الاستسلام رغم احتجاج الإمام منصور ومتطوعيه وحثهم القائد التركى على المقاومة لآخر رجل وكان الإمام منصور ومتطوعوه فى الشيشان والداغستان والنوغاى والشراكسة هم الذين قاوموا الروس بعد دخولهم المدينة ــ وسقط الإمام جريحا فتم أسره ونقله إلى الإمبراطورة كاترينا التى رغبت فى رؤية هذا الشيشانى الذى كان مصدر

(١٩) انظر : جون بادلى ، مرجع سابق ، ص ٨٩ ــ ٩٩ ، وانظر أيضا : د. أحمد موسى الشيشانى ــ الشرق الأوسط ــ ١٩٩٥/١/٢٥م .

إزعاج دائم لها منذ عام ١٧٨٥م، ثم سجن وقتل فى «سجن شليسبرغ» بعد أن قتل الجندى المسؤول عن حراسته، وبذلك سقط الإمام منصور الشيشانى شهيدا فى إبريل ١٧٩٤م .

وبسقوط «أنابا» واستشهاد الإمام منصور، انتهت المقاومة الإسلامية فى شمال القوقاز ولكن لتعود بشكل أقوى وأعنف فى الربع الأول من القرن التاسع عشر[٢٠] .

أما الشعوب التى طالبت بالدعم الروسى ضد الأتراك والفرس فكانت جورجيا والأوسيتيون النصارى الذين كانوا من أصل هندى أوربى . كما كان «القبرطاى» يميلون إلى التحالف مع الروس لذلك اتبع التوسع الروسى طريقين :

الأول : على طول ساحل بحر قزوين حيث سهلت طبيعة الأرض التوسع بعد أن تم الاستيلاء على مدينة «درنبد» الهامة، خصوصا وأن الروس كانوا مسيطرين دائما على «بحر قزوين» عكس الأمر فى البحر الأسود الذى لم يتمتعوا بالسيطرة عليه إلا بعد ذلك بزمن طويل .

والثانى : كان يقع فى أرض الأوسيتين، ويصل إلى حدود جورجيا مرورا بما يسمى الآن طريق القوقاز العسكرى الرئيس من قيلادى كافكار، وحتى تبليسى (تفليس) وهما نقطتان هامتان من حيث الموقع، كانتا مؤمنتين على يد حلفاء الروس[٢١] .

---

(٢٠) المرجع السابق ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٢١) انظر : روبرت كونكوست ، قتلة الأمم ، ترجمة إبراهيم عودة ، الزرقاء (الأردن) — الطبعة الأولى — ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م ، ص ٢٥

وغزو روسيا لجورجيا عام ١٧٩٦م تم ظاهريا لعقاب أغا محمد شاه على مذابحه المروعة ضد سكان تفليس، إلا أن السبب الحقيقى كان تنفيذ خطة «الكونت زوبوف» الرامية إلى فتح القسطنطينية وإحياء الإمبراطورية البيزنطية ولكن «وفاة كاترينا» وتسلم القيصر بول حكم روسيا قلب موازين القوة العسكرية فى القوقاز لصالح الإيرانيين والأتراك حيث كان «القيصر بول» ممتعضا من سلوك والدته «كاترينا» مع كبار ضباطها العسكريين أمثال «بوتمكين» والكونت «بلاتوف زوبوف» فأمر بسحب القوات الروسية من معظم المناطق التى احتلتها إيران وتركيا فى منطقة القوقاز كما عزل الكونت فاليريان زوبوف «الشقيق الأصغر» للكونت «بلاتوف زوبوف» عن قيادة الجيش الروسى وحل محله «الكونت جودفيتش».

لم تدم حياة «القيصر بول» ابن كاترينا طويلا، وتسلم الحكم من بعده «القيصر الكسندر» الأول الذى أعاد احتلال المناطق التى عاد إليها الإيرانيون والأتراك بعد انسحاب الروس منها فى عهد سلفه[٢٢] .

وعندما بدأت حروب نابليون فى أوربا والتى كانت روسيا القيصرية مشاركة فيها بسبب كون بولندا والنمسا وبروسيا (ألمانيا حاليا) من أتباع

(٢٢) انظر : جون بادلى ، مرجع سابق ، ص ٩٥ ــ ٩٨ ، أحمد موسى الشيشانى ، الشرق الأوسط ــ ١٩٩٥/١/٢٥ .

القيصر نظرا لقرابة الدم بين عائلة رومانوف الحاكمة لروسيا القيصرية والعائلات الحاكمة فى هذه الدول الأوربية، فإن جهود روسيا فى القوقاز ضعفت ، ولو أنه تم اتحاد تركيا وإيران ضد روسيا فى القوقاز لتم طرد الروس نهائيا إلى حدودها الأصلية خارج منطقة القوقاز[٢٣] .

وبدل أن يتم هذا الإتحاد فقد قام الأتراك بعقد معاهدة مع روسيا القيصرية بتاريخ ١٦ مايو ١٨١٢م سميت معاهدة «بخارست» وبموجبها استردت تركيا العثمانية جميع المناطق التى فقدتها فى منطقة القرم والقوقاز الجنوبى كما استردت قلعة «أنابا» التى كانت سببا فى نجاح الروس فى القبض على الإمام منصور وإعدامه بعد أسره واحتفظت روسيا فقط بقلعة سوخوم (سوخومى) عاصمة «أبخاريا» حاليا[٢٤] .

أما بالنسبة لإيران الصفوية فقد تحركت قواتها لاستعادة نفوذها فى القوقاز لكنها منيت بهزائم فادحة رغم تفوقها العددى ووجود أسلحة ومدافع وضباط إنجليز بين صفوفها من بينهم «الميجر كريستى» و«الكابتن لندساى» وبعد هزائم إيران الصفوية فى «اصلندوز، ويريفان» عاصمة «أرمينيا» فقد اضطرت لتوقيع معاهدة «جولستان» فى ٣ أبريل ١٨١٣م وبموجبها ثبتت روسيا القيصرية امتلاكها جميع «خانيات فارس» فى «آذربيجان» مثل «قره باغ» و«غونجة» و«شيكبن، وشروان ودربند وكوبا، وباكو» مع جزء من «طاليش»

---

(٢٣) انظر : د. أحمد موسى الشيشانى ، الشرق الأوسط ــ ١٩٩٥/١/٢٥م .

(٢٤) انظر : جون بادلى ، مرجع سابق ، ص ١٢١ .

و « قلعة لينكوراة » كما تخلت إيران عن أى مطالبة فى المستقبل بداغستان وجورجيا[٢٥] .

وفى الوقت الذى كانت فيه روسيا القيصرية وبقوات قليلة قادرة على هزيمة فارس فى القوقاز الجنوبى فإنها أيضا انتصرت على نابليون ودحرته، بل طاردته إلى داخل باريس حيث دخلتها عام ١٨١٤م وكان « برملوف » القائد العام للحرس القيصرى البروسى المسمى « بالحرس الحديدى » أول حاكم عسكرى لباريس بعد هزيمة « نابليون » .

---

(٢٥) انظر : جون بادلى ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ ـــ ١٢٤

المبحث الثانى

المرحلة الثانية:من التوسع الروسى فى القوقاز

بعد حروب « نابليون » ظهرت روسيا القيصرية كأقوى قوة عسكرية فى أوروبا ، خصوصاً أن بروسيا (ألمانيا حاليا) و « النمسا » و « بولندا » كانت تابعة لروسيا القيصرية وتحكمها عائلات تمت بقرابة الدم لأسرة « رومانوف القيصرية » .

وبهذا الوضع العسكرى البارز لروسيا القيصرية بدأ « القيصر نيقولا » يعد العدة لغزو الهند . وكان عليه فقط إخضاع القبائل الإسلامية فى « شمال القوقاز » حتى لا يترك ظهره مكشوفاً لقوات معادية ، خصوصاً أن « تركيا » و « إيران » ، ورغم هزيمتهما فى « جنوب القوقاز » بقيتا معاديتين لروسيا القيصرية رغم سكوتهما المؤقت[٢٦].

وبحلول عام ١٨٢٨ م أصبحت جميع بلاد ما « وراء القوقاز » تابعة للروس ، ويوجد خلفها منطقتان كبيرتان مستقلتان ، فكان يوجد « الشيشانيون » و « الأنجوشيون » ، و « الداغستانيون » الجبليون على الجناح الشرقى ، و « شراكسة أنجازيا » على الجناح الغربى . وفى سنتى ١٨٢٨ م ـ ١٨٢٩ م حارب الروس « الأتراك » فى أول حملة رئيسة

---

(٢٦) انظر : أحمد موسى الشيشانى ، مرجع سابق ، ١٩٩٥/١/٢٥ م.

« قوقازية » واستولى على « بوتى » ، و « أنابا » ، وسيطر الروس هذه المرة على البحر الأسود بسبب معركة « نافارينو »[٢٧] ، وهى ميزة لم يتمتع بها الروس فى الحروب القوقازية التالية .

كما انتصر الروس على الجبهة الرئيسة ، حيث جاءت معظم المقاومة من مسلمى « جورجيا » ، وكسب الروس بعض الأراضى عندما أبرم الصلح ، فضموا « سخيتيا » الواقعة فى جبال « جورجيا الجنوبية » وكان يقطن مسلمو « جورجيا » فى « سخيتيا »[٢٨].

وكانت المنطقتان الإسلاميتان الكبيرتان ، وراء الخطوط الروسية على درجة كبيرة من الاختلاف فى طابعهما :

ـ فكان كبار البكوات ، وملاك الأراضى يحكمون « الشركس » ، وعلى اتصال مستمر بـ « تركيا » .

ـ أما الشيشانيون والأنجوشيون ، فقد تمتعوا بقدر أكبر من الحياة الديمقراطية فى بلادهم الجبلية ، وأصبحوا أكثر التصاقاً بحركة المريدية التى كانت تقوم على الطهارة والتقشف والمساواة . وكان الشيشان قد وقفوا من قبل ضد الروس بناء على دوافع دينية ، وذلك فى الحرب الروسية التركية عام ١٧٦٩ م[٢٩].

وعندما قرر القيصر « الكسندرا » احتلال القوقاز ، اختار

---

(٢٧) معركة « نافارينو » عام ١٨٢٧ فى اليونان ، دمر فيها البريطانيون وحلفاؤهم الأسطول التركى المصرى أثناء ثورة اليونان ضد تركيا .

(٢٨) انظر : « روبرت كونكست » ، مرجع سابق ، ص ٢٥ .

(٢٩) انظر : « روبرت كونكست » ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

« يرملوف »[30] لإخضاع « الشيشان » ، بلـد « الإمـام منصور الشيشانى » ، الذى تصدى لجيوش جدته الإمبراطورة « كاترينا الثانية » عندما أرسلت جيوشها لاحتلال « القوقاز الشمالى » عام ١٧٨٥ م ، إذ كان « الإمام منصور » أو « أشورما » كما كان يسميه الروس الشوكة التى أدمت « كاترينا » الملقبة بالعظيمة فى « شمال القوقاز » ، حيث هزم جيوشها طوال ست سنوات من خلال فرسان « الشيشان والداغستان والنوغاى والشراكسة الذين لبوا نداء الجهاد الذى أعلنه الإمام منصور من قريته « الداى » مسقط رأسه فى بلاد الشيشان » .

وكانت الخطوة الأولى التى شرع « يرملوف » فى إنجازها اختياره قرية شيشانية على ضفاف « نهر السونجا » ، وهو أحد الأنهار التى تجرى فى بلاد « الشيشان » ، واسم القرية كان « سونجارغالا » (كلمة غالا بالشيشانية تعنى حصن أو قلعة) ، وقام بهدمها وبنى على أنقاضها قلعة ضخمة عام ١٨١٨ م أطلق عليها اسم « جروزنى » ، وهى كلمة روسية تعنى الرهيب أو المهدد ، وهو لقب كان يطلق على القيصر « إيفان » الملقب « بإيفان الرهيب » ، وهو أحد القياصرة الأوائل الذين أرسوا دعائم « روسيا القيصرية » .

---

(٣٠) « يرملوف » ، أحد أشهر جنرالات القيصر « الكسندر الأول » فى حربه ضد « نابليون » ، والتى خرج فيها « القيصر » منتصراً وكان « يرملوف » على رأس جيش الحلفاء (روسيا ، إنجلترا ، وبروسيا « ألمانيا حالياً ») الذى حسم معركة « واترلو » والتى جرت على الأراضى البلجيكية ضد « نابليون » ، وكان أول حاكم عسكرى لباريس بعد هزيمة « نابليون » ، واختاره « القيصر » « الكسندر الأول » عام ١٨١٧ م قائداً لجيوش القيصر المكلفة باحتلال القوقاز .

ويرملوف كان يهدف من إطلاق اسم « جروزنى » على قلعته فى بلاد « الشيشان » إبلاغ الشيشان وبقية شعوب « شمال القوقاز » بأن قلعة « جروزنى » ستكون قاعدة الانطلاق لقواته لتهدد وترهب كل من لا يطيع أو يخضع « للقيصر العظيم »[٣١].

وبالفعل كانت « جروزنى » نقطة انطلاق الجيوش الروسية فى جميع الاتجاهات فى « شمال القوقاز » . ورغم بطش يرملوف وقسوته فى التعامل مع « الشيشان » واستخدامه سياسة « الأرض المحروقة » لإخضاعهم فقد فشل فى تحقيق مهمته ، وتم عزله عام ١٨٢٧ م من قبل القيصر « نيقولا » الذى خلف والدة القيصر الكسندر الأول[٣٢].

وفى عام ١٨٣٠ م أشعل « الإمام غازى ملا » (وهو أحد زعماء المريدية) ، ثورة فى البلاد التى كانت قد أثارت حفيظتها الحملات التأديبية . ودمر العديد من الوحدات العسكرية ـ الهزائم ـ الروسية ، كما جرى اختراق لخط « القوقاز » فى عدة نقاط وتعرضت المدن الواقعة وراء « نهر تيرك » للغارات . ودامت الروسية التى تلت ذلك ثلاثة أعوام قبل أن يتمكن الروس من الاستيلاء على « غمرى » عاصمة المريدين ، ومن قتل الإمام[٣٣] . وتسلم القيادة من بعده الإمام حمزة لفترة قصيرة ، ثم قتل .

(٣١) انظر جون بادلى ، مرجع سابق ، ص ١٤١ ـ ١٤٣ .
ـ د. أحمد موسى الشيشانى ، «أضواء تاريخية على النتائج المحتملة لاقتحام الجيش الروسى لعاصمة الشيشان» صحيفة الحياة ١٩٩٥/١/١ م .

(٣٢) انظر « جون بادلى » مرجع سابق ، ص ١٨٨ .

(٣٣) انظر « روبرت كونكست » مرجع سابق ، ص ٢٦ ، وانظر أيضاً : « جون بادلى » ، ص ٧٥ ـ ٢٨٤ .

(٣)

أما الإمام التالى فكان الإمام « شامل » الذى تسلم قيادة الحركة المريدية الإسلامية عام ١٨٣٤ م والتى نشأت فى بلاد « الداغستان » وتحديداً فى إقليم « آفاريا » مسقط رأس مؤسس الحركة الإمام غازى محمد الذى استشهد فى معركة غمرى عام ١٨٣٢ م.

وعندما تسلم « شامل » قيادة الحركة المريدية فى « الداغستان » كانت معظم بلاد « الشيشان » تحت الاحتلال الروسى لكن السيطرة الروسية لم تكن قوية ، وغياب القائد الذى يقود « الشيشان » فى بلادهم جعلهم صابرين على مضض فى انتظار القائد المناسب للثورة ؛ واستطاع « شامل » الصمود فى « الداغستان من عام ١٨٣٤ م لغاية ١٨٣٩ م حيث تم القضاء على قواته فى مقر قيادته ببلدة « أضولكو » فى إقليم « أفاريا بالداغستان » ، لكن « شامل » تمكن من الهرب . ولم يُعر الروس اهتماماً لهروب « شامل » لأن غالبية قواته تم القضاء عليها فى معركة « أضولكو » . ولم يبق من قواته عند هربه سوى عشرة أشخاص من حرسه الخاص . وكان لخيانة بعض أمراء « الداغستان » لـ « شامل » وانضمامهم للروس دور كبير فى هزيمته فى بلاده « الداغستان ». وخلال سنة واحدة بعد هزيمته فى « أضولكو » ظهر « شامل » من جديد على مسرح الأحداث لكن هذه المرة فى بلاد « الشيشان » ونادى به الشيشان « زعيماً لهم » وتدفق عليه المقاتلون من الجبال جاهزين لمحاربة « الغارو » ، « الجاور » أو « الغازق » ، وتعنى الكافر بالداغستانية والشيشانية على التوالى[٣٤].

---

(٣٤) انظر : « جون بادلى »، مرجع سابق ، د. أحمد الشيشانى ، الحياة ـ ١٩٩٥/١/١ .

وخلال سنوات ١٨٤٠ ـ ١٨٤٢ م استطاع « شامل » بجيشه الجديد استرجاع « أفاريا » ومعظم « الداغستان » من الروس ، وعاتب بشدة وبقسوة من خانوه من زعماء القبائل الداغستانية . وشجعت انتصارات « شامل » المتتالية على الروس الشراكسة فى الشمال الغربى من « القوقاز » وعلى سواحل البحر الأسود على الثورة ضد الروس إذ انقضوا على القلاع الروسية فى بلادهم وأبادوا كثيراً من حاميتها وأصبح وضع القوات الروسية فى « القوقاز » حرجاً للغاية مما دفع القيصر « نيقولا » إلى إرسال تعزيزات ضخمة للقوقاز مع أوامر صارمة باحتلال « دارغو » عاصمة شامل فى بلاد الشيشان التى هى بلدة « فيدن » « فدينو » التى سماها « شامل » « دارغو »[٣٥] ، و « فيدن » بلدة فى الشمال الشرقى للشيشان فى إقليم « اشكيريا » الشيشانى الذى ضمه ستالين عام ١٩٤٤ م إلى جمهورية « الداغستان » لكي يقلص من حجم جمهورية الشيشان .

الهجوم على عاصمة شامل فى بلاد « الشيشان » تم على دفعتين : ـ الأولى ـ حملة دارغو الأولى عام ١٨٤٢ م[٣٦] .

أسندت قيادة الحملة للجنرال « غراب » ، وهو الذى انتصر على « شامل » فى « أضولكو » عام ١٨٣٩ م واستغل « غراب » فرصة

(٣٥) انظر : « جون بادلى » ، مرجع سابق ، ص ٢٦٧ ـ ٢٧٦ ، د. أحمد الشيشانى ، الحياة ـ ١٩٩٥/١/١ .

(٣٦) انظر : « جون بادلى » ، مرجع سابق ، ص ٣٧٣ ـ ٣٧٦ ، وانظر أيضاً : د. أحمد الشيشانى ، الحياة ١٩٩٥/١/١ .

غياب الإمام « شامل » وجيشه عن « دارغو » فى حملة عسكرية على إمارة « غازى قمق » فى « الداغستان » الذى سبق وانضم إلى الروس ، وقبل الخضوع لهم . وجهز « غراب » جيشاً يزيد عدده عن عشرة آلاف رجل ومعهم أربعة وعشرون مدفعاً وزحف على « دارغو » فى ٣٠ مايو ١٨٤٢ م من مركز قيادته « بجيرزيل » . ولم يقطع جيش « غراب » سوى (٨) كيلومترات على رغم أنه لم يقابل أى أعداء على الطريق .

وفى الليل هطلت أمطار غزيرة زادت من حال الطرق سوءاً .. وجاء مساء ٣١ مايو ولم يقطع الجيش أكثر من ١٣ كيلو متراً . وفى اليوم التالى أخذ الشيشانيون يحشدون الأنصار فى الطريق ، وبلغ عددهم الألفين بقيادة « شعيب » نائب « شامل » فى عاصمته ، وأمر « شعيب » جنوده باعتلاء الأشجار الضخمة التى كانت الواحدة منها تتسع لما بين ٣٠ ـ ٤٠ رجلًا كانوا يصبون النار على الروس أثناء اقترابهم . وعجزت رشقات نار الكتائب الروسية عن إخراج الشيشان من الأبراج الدفاعية المرتجلة على أشجار البلوط العملاقة . واستمرت المعركة لليوم الثانى على التوالى .. وكان جيش « غراب » بدون ماء وارتفع عدد الجرحى إلى بضع مئات وأخذت الفوضى تتفاقم ساعة بعد ساعة . وفى اليوم الثالث للحملة لم يكن جيش « غراب » قد قطع سوى ٢٨ كيلو متراً مما دفعه إلى اتخاذ قرار بإلغاء الحملة والعودة على الطريق نفسها وبسرعة ، وبترك المؤن والتجهيزات والاكتفاء بسحب الجرحى والمدافع إلى قاعدته فى « جيرزيل ». وعلى أية حال .. فإذا كان التقدم

نحو « دارغو » « سيء الحظ » فقد تبين أن الانسحاب كان أيضاً سيء الحظ لأبعد الحدود . واتخذ الانسحاب شكل هزيمة كاملة إذ كانت الفوضى عارمة والروح المعنوية متدنية للغاية حتى إن كتائب كاملة هربت لمجرد سماع نباح الكلاب فى الغابة .

وبطبيعة الحال وتحت هذه الظروف كانت الخسائر فادحة إذ بلغت ٦٦ ضابطاً ، وأكثر من ١٧٠٠ جندى بين قتيل وجريح إلى خسارة مدفع واحد والمؤن والتجهيزات التى كانت مع الحملة .

ـ حملة « دارغو الثانية » عام ١٨٤٥ م[(٣٧)].

نجاح « شعيب » ، نائب « شامل » وبألفين من المحاربين فى هزيمة جيش الجنرال « غراب » ، خصمه القديم فى « أضولكو » زاد من شوكة « شامل » فى « شمال القوقاز » خصوصاً وأنه نجح فى حملته على « غازى قمق » إذ دخل الإمارة وقتل واليها ومعه المندوب الروسى ، وحرسه الخاص من الكوزاك « القوزاق ».

وخلال عامى ١٨٤٣ ـ ١٨٤٤ م انتقل « شامل » إلى موقع الهجوم فى « شمال القوقاز » وكانت معظم القلاع والحصون الروسية فيها تحت حصار دائم وعرضة لهجمات خاطفة من قواته ، وكانت الخسائر فادحة بين القوات الروسية ؛ وخلال خمسة أشهر من العام ١٨٤٣ م وتحديداً فى شهر أغسطس ١٨٤٣ م وحتى نهاية العام بلغت الخسائر ثلاثة آلاف قتيل وسقوط ١٢ حصناً وتم الاستيلاء على ٢٤ مدفعاً .

(٣٧) انظر : « جون بادلى » ، مرجع سابق ، ص ٣٧٧ ـ ٤٢٢ .

واستشاط القيصر غضباً لهذا الوضع وأمر بتوحيد جيوشه فى « القوقاز » وهما : رتل شيشانيا فى بلاد الشيشان ، ورتل الداغستان فى الداغستان تحت قيادة واحدة ، وتم تزويد الرتلين بقوات إضافية ، وأسندت مهمة القيادة لهذه الجيوش المتحدة إلى الجنرال « فورنستوف » وفور وصول « فورنستوف » « للقوقاز » ، استدعى قائدى « رتلى الشيشان والداغستان » ، وهما الجنرال « فريتاغ » الألمانى الأصل ، والجنرال « دوليجوركوف »[٣٨] ، وأعلمهما برغبة الإمبراطور « نقولا » بشن حملة عسكرية كبيرة ضد « دارغو » عاصمة « شامل » واحتلالها ثم تدميرها وحرقها لكن القائدين المحنكين بخبرة سنين طويلة فى القتال ضد « الشيشان » و « الداغستان » نصحا « فورنستوف » بعدم مهاجمة « شامل » فى عاصمته كما فعل الجنرال « غراب » ؛ فهم يعرفون كيف يقاتلون ، وهم أسياد حرب الغابات والعصابات فحتى فرساننا القوازق ليسوا نداً « للشيشان » فى حرب الالتحام والسلاح الأبيض فى الغابات .

أصر « فورنستوف » على الهجوم بنفسه ، وترك قوات حماية كبيرة مع الجنرال « فريتاغ » للدفاع عن « قلعة صنبيزا بنايا » أو « قلعة المفاجأة » التى بناها أيضاً « يرملوف » وأصبحت مقر قيادة القوات الروسية فى « شمال القوقاز » .

وبتاريخ ٣١ مايو تحرك « فورنستوف » على رأس جيش يزيد عدده على ١٨ ألف جندى إضافة إلى حرسه الخاص من الفرسان الأكراد

---

(٣٨) انظر : روبرت كونكست ، قتلة الأمم ، ص٢٨ .

بلباسهم المزركش ، والذين كانوا قد دخلوا فى خدمة القيصر وجنرالاته فى القوقاز ، وضم جيش « فورنستوف » نخبة من العائلات الأرستقراطية الروسية مثل الأمير « الكسندر دراشاوت » ، « والأمير وتجنشتين » وهما من أقرباء القيصر ومن العائلة التى كانت تحكم بروسيا وضمت الحملة أمير « وارسو » البولندى إذ كانت « بولندا » أيضاً ضمن أسرة « رومانوف » الحاكمة لروسيا القيصرية . بالإضافة إلى الأمراء ضمت الحملة ألمع جنرالين فى قوات القيصر وهما الجنرال « كلوضاو » ، والجنرال « باسك » والذى كان لقبه « أشجع الشجعان » .

وتقدم « فورنستوف » بجيشه المعزز بـ ٤٦ مدفعاً نحو « دارغو » ، وبتاريخ ١٨٤٥/٦/١٦ م وصل إليها وأمر باقتحامها ودارت حرب حواجز ومتاريس داخل القرية وتمكنت القوات الروسية فى نهاية يوم ٧ يوليو من احتلال القرية ودخولها ، لكن تبين له أن « شامل » ومعظم قواته غادروا القرية التى تم حرقها وتسويتها بالأرض . ورحلة العودة كانت هى المعركة الحقيقية إذ وضع « شامل » استراتيجيته القتالية على قطع طريق العودة على « فورنستوف » وكمن له فى الغابات التى لابد أن يسلكها فى رحلة العودة .

وكما حدث فى حملة « دارغو » عام ١٨٤٢ م تحولت عملية الانسحاب والعودة من « دارغو » إلى كابوس مروع فاق فى فداحته خسائر حملة عام ١٨٤٢ ، فمن عدد ١٨ ألف مقاتل لم يصل إلى « فتيزا بنايا » سوى أقل من خمسة آلاف ونصفهم جرحى وكان من ضمن

القتلى ، أشجع الشجعان « الجنرال باسك ». حتى نجاة الجنرال « فورنستوف » ببقية جيشه كانت بفضل وصول الجنرال « قريتاغ » على رأس قوات ضخمة لنجدته بعد أن أرسل له « فورنستوف » رسلًا طلباً للنجدة . وبقى « شامل » حتى عام ١٨٥٩ فى « شمال القوقاز » إلى أن تمكن الأمير « ياريا كسلى » ولى عهد القيصر من هزيمته فى معركة « غونتيب » فى إقليم « الداغستان » .

وعندما بدأت حرب « القرم » عام ١٨٥٣ م ، لم يكن قد تم إخضاع « شامل » والشراكة ، وقام « شامل » فوراً بمهاجمة « جورجيا » ، فأجبر الروس على تحويل كثير من قواتهم من الجبهة التركية . وفى عام ١٨٥٤ م أنزل الروس قوات فى « أبخازيا » وثارت القبائل هناك ضدهم . وفى عام ١٨٥٦ م انتهت حرب « القرم » وأصبح فى وسع الروس أن يحشدوا جيوشهم ضد « الشيشان » ، و « الداغستانيين » ، كما حدث بعد الحرب التى سبقت القرم .

وكان قد مضى على الحرب ضد « شامل » ربع قرن كاملة ، واستنزفت موارد « الشيشان » ، ويقول أحد الكتاب الروس فى الخمسينيات من القرن التاسع عشر : « أثناء إخضاع شيشانيا تدنى سكان شيشانيا الصغرى السهلية بين عامى ١٨٤٧ م ـ ١٨٥٠ م إلى نصف عددهم السابق ، وبحلول عام ١٨٦٠ م أصبح عددهم ربع ما كان عليه »[٣٩].

(٣٩) انظر : « جون بادلى » ، مرجع سابق ، ص ٤٩١ .

وبقى « شامل » فى « شمال القوقاز » حتى عام ١٨٥٩ م إلى أن تمكن الأمير « ياريسكى » ولى عهد القيصر من هزيمته فى معركة « غونتيب » فى إقليم الداغستان[٤٠] . وبحلول عام ١٨٦٠ م تم إخضاع بقية القوقاز عدا الشراكسة الذين كانوا يتمتعون باستقلال كامل فى مناطق تقع حول نهر الكوبان شمالًا . ولم تحقق أول محاولة لإرغام الشركس على الهجرة إلى تركيا أو مناطق أخرى من الإمبراطورية الروسية إلا نجاحاً جزئياً ، وتم إقامة حكومة وطنية شركسية جديدة فى « سوتسن ».. وفى عام ١٨٦٢ م حشدت القوات الروسية ضد الشراكسة ، واستمرت الحرب سنتين ، وأخيراً تم طرد حوالى ٦٠٠,٠٠٠ شركسى من بلادهم التى استوطن بها رعايا من الروس بدلًا منهم[٤١] .

وجاء إخضاع « شمال القوقاز » ، بعد نصف قرن من قبول « جورجيا » فى جنوب القوقاز للحكم الروسى . وكانت المقاومة فى الواقع مريرة وعنيدة حتى لو صرفنا النظر عن عبقرية « شامل » العسكرية إلا أن الشعوب التى خضعت لم تعتبر خضوعها أمراً نهائياً .

وبرغم إحكام السيطرة الروسية الاستعمارية على المنطقة فى حوالى عام ١٨٦٠ م وانطلاق هجرات واسعة من « الشيشان » و « الشراكسة » إلى « سوريا » ، و « فلسطين » ، و « تركيا » ؛ فإن حركات جهاد واسعة ومنظمة قامت ضد القوات الروسية فى بلاد « الشيشان » مثل : حركة الزعيم الشيشانى (باى صونقور) ، وحركة

---

(٤٠) انظر : « روبرت كونكست » ، مرجع سابق ، ص٢٨ ـ ٢٩ .

(٤١) انظر : د. محمد حرب ، مرجع سابق ، ص ١٠٧٩ .

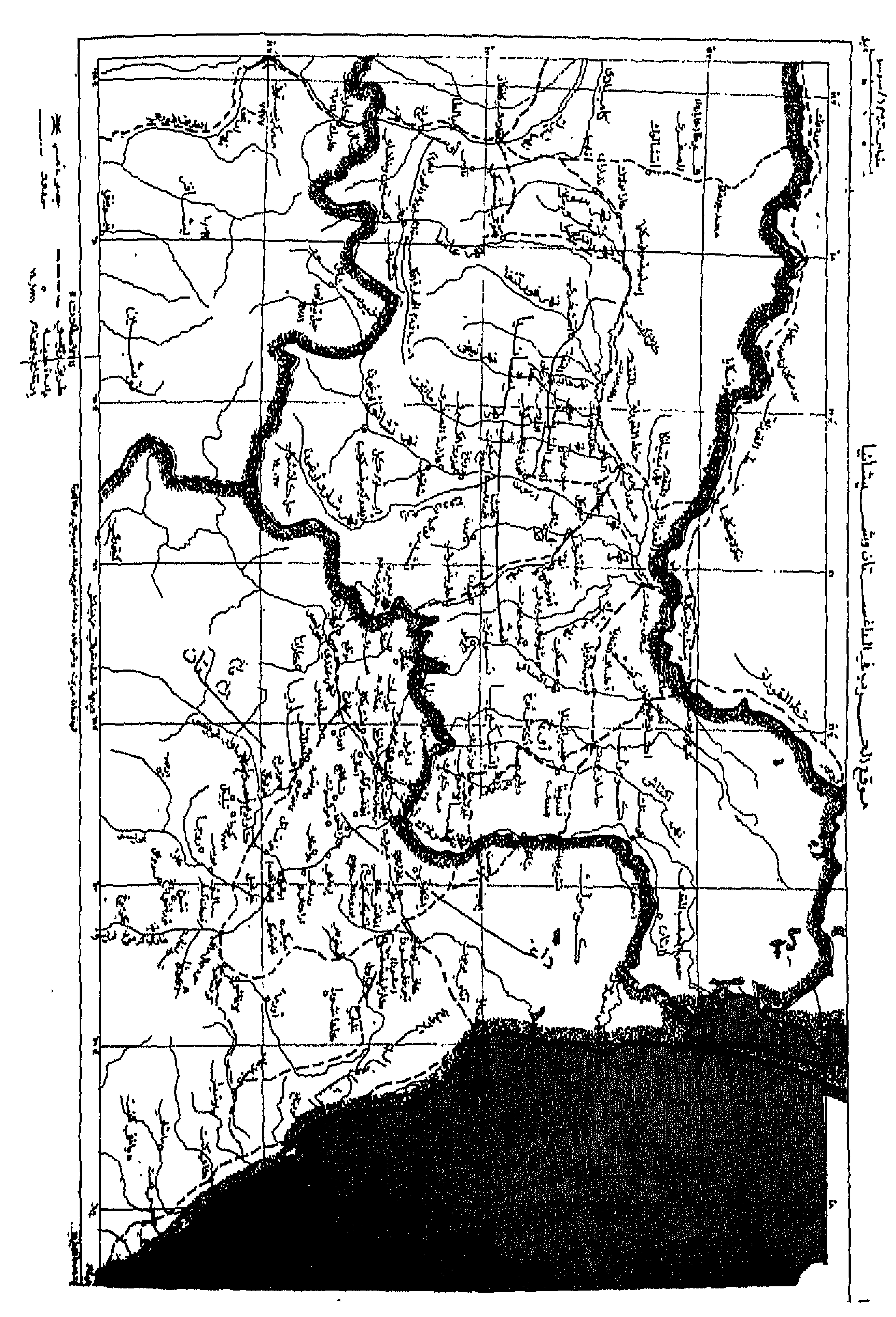
الزعيم الشيشانى (أومادوييف) ثم حركة (آطابى آطاييف) ثم حركة (دارة زالماييف). أما أكبر حركات الجهاد الشيشانية ضد الروس فى تلك الفترة فهى حركة الزعيم الشيشانى (على بلك حاجى) الذى قضى الروس على حركته وأعدموه ، فى العاصمة « جروزنى » عام ١٨٧٨ م[٤٢].

وعندما اندلعت الحرب مرة أخرى بين تركيا وروسيا عام ١٨٧٧ م، قامت مزيد من الثورات ، وتطلب الموقف إرسال ست فرق روسية ونصف إلى « شمال القوقاز » ، وأنزل الأتراك مرة أخرى قواتهم فى « أبخازيا » حيث ساندتهم ثورة شعبية كما نودى بإمام جديد « شيشانيا » ، وقد قمعت الثورة مؤقتاً ، والسبب الرئيس فى ذلك كان البندقية الروسية الجديدة ، ولكنها لم تلبث أن هبت نيرانها ثانية ، ولم يتم قمعها إلا بعد قتال طويل .

وفى عام ١٩٠٥ م بدأت اضطرابات فى « شيشانيا » وفى عام ١٩١٧ أدى انهيار النظام القيصرى إلى المناداة بإمام جديد هناك هو « نجم الدين غوتنسكى » ، وظهرت شخصية أقوى ، وهو أمير شيشانيا الشيخ « أوزون حاجى » ، الذى اقتفى أثر الإمام « شامل » فى إقامة حكم ديمقراطى ولم يتم سحق مقاومة الشيشان حتى سنة ١٩٢٠ م .

---

(٤٢) انظر : « روبرت كونكست » ، قتلة الأمم ، ص٢٨ .



المصدر: جون بادلى ، احتلال الروس للقفقاس

الفصل الرابع

الشيشان فى الحقبة الشيوعية

المبحث الأول : تفتيت شمال القوقاز ، وتشريد ونفى الشيشان

المبحث الثانى : طمس معالم الأمة الشيشانية

المبحث الأول

تفتيت شمال القوقاز وتشريد ونفى الشيشان

تجربة التوسع الاستعمارى فى القوقاز تركت آثارها لدى السلطة القيصرية ، إذ أنها وجدت أنه لا مفر من الإبقاء على كثير من المؤسسات التى استحدثها الإمام شامل بدون تغيير فأبقت المحاكم الشرعية فى بلاد الشيشان ، وداغستان حتى عام ١٩٢٦م حين ألغتها السلطة «البلشفية» . كما سمحت لأبناء الجبال بحمل السلاح باعتبار ذلك من مظاهر احترامها لتقاليدهم . وأعفتهم من الخدمة العسكرية الإجبارية وقدمت لهم تسهيلات أخرى . وأرادت السلطات بهذا كسب مودة أبناء شمال القوقاز غير المطيعين لها . ونظراً لعدم ثقتها بالشعوب المحلية فإنها أقامت فى بلاد الشيشان وداغستان شبكة من عشرات الحصون العسكرية[١] .

وبعد قيام ثورة فبراير عام ١٩١٧م فى روسيا ، بدأت فى شمال القوقاز مرحلة أخرى من الحركة التحررية . ففى المؤتمرين الأول والثانى (مايو ، سبتمبر عام ١٩١٧) أسس مندوبو شعوب شمال القوقاز جمهورية اتحاد أبناء جبال القوقاز (يرد ذكرها فى الوثائق باسم الجمهورية الجبلية) . وتشكل برلمان وحكومة لهذه الجمهورية . وكان هدفها هو بناء جمهورية شمال القوقاز الديمقراطية الفيدرالية

ضمن الاتحاد الروسى الديمقراطى مستقبلا . وكانت العلاقات مع «القوازق» طيبة جدا ، وعندما أصبح الخطر البلشفى أمراً واقعاً . عقد تحالف مع قوزاق تيرك ، وكوبان فى أكتوبر عام ١٩١٧م وتشكلت حكومة ائتلافية (يرد ذكرها فى الوثائق باسم الاتحاد الجنوبى الشرقى)[٢] .

وفى ١١ مايو عام ١٩١٨م أعلن فى مؤتمر «باتومى» عن تأسيس الجمهورية الجبلية المستقلة بحضور مندوبين من تركيا وألمانيا و«فيدرالية» ما وراء القوقاز ـ ولم يستمر بقاء الجمهورية الجبلية سوى فترة عامين .

أما جبهة النضال الثانية فكانت ضد «الطابور الخامس» البلشفى فى داخل الجمهورية ، وفى تلك الفترة المضطربة والمأساوية أصاب الشعب الشيشانى ، وقسم من الداغستانيين اليأس من تحقيق آمالهم فى الحرية ، ولكنهم واصلوا النضال ضد قوات «دينيكين» ومن ثم ضد الجيش الأحمر دون أن يحالفهم النجاح[٣] .

حتى أوائل عام ١٩١٨ كانت هناك جمهورية مستقلة باسم «جمهورية الجبل المتحدة» وتضم كل جمهوريات شمال القوقاز . وضمت هذه الجمهورية إلى الاتحاد السوفيتى فى ٢٠ يناير عام ١٩٢٠ وبعد هذا التاريخ أخذت تتفكك فقد انسلخت منها داغستان بعد عام من ضمها إلى الاتحاد السوفيتى .

---

(١) ، (٢) ، (٣) انظر : د. دينجا خالدوف (أستاذ بجامعة محج قلعة بداغستان) ، بحث منشور بجريدة «اليوم» بموسكو والتى نقلته صحيفة الشرق الأوسط ١٧ ـ ١٢ ـ ١٩٩٤م .

وفى أوائل سبتمبر عام ١٩٢١ انفصلت كابارد كإقليم ذا استقلال ذاتى (oblast) وانتزع من هذه الجمهورية أراضى القرتشاى والشركس ، فى ٣٠ نوفمبر ١٩٢٢م ، ثم انفصلت منطقة البلكار فى يناير ١٩٢٣م أصبحت جمهورية الجبل منذ هذا التاريخ تضم فقط إقليم الشيشان والأنجوش وأوسيتيا الشمالية وكلها بدورها أصبحت أقاليم مستقلة[٤] . (انظر الخريطة رقم ١٠) .

بهذا انتهى أمر جمهورية الجبل المتحدة وقد أخذت الحكومة الروسية تُغير وتُبدل وتُهجر منها وتهجر إليها وفقاً لهواها ثم تغير المستوى الادارى لهذه الجماعات ، مرة تعتبرها أقاليم مستقلة ثم لاتلبث أن تحولها إلى جمهوريات ذات حكم ذاتى .

وفى يناير عام ١٩٣٤م ضُمت جماعات الشيشان والأنجوش وكونا إقليماً مستقلاً (أوبلاست) ثم تطور إلى جمهورية ذات حكم ذاتى ، ثم تلغى هذه الجمهورية بتهجير الجماعتين إلى أماكن أخرى متفرقة[٥] .

ففى مطلع صيف عام ١٩٤١م هاجمت جحافل الألمان النازين الجرارة الاتحاد السوفيتى ـ وأتهم ستالين (حكم ١٩٢٤ ـ١٩٥٣) (ألمان الفولجا ، المسخيتين القرنشاى البلكار ، الكالمك ، الشيشان

(٤) د. محمود أبو العلا ، المسلمون فى الاتحاد السوفيتى «سابقاً» دراسة اجتماعية ، اقتصادية ، سياسية ، القاهرة ، مكتبة الإنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ ، ص ٣٩ ، وأنظر أيضاً : مصطفى دسوقى كسبه ، المشكلة الشيشانية ، دراسة جغرافية ، وتاريخية وسياسية ، ندوة المشكلة الشيشانية ـ مركز صالح كامل ـ جامعة الأزهر ١٩٩٥/٢/١٨م .
(٥) المرجع السابق ، ص٤٠ .

والأنجوش ، وتتار القرم بالتعاون مع الألمان ضد الدولة الأم) . (انظر الخريطة رقم ٢) .

وقام بتهجير هذه الأمم بأكملها رجالاً ونساء وأطفالاً من مواطنيها وكانت أربع من الأمم تقطن فى المنحدرات الشمالية لجبال القوقاز . وهى الشيشان والأنجوش ، والقرتشاى والبلكار . وكانت تشكل ثلث عدد المنفيين الكلى . وكان الشيشان أكبر شعب عانى من التهجير أو النفى ، وبلغ عددهم نصف مليون عام ١٩٣٩م وذلك إضافة إلى ذوى قرباهم الأنجوش ، الذين كانوا يشكلون جزءاً من نفس الجمهورية الشيشانية الأنجوشية السوفيتية الاشتراكية (٤٠٧٦٩٠ شيشانياً ، ٩٢٠٧٤ أنجوشياً)[٦] .

ومن الأهمية بمكان نقل الترجمة الحرفية لمقالة الدكتور[٧] «حاظى ــ مرات ابراجميلى ــ وهو أستاذ تاريخ العلوم فى مجلة Politicheskoe obrazavanie 1989, No. 4 p.p. 55 - 58 يتحدث فيها المؤلف عن شهود عيان رأوا ما حدث عام ١٩٤٣/١٩٤٤ أثناء الحرب العالمية الثانية فى الترحيل الجماعى الإجبارى لجماعات الشيشان والأنجوش من جمهوريتهم التى تحمل اسمهم .. وغيرهم من سكان شمال القوقاز .

---

(٦) انظر : روبرت كونكست ، مرجع سابق ، ص١٠ ، ص٣١ .
(٧) انظر : د. محمود أبوالعلا ، المرجع السابق ، ص٤٣ ــ ٤٥ .

« ... ففى ٢٠ فبراير عام ١٩٤٤م[٨] وصل برياً (قائد روسى) ومعه عدد من كبار الضباط مثل :« ماملوف » « سيروف » ، « كوبلوف » وغيرهم إلى جروزنى للإشراف على الترحيل الجماعى لقبائل الشيشان والأنجوش الذين حملوا فى عربات السكة الحديد الخاصة بالبضائع والحيوانات إلى أراضى البرارى فى شمال جمهورية قازاخستان ، **ثم غير اسم هذه الجمهورية إلى إقليم « جروزنى » بعد ضم الكثير من أراضى هذه الجمهورية إلى كل من جمهوريتى جورجيا ، وأوسيتيا المجاورة لهم** . ولقد وصل عدد جماعات الشيشان والأنجوش الذين وصلوا قازاخستان ٤٠٦,٠٠٠ شخص عام ١٩٤٤ ، والذين وصلوا قيرغيزيا ٩٠,٠٠٠ شخص ويضاف إلى هؤلاء الألوف ممن جردوا من رتبهم العسكرية فى الجيش الأحمر الروسى . بعد عام ١٩٤٤ ، ثم أرسلوا بعد ذلك إلى قازاخستان ... » . (انظر الخريطة رقم ٣ ، ٤) .

ما ذكر آنفا نموذج لسياسة البطش التى تعرض لها الشيشانيون والأنجوشيون ، كما تم إعدام الشيوخ والأئمة وإغلاق المساجد وظل الشعب الشيشانى بالمنفى فى قازاخستان حتى عام ١٩٥٧ حيث ردلهم اعتبارهم .

---

(٨) هذا التاريخ من المصادر الغربية ، أما تاريخ النفى كما ورد فى خطاب خرتشوف السرى (فبراير ١٩٥٦) كان مارس ١٩٤٤م ، أنظر : روبرت كونكست ، مرجع سابق ، ص١٣٩ .

(٩) انظر : روبرت كونكست ، مرجع سابق ، ص٩٨ .

مما سبق يتضح لنا أن الشيشانيين والأنجوشيين تعرضوا لمآسى كثيرة سواء فى العهد القيصرى أم البلشفى (السوفيتى) ، هذا مع العلم بأنه لا توجد هناك تقديرات لعدد الذين ماتوا بسبب النفى والتعرض للأمراض والأوبئة ، وتغير المناخ .

ومن الجدير بالذكر أن الضباط من أبناء الشيشان والأنجوش قد نالوا ميداليات بطولة الاتحاد السوفيتى لأنهم أبلوا بلاء حسنا فى الدفاع عن ستالنجراد وكان من بين هؤلاء الأبطال «بيبالاتوف» و«أدريسوف» ، و«محمد ميرزاوف» ، و«ماتاسن مازوف» .

فضلا عن أن عدد القتلى من الضباط والجنود من أبناء هاتين الجماعتين يزيد على ٣٠,٠٠٠ ضابط وجندى .

ولكفاءة الشيشان والأنجوش فى استخدام السلاح من على ظهور الخيول شكل قادة الجيش السوفيتى فرقتى الفرسان رقم (١١٤) ، (٢٥) ، ومعظم أفراد الفرقتين قد قتل فى الحرب العالمية الثانية .

وهذا يفسر لنا توق الشيشانيين للحرية ، والانفصال عن روسيا الاتحادية ويعبر عن ذلك كتاب ألفه جوهر دواديف بعنوان «صعوبة الطريق إلى الحرية» .

المبحث الثانى

طمس معالم الأمة الشيشانية

لم يقتصر الطمس على حاضر كل أمة منهما ، بل شملت ماضيها أيضا . بل إن أسماء هاتين الأمتين لم تعد تذكر إلا فى ظروف نادرة .

ـ ويأتينا قدر كبير من المعلومات الهامة من الطبعة الثانية للموسوعة السوفيتية الكبرى والمجلدات تسير وفق الترتيب الهجائى (باستثناء حالات قليلة) . وجاء آخر مجلد من الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨م . أما الطبعة الثانية ، فقد أخذت تخرج فى عام ١٩٤٩م وإكتملت عام ١٩٥٨م بصدور مجلدها الحادى والخمسين بعد أن قامت السلطات السوفيتية بتشريد ونفى الشيشان والأنجوش . عمدت إلى طمس معالم الشيشان والأنجوش من على الخرائط ، ولم تعد تذكرهما ضمن الأعراق المكونة للاتحاد السوفيتى .

والمجلد الخمسون (ط١) يحوى مقالة عن جمهورية أوسيتيا الشمالية ذات الحكم الذاتى وقد ظهر فى مايو سنة ١٩٤٤م ، وأظهر على الخريطة التوضيحية المرفقة ، أن تلك الجمهورية تحدها جمهورية القبرطاى ، (وليس جمهورية قبرطاى بلكار) ، ومقاطعة جروزنى ، (وليس جمهورية الشيشان والأنجوش) .

وصدر المجلد الخاص بالاتحاد السوفيتى فى الطبعة الأولى فى أكتوبر

سنة ١٩٤٧ . ولم تورد أسماء الجمهوريات الملغاة والشعوب المهجرة ، لاضمن القوائم ، ولاالخرائط[١٠]

وفى المجلد رقم (١٣) (ط٢) ـ عام ١٩٥٢م مقالة حول مقاطعة «جروزنى» لاتحتوى على أى إشارة تاريخية، أو غير تاريخية للشيشان والأنجوش ، وأصبحت الأسماء على الخرائط ذات طابع روسى فى الغالب مثل «كراسنو أرميسكوى ، وسوفيتسكوى ، ميجدوريشى» وورد تاريخ تأسيس المقاطعة فى ٢٢ مارس ١٩٤٤م[١١]

ـ نفس الاتجاه يظهر فى مراجع أخرى من ذات الطراز ومن أمثلة ذلك :

(أ) كتاب الجغرافيا الاقتصادية للاتحاد السوفيتى ، تأليف ن.ن. بارانسكى **N N Baranski** (للصف الثامن فى المدارس المتوسطة ـ موسكو ١٩٤٩) جاء فيه مايلى :

«إن التكوين القومى لشمال القوقاز ، بالغ التعدد ، والتنوع ، ويمكن ذكر عشرات من مختلف القوميات من بين العناصر الأساسية للسكان ، وذلك قبل وصول الروس .. ومعظمهم موجودون فى جمهوريات ومقاطعات ذات حكم ذاتى» ويمضى الكتاب فى ذكر أسماء «الأديجين» ، والشراكسة ، والقبرطاى ، والأوسيتين والداغستانيين ، لكن لايذكر غيرهم ، ممن كانوا يعيشون قبل العصر الروسى[١٢] .

---

(١٠) المرجع السابق ، ص٩٩ .

(١١) المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

(١٢)المرجع السابق ص ١٠٨ .

(ب) ومن المؤرخين الذين جرى لومهم بسبب الأخطاء العقدية البروفسور إ.م. راغون (I.M. Rozgon) ، الذى وجه له نقد شديد بسبب تشوية تاريخ الثورة فى شمال القوقاز . ففى كتاب صدر له عام ١٩٤١م وصف الشيشان والأنجوش (بالثوريين) ويبدو أنه فى هذا الوقت لم يتنبأ بأن هاتين الأمتين سيصبح من المحظور مديحهما . وهذا التلاعب فى التاريخ سرعان ما امتد إلى فترة أطول . عندما أصبحت حروب الجبليين ضد القياصرة موضع تنديد[١٣] .

(جـ) ومن الكتب التى تحدثت عن التهجير والنفى بصراحة كتاب فى القانون نشر عام ١٩٤٨ (A.A Askerov and others, soviet stat low (Moscow, 1948) ومما كشف عنه هذا الكتاب مايلى :

« فى خلفية الحماس الوطنى ، الذى أثار شعوب البلاد السوفيتية ووحدها ضد العدو المشترك (الألمان) ، نجد الأعمال البشعة والاجرامية والغادرة لبعض الشعوب المتخلفة ، التى أيدت العدو ، آملة فى أن تحصل منه على (امتيازات) ، على حساب الأمم الأخرى فى الاتحاد السوفيتى . وهذه الأعمال تطلبت إجراءات ضرورية وغير عادية من قبل الدولة السوفيتية لمصلحة الاتحاد السوفيتى ككل ، وجميع الشعوب السوفيتية التى بقيت مخلصة لأرض آبائها وحريتها . وتألفت هذه الإجراءات . من تصفية بعض جمهوريات روسيا

---

(١٣) المرجع السابق ، ص١١٣ .

السوفيتية الاشتراكية الفيدرالية ، (مثل جمهورية ألمان الفولجا ذات الحكم الذاتى ، وجمهورية القرم ذات الحكم الذاتى وكذلك جمهورية الشيشان والأنجوش ذات الحكم الذاتى[١٤] .

(د) كما أن هناك كتاب قانون آخر ، يجعل دوافع عملية (إعادة التوطين) ، وأساليبها ، نتيجة لدواعى الأمن . Evtickhiev & Vlasov, Administrative Low of the U.S.S.R (Moscow, 1946) وقامت سلطات الدولة فى الاتحاد السوفيتى بعملية التوطين للأسباب التالية :

١ ـ من أجل تحقيق الإجراءات المتصلة بأمن البلاد ، والدفاع عن حدود الدولة .

٢ ـ من أجل الحصول على أراض للإنتاج الزراعى[١٥] .

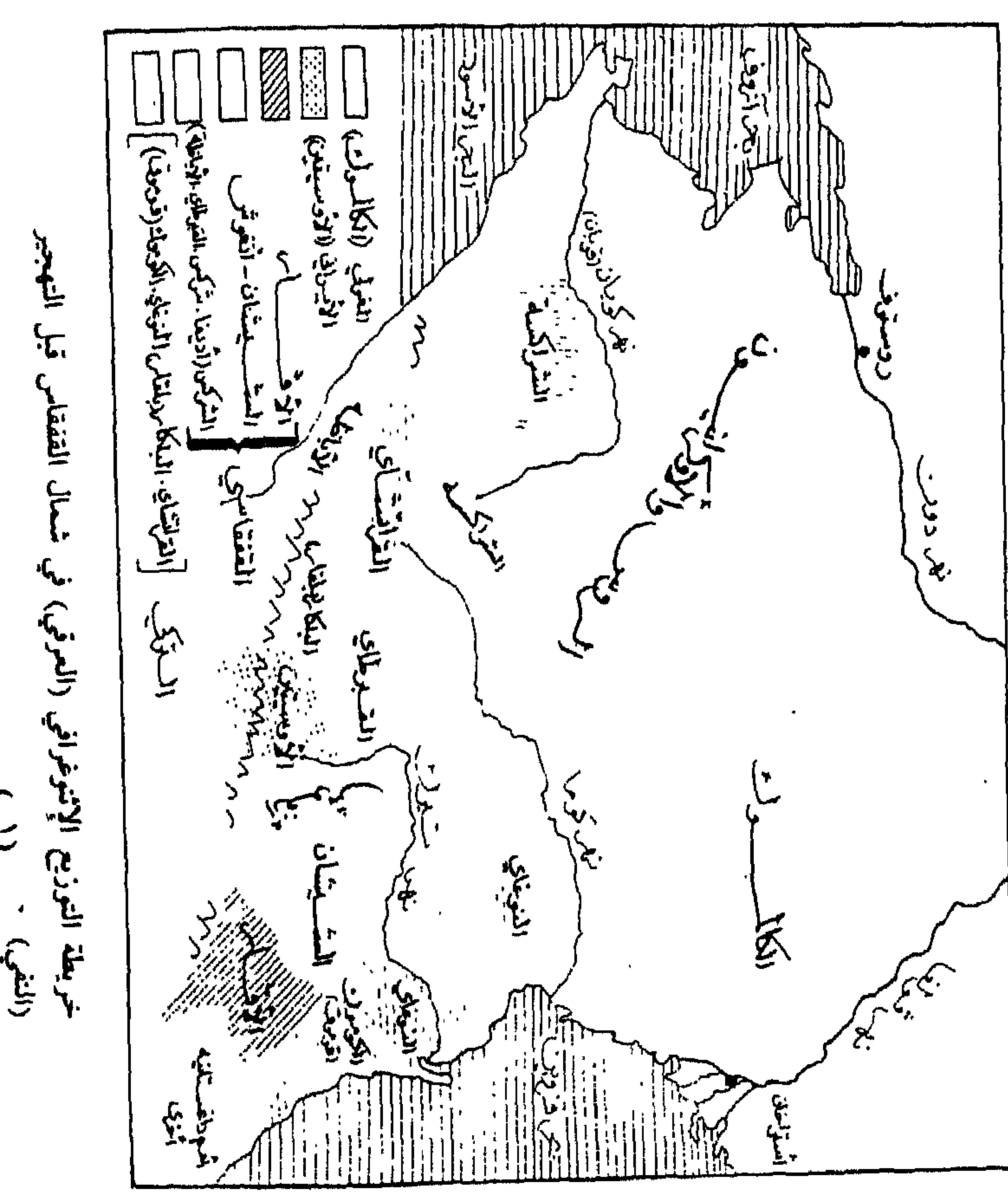
كما قامت السلطات السوفيتية بتكريم من ساهم فى تشريد ونفى الشيشان .

ـ فقد نال «إيفان سيروف» وسام «سوفوروف» من الطبقة الأولى ، وهو لايمنح إلا لمن حقق انتصارات كبرى فى ميدان القتال ، وذلك يوم ٩ مارس عام ١٩٤٤م ، أى بعد أن قام بأكبر عملية من عمليات التهجير والنفى التى نفذها ، وهى عملية تهجير الشيشان والأنجوش[١٦] .

---

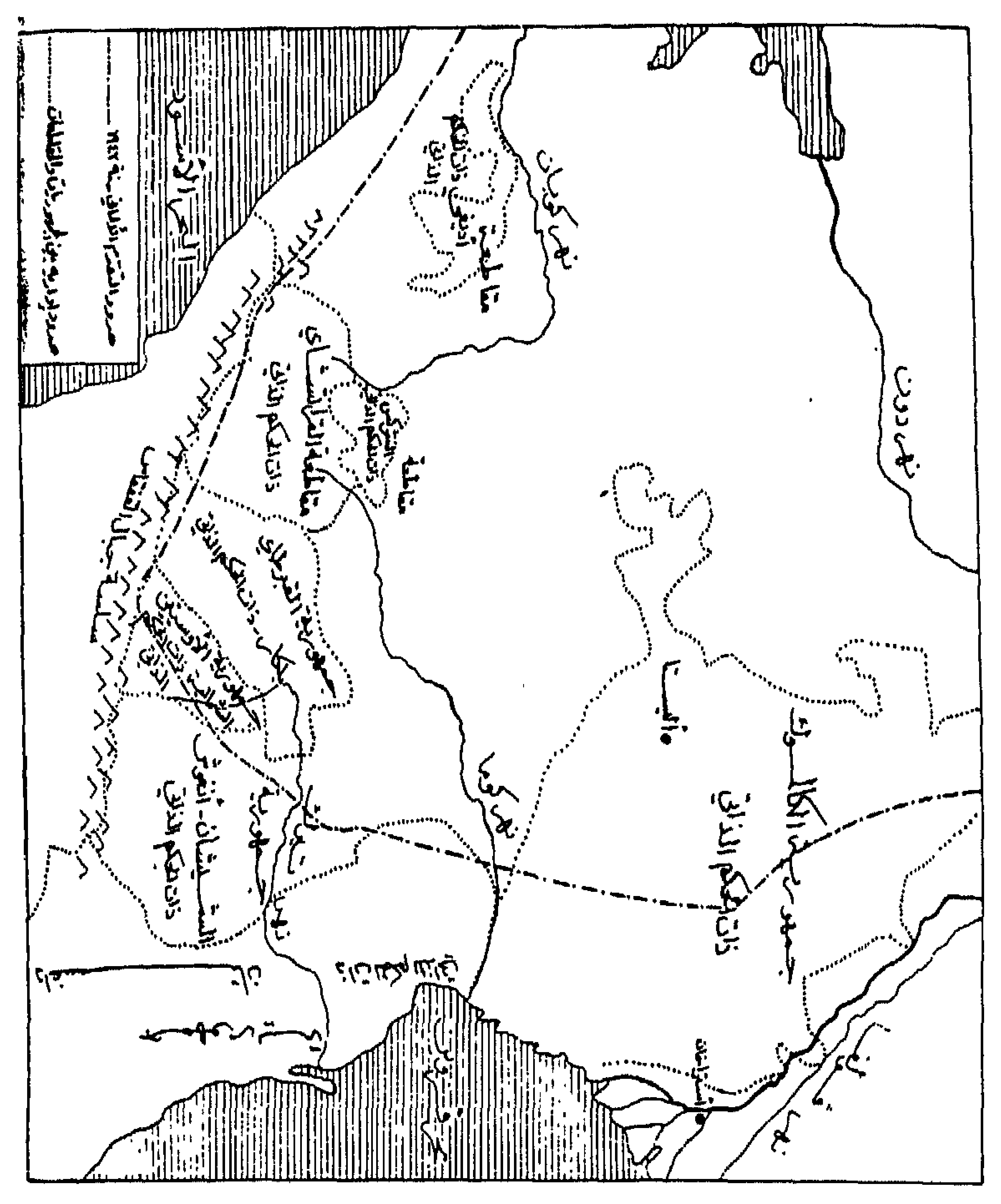
(١٤) المرجع السابق ، ص١١٣ ـ ١١٤ .
(١٥) المرجع السابق ، ص١١٤ ـ ١١٥ .
(١٦) المرجع السابق ،ص١٥٢ .

وعلى العموم لم يسمح بنشر أخبار عن حياتهم ، بل ولا عن أماكنهم وذلك لمدة عشر سنوات ، ثم تقوم الحكومة السوفيتية بضم الشيشان والأنجوش معاً وتعيد تسمية الإقليم الذى يقيمون فيه باسم جمهورية الشيشنان والأنجوس فى يناير ١٩٥٧م .



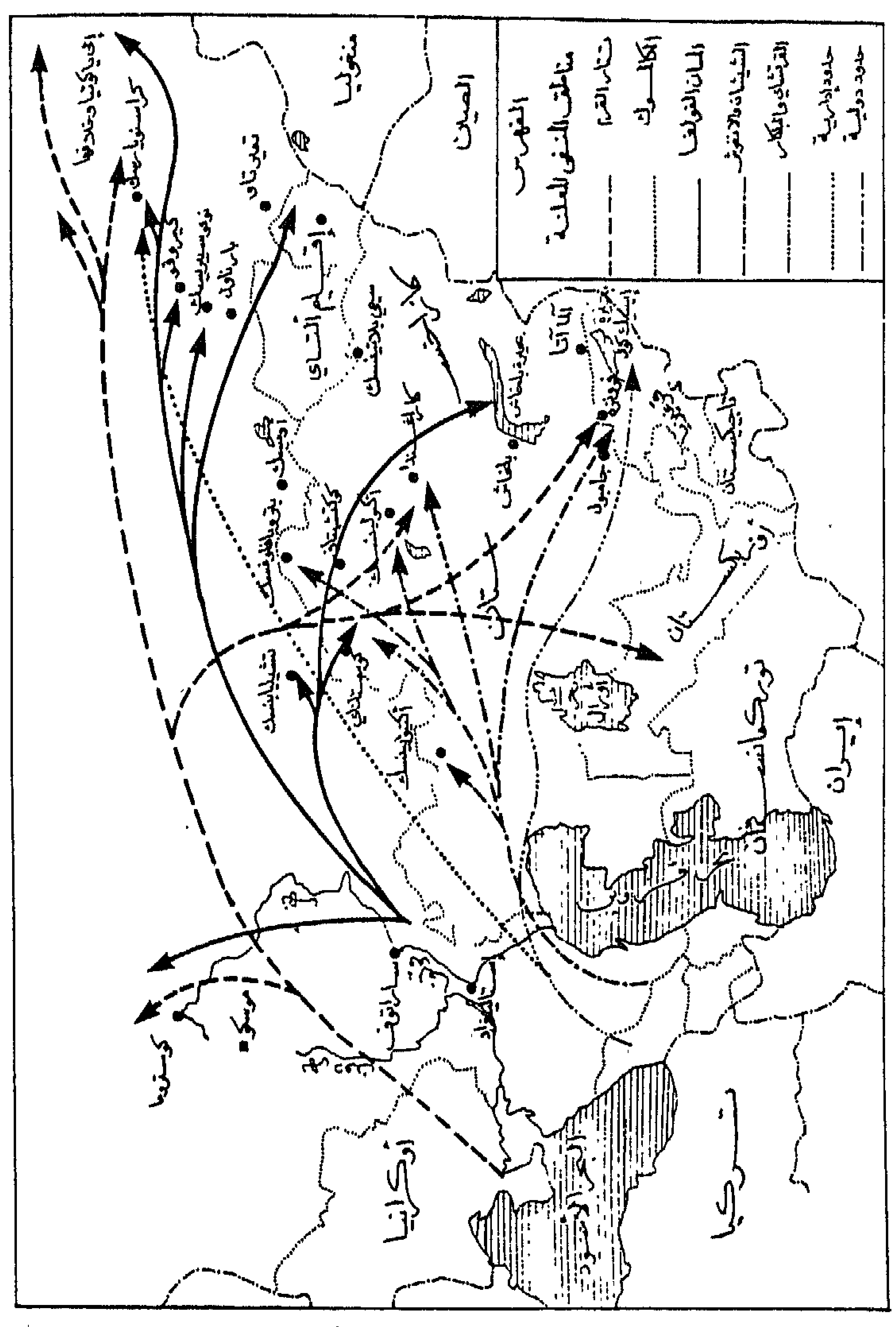
خريطة التوزيع الإثنوغرافي (العرقي) في شمال القفقاس قبل التهجير (النفي) . (١)

المصدر : روبرت كونكست ، قتلة الأمم ، (الطبعة العربية) ص ٣٥



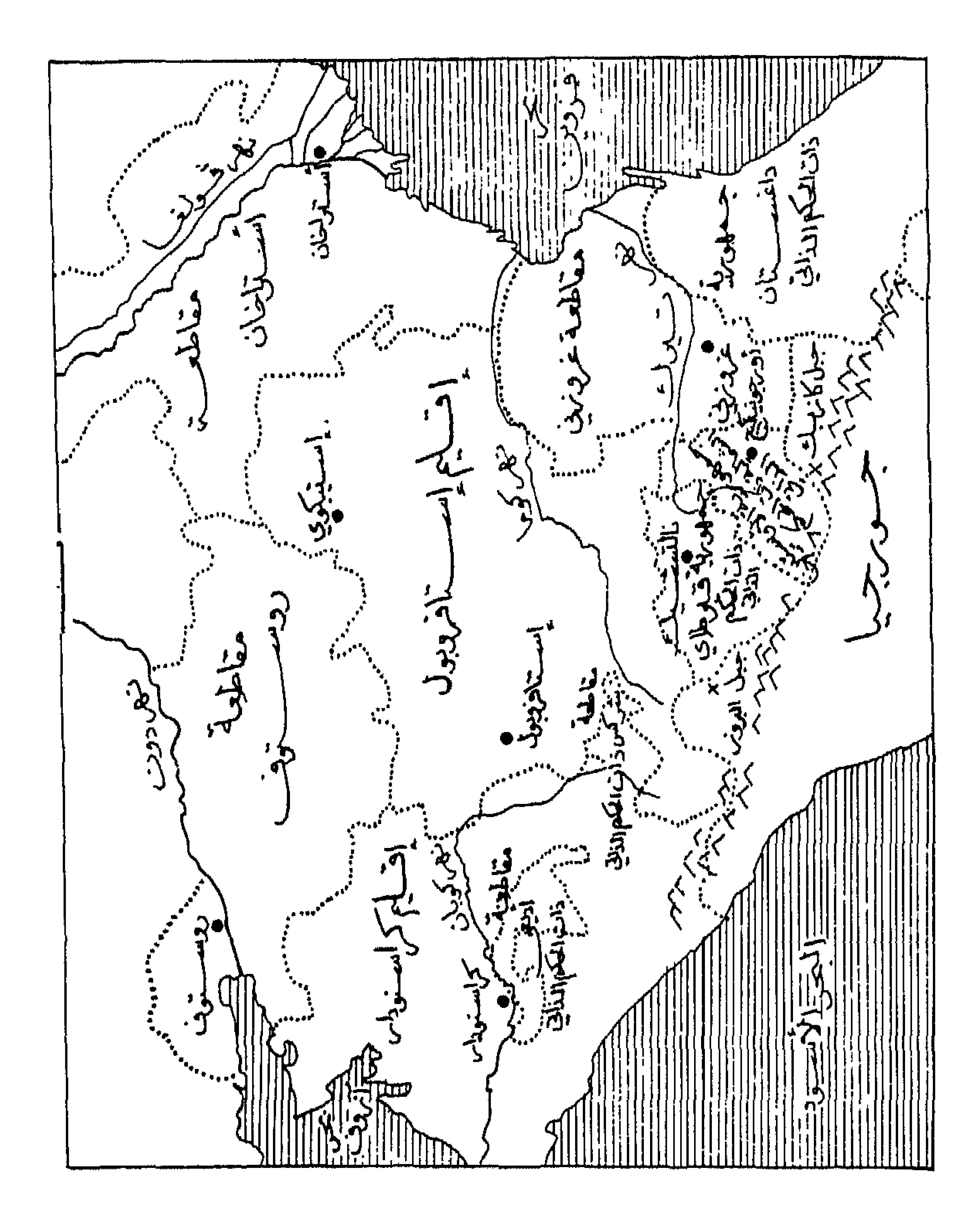
خريطة الجمهوريات والمقاطعات ذات الحكم الذاتي في شمال القفقاس
سنة ١٩٣٩ وحدود التقدم الألماني سنة ١٩٤٢ (٠٢)

المصدر: روبرت كونكست، قتلة الأمم، (الطبعة العربية)، ص ٦١



خريطة عمليات التهجير (النفي)

المصدر : روبرت كونكست ، قتلة الأمم ، (الطبعة العربية) ص ١٤٧



خريطة التقسيمات الإدارية في شمال القفقاس سنة ١٩٤٥

المصدر: روبرت كونكست ، قتلة الأمم (الطبعة العربية) ص ٩٧ ، (٤)

الفصل الخامس

قادة الجهاد ضد الروس فى القوقاز والشيشان

ـ المبحث الأول : الشيخ منصور .

ـ المبحث الثانى : حركة المريدية .

ـ المبحث الثالث : قادة المريدية .

ـ غازى مولا .

ـ حمزة .

ـ الإمام شامل .

ـ المبحث الرابع : الإمام شامل وحركة المريدية فى المؤلفات الروسية .

ملحق رقم (١) : أنشودة شامل .

ملحق رقم (٢) : قراءة أدبية فى سجل الشيشان العسكرى : الإمام شامل ، وصقور القوقاز

المبحث الأول

الشيخ منصور

أول من نادى بالجهاد ضد الروس كان الشيخ منصور ـ وهو من تتار «أورانبرج» تلقى علومه الدينية فى بخارى ، ودرس القرآن فى داغستان ، وهو من مواليد الدى فى الشيشان .

رأى الرسول ـ ﷺ ـ فى منامه يحضه على الجهاد ضد الروس وتكررت الرؤيا ثلاث ليال متتاليات . ولشدة دهشته من تلك الرؤيا ، حدث أقرباءه عنها ، وانتشر خبر تلك الرؤيا ، والتف حوله الناس ، وطالبوه بالقيام بما أمره الرسول ﷺ به وبقيادتهم للجهاد ، فأشعل الثورة ضد الروس[١] ، وبدأ الجهاد فى عام ١٧٨٥ م .

هذا حديث الشيشانيين وشعوب القوقاز المجاورة عن الشيخ منصور ولا نتوقع من المصادر الروسية إلا أن تشوه سيرته فاصطنعت له قصصاً لتزرى به فجعلت أصله إيطاليا ، ظهر كمدع للنبوة فى

---

(١) انظر د. طه سلطان مراد ، تعقيب على كتاب احتلال الروس للقفقاس ، ص ٥٤٧ .

كردستان ؛ فالتف حوله آلاف من المتعصبين الذين أخذوا يهاجمون وينهبون مدناً هامة، مثل « بتلز » ، و « آخالتسيخ » ، و« قارض[٢] » .

مفتريات هذه المصادر بدهية :

١ ــ فالنظام القبلى بصفة عامة لا يسمح بظهور أى شخص من خارج القبائل وتسليمه زعامة .

٢ ــ كذلك فإن مؤلف كتاب احتلال الروس للقوقاز ــ جون بادلى يقول ــ فى ص (٨٦) : « لكن مهما كانت حقيقة أصله، فإنه لا توجد أية حقيقة حول نجاحاته العسكرية المبكرة تلك ، ولذلك من الأفضل لنا ، أن نعتبر ما جاء فى « أرشيف تورين » نتاجا من الخيال الجامح ، إلى أن نتأكد صحة ما ورد فيها » .

---

(٢) يدعى البروفيسور أوتينو ، أنه كشف سلسلة من الرسائل ، فى خزائن وثائق الدولة فى تورين كتبها الشيخ منصور إلى والده ، فى موطنه فى إيطاليا ، ويدعى أن اسمه كان «جيوفانى باتيستابويتى المولود فى « مونقرات » حيث كان أبوه يعمل كاتب عدل ، وكتب عنه قصة طويلة من المغامرات فى آسيا الصغرى وفلسطين ، وتركيا . وأنه ظهر (كنبى) فى كردستان ، والتف حوله آلاف من المتعصبين ، الذين أخذوا يهاجمون وينهبون مدناً هامة مثل « بتلز » ، و « آخالتسيخ » ، و « قارص » . (جون بادلى ، مرجع سابق ، ص ٨٦) . .

٣ ـــ من الأساليب الروسية تشويه صورة الشعب الشيشانى ، أو أى رمز من رموزه القومية ، فعلى سبيل المثال : نجد الإعلام الروسى الرسمى يردد التصريحات الحكومية التى وصفت الشيشان بالمجرمين والمهربين وتجار المخدرات والمافيا التى تعثو فى البلاد فسادا ، وكذلك اتهم الإعلام الروسى « الجنرال جوهر داوديیف » بأنه زعيم عصابة ودكتاتور صغير متمرد علي السلطة المركزية يجب إعادته إلى رشده أو إطاحته[٣] .



الشيخ منصور

(٣) انظر : محمود اللبدى ، «حرب الشيشان والشرعية الإعلامية» الشرق الأوسط ١٩٩٥/٢/٢٣م .

المبحث الثانى

حركة المريدية

تعاليم الصوفية وجدت سبيلها فى فترة مبكرة جدا فى القوقاز، حيث ترسخت أقدامها فى مقاطعة شيرفان، وهى تشمل الآن منطقتى « شماخا » ، « وغيوكتشاى » فى ولاية باكو ، على يد العرب .

وفى القرن التاسع الهجرى عاش السيد « يحيى » تلميذ « صدر الدين » فى باكو متمتعا بعطف كبير من شاه شيرفان ويقال إنه كان يتبع يحيى عشرة آلاف مريد ، وأن تعاليمه انتشرت فى كل مكان ولكن بعد انقراض سلالة « شيرفان شاه » عام ١٥٣٨ ، أصبحت البلاد مسرحا لصراع متكرر بين الأتراك والفرس ، ذلك الصراع الذى دام حتى الغزو الروسى .

وفى هذه الفترة لانجد أى اسم لامع بين شيوخ شيرفان إلى أن جاء « إسماعيل أفندى » فى آخر القرن الثامن الهجرى وجعل « شيرفان » مرة أخرى مركزا لتعاليم الصوفية، للطريقة المعروفة بالنقشبندية التى أسسها محمد البخارى المتوفى سنة ٧٩١ هجرية وأجبر إسماعيل أفندى على الهجرة إلى تركيا . كما نفى كبار أتباعه ومريديه إلى داخل روسيا فهدأت الصوفية فى شيرفان لتعود فتظهر ثانية فى داغستان ، حيث نقلها إلى هناك أحد الأتباع ، واسمه أيضا « محمد البخارى » وقبلها « المولى

محمد اليرغلى » نسبة إلى « يرغل » وهى قرية فى مقاطعة « كيورين » وقد أعطاها اليرغلى طابعا سياسيا ، ولذلك يمكن اعتبار « المولى محمد » بحق مؤسس الحركة الدينية السياسية ، التى وحَّدت مؤقتا ــ تحت اسم المريدية ــ السكان المسلمين فى داغستان والشيشان فى الكفاح من أجل الحرية السياسية ، ولكنه لم يتول أبدا القيادة الفعلية ، ويعتبره البعض أول إمام وهم مخطئون فى ذلك . لأن هذا اللقب يخص فى الحقيقة المولى محمد الغمرى المعروف « بغازى مولا » والذى خلفه « حمزة بك » ثم الإمام شامل(٤)

بدأت المريدية كحركة صوفية ترمى إلى الإصلاح الدينى فى إطار الشريعة الإسلامية ومنذ اللحظة التى قرر فيها زعماء المريدية الدفاع عن أراضيهم وعقيدتهم ضد الاستعمار الروسى نجد أن الحركة أصبح لها جانب سياسى عسكرى بالإضافة إلى الجانب الروحى . وليس هناك ما يبرر اتهام الكتاب الروسى لزعيم المريدين بالنفاق ولا مايبرر إنكارهم الروح الوطنية على أهل الجبال الشيشان والداغستان فى الدفاع عن أرضيهم وعقيدتهم(٥)

وحركة الإحياء الدينى فى داغستان تزامنت مع الاحتلال الروسى الذى اتسم بالقسوة والوحشية والغدر . والإستيلاء على الأراضى ، واستيطانها بناء على مبدأ الإقطاع العسكرى القوزاقى . وبالتالى أضيف

---

(٤) انظر : جون بادلى ، مرجع سابق ، ص ٢٥٧ ــ ٢٥٨ .

(٥) انظر : جون بادلى ، مرجع سابق ، ص ٤٨٨ ــ ٤٨٩ .

إلى الرغبة فى الإصلاح الروحى ، رغبة أقوى فى الحرية السياسية . كما أن الشريعة الإسلامية نادت بالمساواة بين المسلمين الفقراء منهم والأغنياء .

ولذلك فإن تعاليم المريدية كانت ذات قبول شعبى . ومنذ هذا الوقت كانت المريدية حركة دينية ، مقرونة بحركة سياسية . وكلتا الحركتين صادقة ومتساوية القوة ، وكان طبيعياً أن يركز الروس على الناحية الدينية فيها ، بينما يركز الكتاب الغربيون على الناحية السياسية . فعند الغربيين كانت المريدية حركة كفاح بطولى من أجل الحرية . تعززها اعتبارات سامية ، بينما كانت فى نظر الروس انتفاضة للتعصب الدينى ، تذرعت بمهاجمة الحكم الروسى (المستنير العطوف)[٦] ، واستخدام الروس القوة والخديعة فى الاستيلاء على الأراضى ، واستبعاد المسلمين كان المبرر الأكبر للجهاد واستخدام السلاح[٧].

---

(٦) انظر : جون بادلى ، مرجع سابق ، ص ٢٦٠ ــ ٢٦١

(٧) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ ــ ٢٦٣ .

المبحث الثالث

قادة المريدية

الأول ـ غازى مولا[8] :

تعلم اللغة العربية فى «قرناى» ، وأكمل دراسته فى «أراكانى» على يد سعيد أفندى ، ولد غازى مولا فى «غمرى» حوالى عام ١٧٩٣ ويُجمع الكل على أنه كان بطلًا شجاعاً ، مستقل الرأى شديد الإخلاص لقضية بلاده ، ولكنه متزن ، وكان أول معلم لشامل . هذا ، وكلاهما درس على يد أشهر العلماء فى داغستان . ولقن المبادىء الأولى للمريدية الجديدة فى قرية «يرغل» .

و«غازى مولا» كان يعظ الناس مؤكداً ضرورة إعادة العمل بمبادىء الشريعة ، وبالتالى ضرورة ترك العمل بالعادات الغربية عنها . وفى ذات الوقت كان يؤكد لسامعيه المساواة السياسية بين جميع المؤمنين الذين لا يدينون بالولاء لأحد سوى علماء الشريعة ، الذين يستحقون بجلاء محبة الله ، وثقة مواطنيهم . وعندما كانت مقاومة الروس أمراً لا فائدة منه كان يرى أن الخضوع للروس مسموحاً به كإجراء مؤقت . ولم يَدْعُ مستمعيه فى (غمرى) بصراحة للاستعداد للجهاد ضد الروس إلا فى نهاية عام ١٨٢٩م .

---

(٨) انظر : جون بادلى ، مرجع سابق ، ص ٢٦٣ ـ ٢٧٥ .

وكانت حياة (غازى مولا) العملية منذ تاريخ بدء ثورته السافرة تاريخاً قصيراً وعاصفاً يتميز بالانتصارات الباهرة والهزائم ، وانتهى سجل حياته العملية بهزيمته وموته ولكنها ميتة استعادت له شعبيته المتلاشية وضخمتها ، كذلك كانت هزيمته باهظة التكاليف ، بالنسبة للروس . وانتقل إلى رحاب ربه فى عام ١٨٣٢ م .

الثانى ـ الشيخ حمزة :

ولد حمزة فى عام ١٧٨٩م فى «نيوجوتساتل» وتعلم حمزة اللغة العربية ، ودرس القرآن أول الأمر فى «تشوخ» ، ثم بعد ذلك فى «خونزاح» والتحق بغازى مولا ، وأصبح واحداً من أكثر أتباعه حماسة . وبوفاة غازى مولا انتخب حمزة إماماً . وبمساعدة من «شامل» نشط فى نشر تعاليم المريدية وتوطيد قوته ، وحارب الروس فى العديد من المعارك . وقتل فى ١٩ يونيو ١٨٣٤ م[٩].

الثالث ـ الإمام شامل :

ولد عام ١٧٩٧ م . فى «غمرى» بداغستان ، وكان أول معلم لشامل هو «غازى مولا» . ولقن «شامل» المبادىء الأولى للمريدية فى «يرغل» . والقوة الرئيسة لشامل كانت فى الشيشان ، ولكن حركته شملت منطقة واسعة ، متعددة القوميات فى شمال القوقاز . وكان آفاريا من داغستان ، ومنذ أن رفع علم الجهاد المقدس مع غازى

(٩) انظر : جون بادلى ، مرجع سابق ، ص ٣٠٧ ـ ٣١١ .

مَوَلا ، بدافع من الواجب الدينى ، وحُب الحرية[١٠] وطيلة هذه المدة ، وخلال تقلبات الزمن ، حافظ على ولائه للمبدأ والقضية ، وكان صادقاً مع نفسه وأتباعه وعندما كان الإمام الأول للمريدية على قيد الحياة ، خدمه شامل بإخلاص نادر كما أنه أظهر نفس الولاء خلال فترة حكم « حمزة » القصيرة ، وإن كان قد تولى الخلافة بنفسه وعن جدارة .

كان إماماً للمؤمنين منذ عام ١٨٣٤ ، فأحرز قدراً مذهلًا من النجاح ، كان الفضل فيه من الله ــ تعالى ــ جزاء إخلاصه . وبانتهاء ثلاثة عقود من الجهاد المتواصل من مجابهة قوة روسيا الهائلة ، إلى مواجهة الهزيمة ؛ فإن ضميره كان راضياً .

ويقول « جون بادلى » : ومن واجب المؤرخ المنصف أن يوافق على هذا الحكم[١١].

لقد فشل شامل لأن نجاحه كان مستحيلًا ، إذ كان عليه منذ البداية ، أن يكافح ليس ضد روسيا وحدها ، وإنما ضد عدو أسوأ بكثير ، وهو التفرق الداخلى ، وبحكم طبيعة الظروف لم يكن فى وسعه ، أن يتغلب على أى من الخصمين .. ولو كانت جميع بلاد القوقاز ، يسكنها شعب واحد . لكان بإمكانها دون شك ، وإذا ما أتيح لها قائد مثل شامل أن تصمد فى وجه أية قوة خارجية ، موجهة

---

(١٠) من وجهة نظر الروس : بدافع من التعصب ، والفجور ، والتهور .

(١١) انظر : جون بادلى ، مرجع سابق ، ص ٤٨٨ .

ضدها ، وأسر شامل فى أغسطس عام ١٨٥٩ م وحافظ الروس على حياته إلى أن مات بالمدينة المنورة ، وعندما أصبح شامل فى الأسر قال : « أن الفضل يعود إلى إجراءاته الإدارية ، وتنفيذها بحزم فى تسهيل مهمة الغزاة الروس ، فى المحافظة على السلام والهدوء ، الذى دفعوا الثمن غالياً قبل التوصل إليه » ؛ لأنه عود القبائل إلى حد ما على عادات الانضباط وعلمها أن تقاتل فى سبيل قضية مشتركة ، وفى ذات الوقت تتناسى عداوتها المتبادلة[١٢].



الشيخ شامل

(١٢) انظر : جون بادلى ، مرجع سابق ، ص ٤٨٩ .

المبحث الرابع

الإمام شامل وحركة المريدية فى المؤلفات الروسية

اعترف خصوم الإمام شامل المعاصرون له بأن فيه عديداً من الصفات المدهشة ، وهناك روايات روسية تعطى الإمام شامل بعض التقدير العميق ، ومنها رواية (الحاج مراد) لتولستوى ، كذلك ؛ فإن الحكم القيصرى لم يحكم بالموت على ألد خصومه عندما قبض عليه فى النهاية .

وكانت المنشورات السوفيتية شديدة الحماس لشامل . ففى الطبعة الأولى من الموسوعة السوفيتية الكبرى (المجلد ٦١ سنة ١٩٤٣م) E. Genkina, Formation of The Uss R Moscow, 1943, P. 76 .. جاء فيها عن شامل ما يلى[١٣] :

لقد أثارت السياسة الاستعمارية لروسيا ، مقاومة شامل ، تلك السياسة التى سلبت السكان الأصليين غاياتهم ، وانتزعت أفضل أراضيهم لأغراض الاستعمار القوزاق ، ودعمت وأدامت بكافة الطرق طغيان الإقطاعيين المحليين . وكانت الانتفاضة الشعبية ، التى تمت ضد روسيا ، وضد الطبقات المحلية الحاكمة ، معادية للإقطاع فى جوهرها .

---

(١٣) انظر : روبرت كونكوست ، مرجع سابق ، ص ١١٨ .

ومما ورد فى الموسوعة عن شامل : « .. إن الأهداف الاجتماعية للثوار كانت مغلفة بغطاء دينى ، وإن الانتفاضة استمرت على شكل كفاح ضد الروس من جهة ، وفى سبيل الشريعة الإسلامية من جهة أخرى » ، كما أن الموسوعة تعدد صفات شامل وأثره : «أنه زعيم سياسى بارز وقائد حربى قدير ، وأنه كان يتمتع بسلطة هائلة بين الجماهير ، وأبدى بطولة شخصية ومهارة فائقة ، فأصبح أسطورة شعبية . وأن أفكاره العامة والتنظيم الدينى السياسى الذى وضعه لتنفيذها ، قد خلفت وحدة غير عادية حتى فى القوقاز متعدد العناصر واللغات ، والذى تم توحيده فى الكفاح المباشر ضد السياسة الاستعمارية للقيصرية ، ومن أجل تحرير القوقاز » كما تورد الموسوعة ما قاله ماركس عن شامل : « بأنه كان ديمقراطياً عظيماً »[١٤].

واستغل نهج شامل إلى حد ما حتى فى أثناء الحرب العالمية الثانية ضد الألمان ، حيث كلف علماء الشريعة (المولوية) بإعلان الجهاد ضد المعتدين الألمان ، بل وظف اسم شامل فى الموضوع إذ قيل : إن أهل داغستان قد جمعوا ٢٥ مليون روبل لتجهيز رتل من الدبابات ، سمى رتل شامل[١٥].

ـ وحتى بعد عمليات التهجير والنفى ، كان مسموحاً للمؤرخين السوفييت ، لبعض الوقت أن يصفوا بعض أحداث التاريخ الماضى ، من وجهة نظر معادية للاستعمار ، ومن أمثلة ذلك « كتاب بانكراتوفا »

---

(١٤) انظر : روبرت كونكوست ، مرجع سابق ، ص ١١٩ .

(١٥) انظر : روبرت كونكوست ، مرجع سابق ، ص ١٢٠ .

المسمى (تاريخ الاتحاد السوفياتى) يقول عن شامل : «كان شامل زعيماً سياسياً ، وقائداً عسكرياً بارزاً .. وكان منظماً موهوباً لدولة (أهل الجبل) ، وكفاحهم المسلح ضد المستعمرين القيصريين .. وتمت تصفية سلطة البكوات والخانات فى كل مكان .. كما أعتق شامل عدداً كبيراً من الأرقاء .. ولم يكن عمل شامل موجهاً آنئذ إلى القيصرية وحسب ؛ بل كان أيضاً موجهاً ضد كبار الإقطاعيين ، كما كان ديمقراطياً وتقدمياً) .

وتسرد المؤلفة بعض وقائع وأحداث الحرب بقولها : «إن معظم القرى فى غرب القوقاز قد حرقت ونهبت سنة ١٨٥٩ م ، وبين عامى ١٨٥٨ ـ ١٨٦٤م نفى (٤٠٠) ألف جبلى من القوقاز وحل محلهم الروس فى أراضيهم[١٦] .

الحملة ضد شامل فى العهد الشيوعى :

أولًا ـ منذ عام ١٩٤٧ شنت حملة متقطعة ضد شامل ، وفى عام ١٩٥٠ حدث انقلاب فى وجهة النظر الرسمية حيال الإمام شامل بصورة كاملة ، رسمية وعلنية ، فلأول مرة تم تصوير شامل على أنه رجعى وعميل للإمبريالية الأجنبية . ومظاهر ذلك :ـ

١ ـ سحب جائزة ستالين التى منحت لغيدار غصينوف (باكو ١٩٤٩) والتى منحت له مكافأة على كتابه (من تاريخ الفكر الاجتماعى والفلسفى فى آذربيجان ، فى القرن التاسع عشر» وذلك بسبب موقفه من الإمام شامل .

(١٦) انظر : روبرت كونكوست ، مرجع سابق ، ص ١٢٠ .

٢ ــ ذكرت كل من برافدا ، وإزفستيا ، فى ١٤ مايو سنة ١٩٥٠م أن لجنة جائزة ستالين قد بحثت مسألة كتاب غيدار غصينوف (حيدر حسين). ورأت أن الكتاب كُتب من وجهة نظر خاطئة ، سياسياً ونظرياً ، كما أن الكتاب يصور المريدين على أنهم تقدميون وديمقراطيون ، ووطنيون متحررون ، هذا بالإضافة إلى أن الكتاب يصور شامل أنه بطل وصانع أبطال ، وأنه رجل اصطفاه الشعب » وهذا تقويم معاد للماركسية ، ومناقض للحقائق التاريخية ، لأن الحركة المريدية كانت فى الواقع ، رجعية وقومية وتعمل لخدمة الرأسمالية البريطانية ، والسلطان التركى ، كما ترى اللجنة أن صبغ المريدية بالصبغة المثالية فى كتاب «غصينوف» هو فى جوهره انعكاس للانحراف البرجوازى القومى ، ويجب التنديد به بشدة[١٧] .

٣ ــ تلا هذا الإعلان الرسمى المفاجىء ، حملة ضخمة لتطهير كتب التاريخ السوفيتية من الأخطاء التى وقعت فيها حول هذا الموضوع .

فى دراسة عنوانها (مشكلة طابع الحركة المريدية وشامل) وهذه الدراسة مكونة من (١٥) ألف كلمة . وكانت مصدراً ومرجعاً للمجلات التى شاركت فى الحملة ضد شامل والمريدية . ويقول مؤلف الكتاب عنها : «إنها قطعة نموذجية من الأساليب الستالينية»[١٨] .

وهذه الوثيقة لخصها مؤلف كتاب «قتلة الأمم» فى النقاط التالية :

ا ــ بعض الحركات الوطنية أو القومية رجعية .. .

(١٧) انظر : روبرت كونكوست ، ص ١٢١ .

(١٨) المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

ب ــ كانت المريدية إحدى هذه الحركات ؛ لأنها كانت معادية للروس ، موالية للبريطانيين ، وإسلامية .

جـ ــ لم يحظ شامل والمريدون بأى تأييد شعبى ، ولم يكونوا ديمقراطيين كما سببوا مشاحنات قومية بين أهل الجبال .

د ــ كان ضم القياصرة للقوقاز ، عملية تقدمية ، أيدتها كافة العناصر المتقدمة هناك .

هـ ــ اتخذ المؤرخون السوفييت ، موقفاً معاكساً ، بسبب القومية البورجوازية والتبعية للبريطانيين .

و ــ على المؤرخين أن يتخلوا عن موقفهم هذا وإلا واجهوا النتائج .

ومن الجدير بالذكر أن الكُتاب السوفييت استغلوا كتب الرحلات والأسفار التى قام بها كثير من البريطانيين فى منطقة القوقاز فى الثلاثينيات من القرن التاسع عشر مثل «سبنسر» و «بل» و «لونغووث» وبصورة خاصة «أوركهارت» وهو أحد المدافعين المتحمسين عن قضية شمال القوقاز ــ لتدعيم التهمة القائلة بأن التحريض البريطانى كان العامل الرئيس فى حركة شامل[١٩] .

وهكذا فقد عومل الإمام شامل البطل القديم على أنه شخص ضار منحط ، وذلك لمدة ست سنوات ثلاث منها أيام ستالين ، وثلاث منها أيام خلفائه . وعندما أعيد للشعوب المنفية اعتبارها رد للإمام شامل اعتباره ، وإن كان ذلك بصورة جزئية وحاقدة[٢٠] .

(١٩) المرجع السابق ، ص ١٢٧ .
(٢٠) المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

٤ ــ حمزاتوف الذى هاجم شاملا وعاد فأنصفه :

« حمزاتوف » أساء إلى الإمام شامل وشهد ضده زوراً بقصائد لاذعة عام ١٩٥١م ، ثم عاد إلى رشده ، بعد أن هداه الله لإنصاف هذا الإمام المجاهد الذى رفع راية الإسلام فى جهاده ضد الاستعمار الروسى القيصرى .

ويعبر « حمزاتوف » عن ندمه بقوله : « لقد أعمانى بريق ذلك الزمان ، كما تُعْمى الفتاة الجميلة الشاب الغبى .. كنت أنظر إلى كل شىء كما ينظر العريس إلى عروسه ، لا يرى فيها أدنى عيب .. لقد تقرر آنذاك ، أن شاملًا عميل إنجليزى وتركى ، وأن هدفه إذكاء العداء بين الشعوب .. كنت أصدق البيت الذى أكد ذلك .. وكنت أصدق سيد ذلك البيت .. والآن : من جديد يعود الجرح القديم الذى لم يلتئم ليمزق قلبى .. ويحرقه بناره .. كان شامل أسطورة قديمة ، ومنذ صغرى .. أعرف كل ما قيل فى قرانا .. بماذا أجيب ؟ أمامه وأمامك يا شعبى ، اقترفت خطيئة لا تغتفر .

كان للإمام نائب ، محارب مثله . لكن الحاج مراد تخلى عن إمامه ، ثم قرر أن يعود نادماً على ما فعل .. »

وفيما يشبه الهذيان يتساءل رسول حمزاتوف : « لا أعرف إن كان (أبناء شعبى) يغفرون لى أشعارى القديمة تلك .. ولا أعرف إن كان طيف شامل غفرها لى ، لكنى لن أغفرها لنفسى أبداً » .

كان والدى يقول لى : « لا تقرب شاملًا . إذا اقتربت منه فلن تشعر

بالطمأنينة أبداً حتى تموت ، وكان والدى محقاً »[٢١].

حدثنى والدى قال : سألت الشيخ شاملًا العظيم بطانته : يا إمام ، قل لنا ، لماذا منعت نظم الأشعار وتأليف الأغانى . أجاب شامل : «أريد أن يبقى الشعراء الحقيقيون وحدهم .. هم الشعراء ..؛ لأن الشعراء الحقيقيين يستمرون فى نظم الشعر مهما حدث .. أما الكذابون .. أما المنافقون الذين يدعون أنهم شعراء ، فسيخافون منى ويسكتون لأنهم جبناء» .

وشامل عند حمزاتوف صحوة وحكمة مسكونة بالدلالات : سأل شامل ذات مرة أمين سره محمد طاهر الكرخى : كم شخصاً يعيش فى داغستان ؟ أمسك محمد طاهر سجلًا بعدد السكان وأجابه ، لكن شاملًا غضب وقال له : أنا أسألك عن الناس الحقيقيين » .

ومن فوق قمة جبل غونيب فى الشيشان يستشرف حمزاتوف الساعات الأخيرة من جهاد شامل «على قمته صلى الإمام صلاته الأخيرة .. أثناء الصلاة استقرت رصاصة فى يده المرفوعة .. لم يرتعش شامل ، بل استمر فى صلاته .. ضرج الدم ركبتى الإمام والبلاطة التى كان يقف عليها .. أنهى الإمام الجريح صلاته .. وحين نهض ، قال له :

---

(٢١) انظر : عبدالمنعم الأعسم ، «شامل استقوى بالشيشان على الروس ، وحمزاتوف يشهد زوراً ثم يصحو» الحياة ١٩٩٥/١/٢٢ م، وانظر أيضاً : رسول حمزاتوف ، بلدى (رواية) ، ترجمة : دار الفارابى ــ دار الجماهير العربية ــ بيروت ــ ١٩٨٦م .

مقربوه : لقد جرحت أيها الإمام ، هذا الجرح تافه .. إنه سيلتئم » .

ولكل أبناء شعوب القوقاز صورة لشامل ، أما أبناء الشيشان فقد استطردوا بعيداً فى تملى ملامحه على أخاديدالأرض ومنعطفات الجبال وشواطىء الأنهار .. ورسول حمزاتوف (الداغستانى) يقول عن الصورة التى يحتفظ بها للإمام : « فى صباه أراه جاثياً على ركبتيه ، على صخرة « أضولكو » (أخولغو) الملساء ، رافعاً إلى السماء يديه المغسولتين لِلتَّوِّ فى ماء « نهر كويسو الآفارى ». قفطانه مرفوع وشفتاه تتمتمان كلمة ما .. بعضهم يؤكد أنه حين كان يهمس أثناء صلاته بكلمة (الله) كان الناس يسمعون كلمة الحرية ، وحين كان يهمس بكلمة الحرية كانوا يسمعون كلمة الله »[22] .

---

(٢٢) المرجع السابق ـ الحياة ١٩٩٥/١/٢٢ م.

ملحق رقم (١)

مقتطفات من أنشودة شامل[٢٣]

ونظم الشيخ شامل قصيدة صوفية لأتباعه المجاهدين لتحل محل الأناشيد الدنسة التى كانت شائعة فى أيامه ومنها :

يا ألله ....
أعطنا ما نتمنى من غايات .
لكى تبسم لنا السعادة .
ونستريح فى ظل الله .
إكراماً لله
نحن عبادك التعساء .
لا نرفع تسبيحنا إلا لك .
إكراماً لله .
استمعنا لمشيئتك يا ألله .
إنها مبتغانا ومرادنا .
واسمك هو عدتنا .
وتسبيحك سلاحنا .
لأجل الله

---

(٢٣) انظر : جون بادلى ، مرجع سابق ص٥٠٥ ـ ٥١١

لقد التمسنا منك حاجاتنا .
ونتوجه الآن إليك لقضائها .
ثم يتوجه بالقصيد إلى الجنود المجاهدين :
جردوا السيف يا قوم .
وتعالوا لمساعدتنا .
ودعوا النوم والهدوء .
أدعوكم باسم الله .
لأجل الله
إلى الغوث يا متحمسون .
تعالوا ، تعالوا ، وانتصروا .
انتصروا يا أصحاب .
انتصروا يا مختارون .
نرجو الله أن يحمينا من الضلال
لأجل الله
أنتم أبواب الله .
تعالوا ، أنقذوا ، أسرعوا .
أنقذوا الذين ضلوا ، وانشقوا .
وانشقوا عن أهل الله ..
نرجو الله أن يحمينا من الضلال
هيا يا من تقاتلون معنا فى سبيل الله

ملحق رقم (٢)

قراءة أدبية فى سجل الشيشان العسكرى

الإمام شامل و« صقور القوقاز »(٢٤)

من مسلسل الجهاد الشيشانى كتب « سجلوق قللى » روايته « صقور القوقاز » ؛ لتمثل بشكل روائى لم يبعد عن الحقيقة أساس جهاد حركة من حركات الوحدة الداغستانية ، وهى حركات كثيرة ضد القبضة الروسية القوية .

هذه الحركة وحد فيها الإمام شامل بلاد الشيشان ، وداغستان ، وأوراستان .

والإمام شامل حمل راية الجهاد ضد الروس من شيخه حمزة بك ، والذى بدوره حمل هذه الراية بعد موت شيخه محمد الغازى .

ويصف محمد نادر باذر باشى « صقور القوقاز » بأنها قصة بطولة وتضحية وفداء تلك هى قصة الإمام القائد العسكرى الشيخ شامل أسد القوقاز وصقر الجبال الذى دوخ روسيا القيصرية ، وتصدى لظلمها وجبروتها وجيشها ، وخاض معارك شرسة بقلة من رجاله صقور القوقاز . وحقق انتصارات شاملة مؤزرة صعقت بتخطيطها أرق

---

(٢٤) انظر : د. محمد حرب ، « قراءة أدبية فى سجل الشيشان العسكرى : الإمام شامل وصقور القوقاز » ، المسلمون ١٣/١/١٩٩٥ م وقصة صقور القوقاز ، اهتم بنشرها محمد نادر حتاحت ، وصدرت عن دار المدينة .

العقول العسكرية وأعظم قواد الروس الذين كانوا ينهزمون ويجرون أذيال الخيبة والفشل .

إن هذه القصة مكتوبة بمداد دم الضحايا تحكيها كل شجرة فى جبال القوقاز والشيشان وتروى حكايتها قمم الجبال الشماء التى كحلت مآقيها تلك الملاحم الخالدة التى أملاها الشيخ شامل وجنوده البواسل على سمع الزمان . إنها سجل تاريخى مجيد وتقرير عسكرى رفيع وشامل عن الخلجات النفسية والانفعالات والتحركات العسكرية ، معركة بعد معركة ، وظفر بعد ظفر .

ويواصل محمد نادر باذرباشى قوله فى عرض رواية « صقور القوقاز » : حين كنت أقرأ هذه القصة كنت أحس أننى لا أرى الشيخ شاملا فى القوقاز فحسب ، بل كنت أرى وأسمع وأعيش مع أبطال الإسلام عبر التاريخ الإسلامى المجيد حين كانت « الله أكبر ، الله أكبر » ترددها حناجر الأبطال من صقور القوقاز ، وهم يرفعون أعلام النصر فوق القلاع الروسية المفتوحة . وسيرة وشجاعة الشيخ شامل ، ودفقات الإيمان الراسخ فى قلبه تمثل سمواً وشجاعة لا تقرأ مثلها إلا فى سيرة الصحابة والصدر الأول ــ رضوان الله عليهم .

لكن الإمام لم يكن يدرى أن حركات تحريرية حدثت بعده يسلمها خليفة له إلى خليفة ، يعنى من قائد إلى قائد . إنها سلسلة من القادة . حتى تسلمها الآن القائد العسكرى « جوهر بن داود » المسلم السنى الداعى إلى وحدة مسلمى القوقاز فى دولة باسم « دولة شمال القوقاز

الإسلامية ».. رجل عسكرى غيور على دينه وعلى قومه . تسلم الراية وأعلن استقلال الشيشان عن روسيا . هددوه . خوفوه . حركوا الجيوش نحوه ، ولم يزده ذلك إلا صلابة فى الحق .

لقد انبعث البطل الجديد الذى يمثل صراع الشيشان مدة مائتى سنة من الحرب والنزال حتى اليوم . لقد قال نائب « دودابيف » يوم بدأت معركة « جروزنى » إننا لا نحارب من أجل الحرية اليوم ، ولكن نحارب من أجل أن يتحرر شعبنا من ربقة الاستعمار الروسى بعد خمسين سنة .



مريد من رتبة نائب



المريدون خرجوا فى سبيل الله للدفاع عن أراضى القوقاز والشيشان من الغزو الروسى

الفصل السادس

الأبعاد السياسية للمشكلة الشيشانية

المبحث الأول : ملامح النظام الدولى الجديد .

المبحث الثانى : خريطة التوجهات السياسية فى روسيا للاتحادية .

المبحث الثالث : المعطيات التاريخية والجغرافية لمسلمى آسيا الوسطى والقوقاز .

المبحث الرابع : الآثار السياسية للمشكلة الشيشانية .

المبحث الخامس : المشكلة الشيشانية فى إطار القانون الدولى .

المبحث الأول

ملامح النظام الدولى الجديد

الوضع الدولى المعاصر ، تشكل فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وظهرت فيه كل من أمريكا ، والاتحاد السوفيتى كقوتين عظميين ، وتم إنشاء الإطار المؤسسى الدولى ممثلاً فى منظمة بالأمم المتحدة ، والهيئات التابعة لها . وخصوصاً صندوق النقد الدولى ، والبنك الدولى للإنشاء والتعمير ، واعتباراً من أول يناير ١٩٩٥ تحولت الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة (الجات) إلى منظمة دولية تسمى بمنظمة التجارة العالمية .(*)

(*) أنظر وقارن :

ـ د. فوزى طابل ، أزمة شيشان ، مركز الأعلام العربى ، ١٩٩٥

ـ د. سيف عبدالفتاح ، عقلية الوهن : دراسة لأزمة الخليج ، دار القارىء العربى ١٩٩٢م

ـ مركز الدراسات الحضارية ، «النظام الدولى» القسم الأول من تقرير الأمة فى عام ، ١٤١٢هـ (٩١ ـ ١٩٩٢م) ، ص ٦ ـ ٦٨

ـ مركزالدراسات الحضارية«النظام الدولى» القسم الأول من تقرير الأمة فى عام ، ١٤١٣هـ (٩٢ ـ ١٩٩٣م) ، ص ٣٥ ـ ٦٤

ـ مجلة السياسة الدولية ، ملف الإسلام والعنف فى السياسة الدولية ، ص ٧٠ ـ ١٤٠

ـ إبراهيم نوار ، اتفاقيات الجات والاقتصاديات العربية ، كراسات استراتيجية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام العدد (٢٢) ـ ١٩٩٤

ـ د. محمد دويدار ، «أزمة التعليم فى العالم العربى ، محاضرة بجمعية الاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع ، يوم ١٥ ـ ٣ ـ ١٩٩٥م

ـ مصطفى دسوقى كسبه ، المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ، مجلة الأزهر (هدية) ـ شعبان ١٤١٤هـ ٣٨٠ ـ ٣٨٢ ، ص٣٩٣ ـ ٤٠٥

ـ ويمكن تقيم الوضع الدولى المعاصر إلى مرحلتين :

الأولى : استمرت قرابة قرن ، ويمكن رصد أهم الظواهر السياسية فى هذه المرحلة :

ـ تجنب المعسكران الكبيران (الولايات المتحدة الأمريكية ، وقيادتها لحلف الأطلنطى (ناتو) والذى يضم أوربا الغربية ، والاتحاد السوفيتى وقيادته لحلف وارسو ، والذى يضم أوربا الشرقية والوسطى) المواجهة المباشرة الناتجة عن الصراع الأيديولوجى ، وسباق التسلح اللذين أطلق عليهما (الحرب الباردة) .

ـ اتفاق القوتين العظميين وتواطئهما على :

ـ قيام الدولة اليهودية فى فلسطين وتأمينها من قبلهما .

ـ تقسيم باكستان إلى (باكستان) الشرقية (بنجلايش) وباكستان الغربية (باكستان حالياً) .

وانتهت هذه المرحلة بتوقيع اتفاقية الانفراج الدولى عام ١٩٧٢ بين القوتين العظميين ، ووقوع حرب رمضان ١٣٩٣ هـ ـ أكتوبر ١٩٧٣ (الحرب الرابعة بين العرب واسرائيل)[١] .

المرحلة الثانية : تبدأ من بعد أكتوبر ١٩٧٣ ، وحتى نهاية القرن العشرين ، ويمكن رصد أهم الظواهر السياسية على النحو التالى :

أولاً ـ بالنسبة للعالم الإسلامى :

ـ تدمير القوة العسكرية والاقتصادية لكل من إيران ، والعراق .

---

(١) حيث بدأت الحرب الأولى عام ١٩٤٨م ، والثانية عام ١٩٥٦م ، والثالثة ١٩٦٧م .

ـ السيطرة على منابع البترول ، والتحكم فى الأرصدة « البترودولارية » ، وإعادة إقراضها (للعالم الإسلامى) .

ـ منع قيام دولة ذات أغلبية مسلمة فى البوسنة والهرسك بتواطىء دولى غير معلن .

ـ إبراز مفهوم الشرق الأوسط (المتعدد الثقافات ، والأعراق) بدلاً من مفهوم العالم الإسلامى ذو الثقافة الواحدة والحضارة الواحدة .

ـ العمل على إنشاء سوق شرق أوسطية تهيمن عليه اسرائيل بدلاً من سوق عربية أو إسلامية ، وإنهاء المقاطعة التجارية لاسرائيل .

ـ الربط بين الإرهاب والإسلام ، وإظهار المسلمين فى وسائل الإعلام بصورة مشوهة ، وفرض حصار على كل من إيران ، السودان ، وليبيا باسم الشرعية الدولية .

ـ العمل على محاكاة وتقليد النمط الاستهلاكى التبذيرى الغربى لامتصاص الفوائض المالية وتدويرها مرة أخرى للاقتصاد الغربى ، والتى تضمن السيطرة للشركات المتعددة الجنسية ، والمصارف الدولية .

ـ رفض اسرائيل التوقيع على اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية ، وفى نفس الوقت تدمير القوة العسكرية العراقية ، ومنع أى دولة عربية أو إسلامية من الحصول على تكنولوجيا متقدمة ، ومنع المعونة عن باكستان لامتلاكها مقومات صنع أسلحة نووية .

ثانياً : تفكك وانهيار الاتحاد السوفيتى ، وتكوين كومنولث من الجمهوريات الاتحادية وظهور ست دول ذات أغلبية إسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز ، هذا فضلاً عن المسلمين فى روسيا الاتحادية .

ثالثاً : اخضاع الاقتصاد العالمى لسيطرة المؤسسات الدولية الثلاث ، صندوق النقد الدولى ، والبنك الدولى للإنشاء والتعمير ، ومنظمة التجارة العالمية وبانهيار الاتحاد السوفيتى كقوة عظمى ، وعدم وجود قوة أخرى تملأ هذا الفراغ نجد الولايات المتحدة الأمريكية تقود الآن ما يسمى « بالنظام العالمى ذو القطب الواحد » .

وتقوم الولايات المتحدة بتحقيق قيادتها لكوكب الأرض من خلال محورين :

المحور الأول : فتح الأسواق العالمية أمام المنتجات والشركات الأمريكية كى تؤكد أمريكا أنها « القوة التصديرية العالمية العظمى » .

المحور الثانى : حمل العالم كله على السير وفقاً للقيم الأمريكية ، واتخاذ اقتصادياً ، والالتزام بمبادىء حقوق الإنسان كما يفهمها الغرب ، اقتصادياً ، والالتزام بمبادىء حقوق الإنسانى ، كما يفهمها الغرب ، حتى لو تعارضت مع القيم عند أمم أخرى[٢] .

وحتى تحقق هذه الاستراتيجية فقد عمدت إلى[٣] :

(أ) تطويع الأمم المتحدة ، ومن ثم القانون الدولى ، الذى أُعلن نهائياً عن وفاته ودفنه فى المسافة بين « القدس » و « سراييفو » .

(ب) التحالف الاستراتيجى مع اسرائيل .

(٢) من خلال ما جاء بمقترحات الرئيس الأمريكى للموازنة عن العام ١٩٩٥م ، والتى صُدق عليها فى فبراير ١٩٩٤م .

(٣) انظر : د. فوزى طايل ، أزمة شيشان ، مركز الإعلام العربى ، ١٩٩٥ ، ص ١٧ ــ ٢٠ .

(جـ) استيعاب أوربا الغربية ، وربط مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية بالولايات المتحدة الأمريكية ، فلا تستطيع الإفلات ،

وقد تأكد هذا بصفة نهائية بعد أن وضعت الولايات المتحدة الأمريكية يدها على أهم مصادر البترول فتحكمت بذلك فى الاقتصاد الأوربى واليابانى تحكماً تاماً .

كما تحاول الولايات المتحدة تنشيط منظمة « حلف شمال الأطلنطى » ، وتوسيع نطاق عضويتها وتعديل مهمتها لتصبح وظيفتها « فرض السلام » على مناطق لم تكن داخلة فى مجال عملها من قبل ، مع التركيز على منظمة وسط ، وشرق أوربا ، والشرق الأوسط ، لمحاصرة الاتحاد السوفيتى (سابقاً) حتى يتم تصفيته نهائياً .

(د) شغل كل من اليابان والصين بحرب تجارية فى محاولة لإخراجهما من مسرح الصراع العالمى .

(هـ) الهيمنة الكاملة على حركات وتصرفات بعض الدول الإسلامية وتسخيرها لتنفيذ الاستراتيجية الأمريكية الكوكبية المسماة « بالنظام العالمى الجديد » .

(.و) تحويل روسيا الاتحادية من امبراطورية كانت إحدى قوتين عظميين لأكثر من أربعين عاماً إلى مجرد مطية يتم تسيِّدها بأسلوب « العصا والجزرة » .

ووسائل تنفيذ هذه الاستراتيجية :

أولاً ـ التفوق العسكرى للولايات المتحدة :

أن يظل للقوات الأمريكية التفوق ، وأن تكون جاهزة للقتال والتدخل السريع وأن تحقق تواجداً فيما وراء البحار له مصداقيته ، لمواجهة ما يسمى « بالأخطار الجديدة » . والأخطار الجديدة التى تستعد القوات المسلحة الأمريكية للتدخل فيها هى :

(أ) التدخل فى الصراعات الإقليمية والداخلية العرقية ، الطائفية ، الحدودية) ؛ وذلك لفرض السلام ، وفق الباب السابع لميثاق الأمم المتحدة ، أو الحفاظ على السلام وفقاً للفصل السادس من الميثاق .

(ب) منع انتهاكات حقوق الإنسان ، أو الارتداد عن الديمقراطية .

(جـ) إيقاف انتهاكات البيئة ، باعتبار أن حماية البيئة العالمية هى من الأولويات المتقدمة للإدارة الأمريكية .

(د) تأمين المصالح الاقتصادية الأمريكية وفى مقدمتها : (البترول) والتصدير .

(هـ) حماية تقديم المعونات الإنسانية .

(و) محاربة الإرهاب ، ومنع وقوع الجرائم .

(ز) محاربة عمليات تهريب المخدرات .

(ح) منع انتشار أسلحة التدمير الشامل والسيطرة على التسلح .

ثانياً : التفوق التكنولوجي بصفة عامة ، وفى مجال الإعلام والمعلومات بصفة خاصة . وهذا التفوق يتحقق عن طريق التوسع فى مجال جمع وتبادل المعلومات والأفكار من خلال نظام للربط بين مراكز المعلومات ، لتصب ــ فى النهاية ــ فى الولايات المتحدة الأمريكية ، أطلق عليه (الطريق فائق القدرة لجمع المعلومات) ويكتمل بناؤه ليشمل ٢,٥ مليون جهاز كمبيوتر حتى عام ١٩٩٢م .

والقوى التى تسيطر على النظام العالمى الجديد ذو القطب الواحد تسعى إلى تحقيق هدفين متعارضين دون تدخلها مباشرة فى الاتحاد السوفيتى « سابقاً » وهما :

الهدف الأول : هدم روسيا الاتحادية استكمالا لعملية تفكيك الاتحاد السوفيتى ؛ لأن بقاء روسيا الاتحادية مع ما تملكه من قوة بشرية ، وإمكانات تكنولوجية ، وأسلحة استراتيجية وغيرها يعد بمثابة تهديد حقيقى لأوربا الغربية ، إذا ما صعد إلى قمة السلطة هناك من يستعيد قوة روسيا ويحاول بسط نفوذه على معسكره السابق . ويزيد من هذه المخاوف عودة الشيوعيين من الأبواب الخلفية ، وعن طريق الممارسة الديمقراطية ، ليحكموا معظم بلدان أوربا الشرقية ، وبعض الجمهوريات السوفيتية . هذا فضلاً عن أن البديل الجاهز ليحل محل « بوريس يلتسين » فور اختفائه من مسرح الأحداث هو « فلادمير جيرنيوفسكى » اليهودى الذى يتبنى مشروع استعادة الإمبراطورية الروسية[٤] .

---

(٤) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٢ ــ ٢٣ .

وتعد عملية هدم روسيا الاتحادية أحد المعضلات الخطيرة التى تواجه التحالف الغربى ، لما قد يحدث عنها من فوضى عازمة لا يمكن السيطرة عليها ، لذا فهم يحاولون الهدم عن طريق خنقها اقتصادياً وإحداث تحلل داخلى بالمجتمع من خلال نقل الثقافة الغربية بما فيها من أمراض اجتماعية قد لا يقوى المجتمع الروسى على تحملها[٥] .

الهدف الثانى : اساخدام روسيا الاتحادية ، كدولة حارسة ، تسيطر على الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا ، والقوقاز ، والقرم لصالح الغرب اقتصادياً وتحول دون أن يملأ الإسلام الفراغ العقدى والأيدلوجى الذى خلف انهيار الماركسية .

الغربى ـ الصهيونى . وقد اتضح هذا من خطاب بوريس يلتسين الذى وجهه بالتليفزيون إلى الشعب بمناسبة بداية عام ١٩٩٤ ، واعتبره البعض متطابقاً مع أهداف أصحاب الاتجاه اليمينى بزعامة « جيرنوفسكى » ؛ إذ تعهد يلتسين بأن يتم خلال عام ١٩٩٤م التدخل فى الجمهوريات السوفيتية السابقة لحماية مصالح الروس الذين يعيشون هناك بطريقة أكثر قوة وحسماً[٦] .

ويبلغ عدد الروس خارج جمهورية روسيا الاتحادية (حوالى ٢٥ مليون نسمة) ، ربع هذا العدد فى قازاخستان ، والباقى يتوزع على بقية الجمهوريات التى استقلت عقب انهيار الاتحاد السوفيتى ، ومن

---

(٥) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٦) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

الأولويات الاستراتيجية خلال الفترة المقبلة هدف القضاء على ما يسمونه « بالأصولية الإسلامية الإرهابية » على حد تعبير وزير الخارجية الروسى « أندريه كوزريف » فى ١٣ سبتمبر ١٩٩٣م بواشنطن أثناء توقيع اتفاقية غزة ـ أريحا ، وتلا ذلك تصريح فى أول ديسمبر ١٩٩٣م بـ « **أن مهمة القوات المسلحة هي وقف المد الإسلامى المتطرف فى وسط آسيا والحيلولة دون وصوله « قيرغيزيا وأوزبكستان » خاصة** »[٧] .

(٧) انظر : المرجع السابق ، ص ٤٥ .

المبحث الثانى

التوجهات السياسية فى روسيا الاتحادية

يمكن تصنيف التوجهات السياسية فى روسيا حالياً إلى ما يلى :

١ ـ التوجه اليمينى المتطرف والذى يمثله « فلاديمير جيرنيوفسكى » ، زعيم الحزب الديمقراطى الليبرالى فى روسيا ، ويمثل ٢٥٪ من أصوات الناخبين ، والذى يهدف إلى التوسع والسيطرة على دول الجنوب الإسلامية (تركيا ، إيران ، وأفغانستان) وإذابتها حضارياً ، والوصول إلى المياه الدافئة .

٢ ـ التوجه السلافى ، والذى يركز على القومية السلافية فقط والممثلة فى روسيا ، وأوكرانيا ، وبيلورسيا ، ويمثله المفكر « سولجتسين » .

٣ ـ التوجه الثالث وهو توجه توفيقى يجمع ما بين أن تصبح روسيا أوربية ، وفى نفس الوقت تتوجه نحو الجنوب الإسلامى ، ويمثله مستشار الاتحاد الروسى للشئون السياسية « سيرجى ستانكيفيتش » .

وفيما يلى تفصيل كل توجه من توجهات السياسة الروسية :

أولاً ـ التوجه اليمينى المتطرف :

التوجهات الجديدة فى السياسة الروسية والتى تبلورت عقب ظهور نتائج الانتخابات البرلمانية الأخيرة ، فى نهاية ١٩٩٣م وصعود التيار القومى وتحالفه الخطر ، فى بعض الأحيان ، مع اليسار .. تتأصل

وتتجذر يوماً بعد يوم . ويرجع ذلك إلى أسباب مهمة وعميقة ، منها ما يعترف به « والتر لاكير » فى كتابه : « صعود اليمين المتطرف فى روسيا ، (الناشر هاربر كولينز فى نيويورك عام ١٩٩٣م) مثل الشعور المشترك لدى النخبة والعامة فى روسيا بأن بلادهم عوملت كمتسول من الدرجة الثانية ، وعوملت على أنها « بلد لم تعد له أهمية ، والنتيجة هى الرغبة العارمة فى التحدى لإثبات الاستقلالية عن الغرب ، ولكى يبرهن الروس لأنفسهم على أنهم ما زالوا قادرين على التصرف كقوة عظمى . ثم هناك « الإحساس بالمهانة القومية عقب انهيار الاتحاد السوفيتى » والحاجة إلى انتهاج سياسة حازمة تجاه الجمهوريات السوفيتية السابقة فى ضوء المصالح الروسية ووجود عدة ملايين من الروس خارج بلادهم .. إلى جانب الأوضاع الاقتصادية المتدهورة ، والحاجة إلى الدخول فى عمليات إصلاح لا يؤيدها الشعب ، وكذلك العجز المستمر للسلطات عن مواجهة انهيار القانون والنظام . ويرجع صعود اليمين القومى أيضاً إلى انه ليست للمؤسسات الديمقراطية جذور عميقة فى روسيا ، وإلى الاحتياج السيكولوجى التقليدى إلى يد قوية تتولى زمام الأمور . وشجع على تزايد قوة اليمين أن الديمقراطية يصعب تطبيقها فى غياب عدد كاف من الديمقراطيين وفى ظل انقسامات حادة فى صفوف اليسار .

ومما لا شك فيه ان الذى ساعد على صعود اليمين القومى هو انتشار المحافل اليهودية ، الماسونية وغيرها من التجمعات الغربية التى ظل

الروس ـ وما زالوا ـ يؤمنون بأن مهمتها هى تدبير المؤامرات التى تكون روسيا ضحية لها دائماً[8] .

وقد نشرت صحيفة « الحياة » بتاريخ ١٠/٥/١٩٩٤م حواراً مع « فلاديمير جيرنيوفسكى » ، أجراه معه « نيكولاى اندرييف » .

وقبل التطرق إلى محتوى الحوار . نتساءل من هو « فلاديمير جيرنيوفسكى » ؟ هو زعيم الحزب الديمقراطى الليبرالى فى روسيا ، والفائز بنسبة ٢٤٪ من أصوات الناخبين (أى ربع الناخبين الروس) فى الانتخابات التى أجريت فى نهاية عام ١٩٩٣م .

وترجع أهمية هذا الحوار إلى ما يمثله من رؤية استراتيجية لاتجاه سياسى فى روسيا الاتحادية تجاه العالم الإسلامى بصفة عامة ، وتركيا وإيران وأفغانستان بصفة خاصة ، وهو اتجاه عدائى ، لعل أبرز معالمه :

١ ـ عودة نغمة الحروب الصليبية مرة أخرى حيث يقول : « ... أن يتحد العالم المسيحى مجدداً فى القدس ، وأن تصدح فى القسطنطينية أجراس الكنائس المسيحية الأرثوذكسية ، وأن تنتهى الحرب إلى الأبد وتحيا بحرية جميع الشعوب ... » .

٢ ـ تدمير معالم الحضارة الإسلامية حيث يقول :

« التحرك نحو الجنوب يقصد منه أن يتم عبر هلاك الحضارة هناك » ، ويقول أيضاً : « القاسم المشترك الذى سيجمع بينها (شعوب الأكراد ، الأرمن ، والآذريون والبوشتونيون (أفغانستان) ومئات من مختلف الشعوب الأخرى) سوف يتمثل فى اللغة الروسية ،

---

(٨) نبيل زكى ، « ماذا وراء صعود التيار القومى الروسى ؟، البحث عن رسالة عالمية لتكريس موقع الدولة العظمى » الشرق الأوسط ١٢/٥/١٩٩٤م .

والروبل الروسى والسياسة الخارجية الروسية الموحدة والجيش الروسى الواحد الذى سيتبارى الناس للانخراط فيه ، والمؤلف من ٣ ـ ٤ مليون جندى ؛ سيكون عامل استقرار فى العالم كله .

٣ ـ اللعب على أوتار الخلافات العرقية والحدودية (تركيا ، العراق ، إيران) ، وتشجيع الحروب الأهلية (طاجيكستان ، وأفغانستان) كمسوغ ومبرر لحاجة المنطقة إلى دولة عظمى تحقق الاستقرار ، وبالتالى تبرير استخدام القوة .

٤ ـ التحالف التكتيكى مع العراق لتحقيق أهداف روسيا التوسعية نحو الجنوب .

٥ ـ تخليص العالم من التوسع الأمريكى الصهيونى ، الذى يمثل نموذج الحضارة « الأنجلوسكسونى » .

وفيما يلى ما ورد فى الحوار من أفكار[٩] :

« سيشعر العالم كله بالامتنان حينما تؤدى روسيا رسالتها التاريخية ، والرسالة التاريخية فى هذه الحقبة « نهاية القرن العشرين ، وبداية القرن الحادى والعشرين » يمكن تقسيمها إلى ما يلى :

١ ـ تخليص العالم من التوسع الأمريكى الصهيونى ؛ ويبرر ذلك بتصاعد العداء للأمريكيين فى العالم كله ، ومن ضمنه تركيا وإيران وأفغانستان وأوروبا الغربية ، وأوروبا الغربية تئن من أمريكا

(٩) الحوار يقع فى صفحة كاملة ، (أى ما يزيد على خمسة آلاف كلمة) ، وعلى سبعة أعمدة وليس مرتباً كما هو معروض ، وإنما قام صاحب الدراسة بترتيب الأفكار فى إطار منطقى ، وألفاظ الحوار كما هى بدون تحريف لخطورة ما ورد بهذا الحوار من الناحية الاستراتيجية على أمن العالم الإسلامى . الحياة ١٠/٥/١٩٩٤م .

وإسرائيل ، وتطلب منا (روسيا) تخليصها من الهيمنة الأمريكية ومن نفوذ و « تصهين » الصحافة .

٢ ـ تحالف جميع الشعوب الشمالية (الأوربية) ، ضد الإعصار (الإسلام) الذى يداهم أوربا من الجنوب والشرق ، بشرط أن يلعب الروس والألمان الدور الرئيسى فى هذه الحرب الدفاعية ؛ وأسباب ذلك أن غزو أوربا وإخضاعها يجريان على قدم وساق ، والإسلام لا يدق الأبواب بل يسير فى مدن أوربا ، الإسلام الأصفر (آسيا) ، والإسلام الأسود (إفريقيا) يتدفق على أوربا المسيحية .

وتفصيل تلك الرسالة كما يراها ، « جيرنيوفسكى » كما يلى :

« سنطرح على العالم نموذجنا بدلاً من النموذج « الأنجلوسكسونى » لتدمير أوربا الشرقية وروسيا ، وسنطرح تجزئة تركيا وإيران وأفغانستان بوصفها دولاً مصطنعة لا آفاق لها ، وهى فى الواقع دول غاصبة لأنها مكونة من قبائل رُحِل ، وديدنها الغزو والسطو والأسر واحتجاز الرهائن وممارسة العنف ، فتركيا مثلاً : قبل خمسة قرون ركب الأتراك خيولهم واتجهوا صوب الغرب حيث كانت تزدهر الإمبراطورية البيزنطية بعلومها وفنونها وحرفها ، لم يكونوا هناك يريدون أن يحاربوا . لكنهم لم يدركوا أن فى الشرق همجاً ولم يتمكنوا من صيانة دولتهم . الآن هناك اسطنبول بدلاً من القسطنطينية ، إنه اغتصاب الغير إنه ضم قسرى .

ينبغى أن تعود الأمور إلى نصابها وأن يتحد العالم المسيحى مجدداً فى القدس وأن تصدح فى القسطنطينية أجراس الكنائس المسيحية الأرثوذكسية وأن تنتهى الحروب إلى الأبد ، وتحيا بحرية جميع الشعوب ، الأكراد ، والأرمن ، والآذريون ، واليوشتونيون ، ومئات من مختلف الشعوب الأخرى ، والقاسم المشترك والذى سيجمع بينها جميعها سوف يتمثل فى اللغة الروسية ، والروبل الروسى ، والسياسة الخارجية الروسية الموحدة والجيش الروسى الواحد الذى سيتبارى الناس للانخراط فيه وسيكون الجيش المؤلف من ٣ ــ ٤ ملايين جندى ، عامل استقرار فى العالم كله .

ينبغى أن نضمن مرة وإلى الأبد الحدود الجنوبية لروسيا .. المحيطون بنا (المسلمون) برابرة (همج) ويجب أن يعرفوا أن روسيا قادرة ليس على الدفاع فقط بل وعلى الهجوم .. الشعب الروسى لم يكن عدوانياً أبداً ، ولم يكونوا البادئين بالهجوم .. ودفعت روسيا ثمناً باهظاً وأريقت دماء الروس لتؤمن حدودها وتصل إلى البحار الشمالية ، وإلى بحار البلطيق وقزوين والأسود ، **وينبغى علينا أن ننزل إلى المحيط الهندى ليس الآن لكن فى القرن المقبل ، لكى نبقى فى الشرق والهند التى ينبغى أن يعاد توحيدها مع باكستان إذ أن المستعمرين البريطانيين فصلوا بينهما بصورة مصطنعة** . وعلى كل الأحوال نحن بحاجة إلى أن نعود إلى السياسة الخارجية لروسيا القيصرية ، **ونهبط إلى الجنوب** كل ما يمكن من الشمال استوعبته روسيا ، وفى الشرق الأقصى هناك المحيط

الهادى ، ولم يتبق ما نسير نحوه ، إلى الجنوب من تلك المنطقة اليابات والصين ومعهما حدود يجب أن تبقى ثابتة .

وفى الجنوب نحن بحاجة إلى البحار الدافئة (إلى المحيط الهندى) . إذا لم نتحرك نحو الجنوب فإنهم (المسلمون) سيصعدون إلى الشمال وليس هناك خيار ثالث . والتحرك نحو الجنوب يقصد منه أن يتم عبر هلاك الحضارة هناك (الحضارة الإسلامية) .

من هدد أوربا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ؟ الإمبراطورية العثمانية . الأتراك استولوا على بودابست وحاصروا فينا ، ولولا الجيش الروسى لتعرضت أوربا إلى « التتريك » ولما كانت هناك اليوم الدنمارك والسويد وفرنسا ، ولنقلت تركيا عاصمتها إلى باريس ، وبدلت اسمها إلى لفظ تركى ، ولغدت أوربا كلها تتكلم التركية كما يحصل اليوم فى آسيا الصغرى التى تتكلم التركية بعد أن كانت لغتها يونانية .

« واستراتيجية جيرنيوفسكى » للسيطرة على الجنوب تقوم على ما يلى :

- تجزئة تركيا وإيران وأفغانستان ، عن طريق :

١ ــ تدعيم المجابهات بين : طاجيكستان وأفغانستان : والاصطدامات المحتملة بين الجزء الروسى والإيرانى من تركمانستان (أى أنه يجعل دولة تركمانستان جزءاً من روسيا) . وكذلك بين آذربيجان

السوفيتية وآذربيجان الإيرانية ، وبين آذربيجان وأرمينيا ، وبين أرمينيا وتركيا ، وبين الأكراد والأتراك ، وبين الأكراد والفرس وبين إيران والعراق[10]

٢ ـ عدم بيع السلاح للأتراك . لماذا الأتراك ؟ دعونا نبيعه للأكراد ، الأكرا ثلاثون مليونا ، سيهبون لانتفاضة قومية ويطيحون بنظامى أنقرة وطهران ، لن نُقتل نحن بالتأكيد سيهلك عشرة ملايين كردى ، وعشرة ملايين تركى ، لكن لن نقتل نحن الروس[11]

٣ ـ العراق كشريك يعتمد عليه ، فله مصلحة فى أن تكون تركيا ضعيفة ، وإيران ضعيفة إنهما كيانان مصطنعان ويجب أن يتواريا عن مسرح التاريخ .. ولمنفعتنا التحالف مع العراق كدولة ، فخصومه وخصومنا متطابقون . العراق حليفنا **ووفق مخطط الحرب العالمية**

---

(١٠) الحرب الأهلية فى أفغانستان ، وطاجيكستان ، والصراع بين أنجاديا وجورجيا ، والتمرد الأخير ـ أثناء الطبع ـ فى آذربيجان ضد رئيس جمهورية آذربيجان كل ذلك جزء من السياسة الروسية فى حكومة يلتسين .

(١١) الحرب الأهلية بين الحكومة التركية ، وحزب العمال الكردستانى تؤكد ذلك المخطط . وفى الثلث الأخير من شهر مارس ١٩٩٥م دخلت القوات التركية المنطقة الآمنة الخاصة بالأكراد ولم تعترض قوات التحالف الدولى (الموجودة بقرار من المنظمة الدولية) طالما أن ذلك يدمر زهرة شباب المسلمين ويستنزف الموارد الأقتصادية .

الثالثة يجب أن يتحرك على الجناح الجنوبى ويضرب تركيا من الجنوب ونحن (روسيا) نتحرك من مواقع حامية القوقاز .

تركيا وإيران وأفغانستان تشكل مناطق نفوذنا ، والحرب الكبرى ستشمل ما وراء القوقاز (آذربيجان وأرمينيا وجورجيا) وتركيا وإيران وأفغانستان وآسيا الوسطى ، وسوف تستمر الحرب ٣٠ ـ ٤٠ عاما . إننا إذ لم نفعل ستنكمش روسيا ابتداء من حدود قازاخستان وإلى الداخل لأنهم سيصعدون إلى هنا . ستبقى لنا موسكو . هذا هو ما سيبقى لنا بعد خمسين سنة .

ثانياً : التوجه الثانى : تكوين اتحاد سلاف من روسيا وأوكرانيا ، وبيلورسيا :

فى أواخر عام ١٩٩٤م أعلن المفكر الروسى « سولجتسين » تصريحاً فى البرلمان ـ وكان يناقش قضية استقلال الجمهوريات الإسلامية ، أن على روسيا أن تستقل باتحاد سلافى مع أوكرانيا ، وروسيا البيضاء ، وتكتفى بهذا ، وعليها أن تمنح استقلالاً للجمهوريات الإسلامية فى روسيا الاتحادية .

وأضاف أنه إذا أراد الروس أن يكون القرن الحادى والعشرون قرناً روسياً فعليهم التحالف مع العالم الإسلامى . وكان يطرح هذه الرؤية على عكس رؤية الجناح القومى المتطرف[١٢].

---

(١٢) د. عبد الله سعد ، « ندوة أحرار الشيشان » ، ص ١١٨ المركز العربى الدولى ١٩٩٥/١/٦م .

التوجه الثالث : الجمع بين الحضارة الأوربية والحضارة الإسلامية فى الاتحاد الروسى(*)

أفكار هذا الاتجاه عبر عنها مقال كتبه مستشار الاتحاد الروسى للشئون السياسية « سيرجى ستانكيفيتش » فى صحيفة « نيزافيزيمايا جازيتا » بتاريخ ٢٨ مارس (آذار) عام ١٩٩٢م بعنوان « روسيا تبحث عن ذاتها » .

والأفكار الرئيسة فى ذلك المقال تدور حول ضرورة ان تستخدم روسيا السياسة الخارجية لكى تعود لتصبح ، هى نفسها .. روسيا ، والسبيل إلى ذلك هو أن تكون روسيا قوة توفيقية وعنصراً للمصالحة والتآلف تربط بين أوروبا وآسيا وبؤرة فريدة ـ تاريخية وثقافية ـ يتجمع فيها السلاف والشعوب المتحدثة بالتركية ، وأن تكون وعاء يحتوى على مقومات أورثوذكسية وإسلامية .

ويجب ـ فى ما يرى ستانكيفيتش ـ أن تكون لروسيا رسالة فى العالم هى فتح حوار متعدد الأطراف بين الثقافات والحضارات والدول ، فاقتناع روسيا بأن لها « رسالة عالمية » هو وحده الذى يمكن أن يساعدها على ان تجد هويتها القومية ، وروسيا « بلد استوعب الغرب والشرق ، والشمال والجنوب ، وقادر على نحو استثنائى وفريد على أن يكون سيمفونية تاريخية » .

والتعامل مع العالم الذى يحيط بروسيا يساعد على صياغة وتشكيل

(*) نبيل زكى ، مرجع سبق ، الشرق الأوسط ١٩٩٤/٥/١٢م .

وضع الدولة الروسية ، ويساعد أيضاً روسيا على التعرف على مصالحها ، ومن هنا ، فإن على روسيا ، وفقاً لهذه النظرية الجديدة ، أن تعيد النظر فى دورها فى الأمم المتحدة وأن تستخدم مقعدها الدائم فى مجلس الأمن لكى تحقق « رسالتها » وتكتسب هذه الوضعية الجديدة .

وعلى روسيا أن تولى عناية خاصة للمنظمات الأوروبية للأمم المتحدة ولتدعيم مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبى ، ذلك ان دور روسيا الجديد فى هذه المؤسسات سوف يساعدها على إقرار وضعها كقوة أوروبية قيادية بل يعوض المسافة الجغرافية القائمة الآن بينها وبين مركز الحياة الدولية الأوروبية .

أى أن هناك خطين فى السياسة الخارجية الروسية يطرحهما المستشار السياسى الروسى للنقاش :

الخط الأطلنطى ، وهو يعنى أن تصبح روسيا أوربية ، وأن تصبح جزءاً من الاقتصاد العالمى بطريقة منظمة وسريعة ، وأن تصبح أيضاً العضو الثامن فى نادى السبعة الكبار ، وأن تركز بنوع خاص على علاقاتها بألمانيا والولايات المتحدة باعتبارهما العضوين المسيطرين على التحالف الأطلنطى ، وهو تفكير عقلانى وبراجماتى (عملى) وطبيعى .. فهناك توجد القروض والمعونات والتكنولوجيا المتقدمة .

أما الخط الثانى (المعاكس) فهو الأوراسية ، وهو يعنى الاهتمام ، بوجه خاص ،بتقوية مراكز روسيا فى الشرق وتصحيح الصورة التى رسمها دعاة نظرية « البيت الأوروبى المشترك » ، فالواقع أن روسيا مفصولة الآن عن أوروبا بسلسلة من الدول المستقلة ، وهى مفصولة

جغرافياً وجيوبوليتيكياً عن أوروبا مما يتطلب إعادة توزيع الخيارات والمصالح والموارد والارتباطات لصالح آسيا والتوجه نحو الشرق .

وهكذا ، فإن الدعوة المطروحة هى إعادة صياغة وتشكيل المصالح الاستراتيجية الروسية ، الأمر الذى يضع أمام روسيا تحدياً تاريخياً جديداً . **ويعترف ستانكيفيتش بأن تأثير العالم الإسلامى ــ القريب من روسيا جغرافياً ــ على الموقف السياسى الداخلى الروسى ، يتصاعد ، ويتزا من هذا التأثير مع بروز مراكز ثقل مؤثرة داخل الجمهوريات الآسيوية الملاصقة لروسيا وفى داخلها ، فى نفس الوقت الذى يتشكل فيه ، تدريجياً ــ قوس للأزمات يمتد من جنوب جبال القوقاز ــ الذى يشمل جمهوريات أرمينيا وآذربيجان وجورجيا ــ حتى شمال القوقاز ناحية إقليم الفولجا .**

ويرى ستانكيفيتش أن تجاهل هذه الحقائق مستحيل ، وكذلك من المستحيل التخلف عن إدراك ما إذا كانت القوى المسيطرة فى الشرقين الأدنى والأوسط يمكن ان تلعب دوراً فى قوس الأزمات ، وأى من هذه القوى (سواء السعودية أو إيران أو تركيا) يبدى اهتماماً أكبر بتلك المنطقة .

وهنا لا يرى مستشار الشئون السياسية غضاضة فى التحدث عن إحياء « المسألة الشرقية » فى السياسة الخارجية الروسية على نحو قريب من المعنى الكلاسيكى ، وكل ما فى الأمر هو أن روسيا تحتاج إلى رؤية عصرية لهذه « المسألة الشرقية » .

وهذه الدعوة التى بدأت منذ عام ١٩٩٢م إلى إعادة التوجه إلى العالم الإسلامى والتعاون مع الدول « المتوسطة » يشكل تحولاً فى السياسة الروسية ، بل ان ستانكيفيتش يؤكد أن روسيا « سوف تقف دائماً إلى جانب الذين يتعرضون ، بدون وجه حق ، للامتهان والذين يتعرضون « ظلماً ـ للاضطهاد » .

هل هى صيغة مخففة لشعارات التضامن الأممى السابقة ؟ وهل هى ذريعة تستخدمها القومية الروسية الآن للتدخل فى شئون الدول الأخرى ، كما يقول الغرب ؟ أم هى « أعراض » لعودة السياسة الإمبراطورية للظهور ؟

وهذا هو تفسير باحث أمريكى مثل « بروس بورتر » (معهد اولين للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفارد) إذ يرى ان ما يسمى الآن برسالة روسيا فى العالم .. يعيد إلى الأذهان رؤية قديمة لموسكو باعتبارها « روما الثالثة » القادرة على التوفيق والربط بين الغرب والشرق والشمال والجنوب . ويقول « بورتر » إن هذه هى المشكلة عبر تاريخ روسيا بأكمله ، فقد كان السعى لإيجاد هوية يتأتى عن طريق قيامها بأعمال كبرى على الساحة العالمية بدلاً من ان يكون السعى لإيجاد هوية .. من خلال تضميد الجراح المحلية والتجديد فى الداخل .

والرأى السائد فى الغرب هو أن مساهمة روسيا فى العالم يجب أن تكون من خلال التركيز على اعادة البناء الداخلى والتصرف « بحذر وبروح المسئولية » على المسرح الدولى ، ذلك ان « مواهب روسيا الحقيقة » تكمن فى الثقافة والأدب والعلم والفكر ولا تكمن فى السياسة والدبلوماسية .

المبحث الثالث

المعطيات التاريخية والجغرافية لمسلمى آسيا الوسطى والقوقاز

لم يدخل الروس المسيحية إلا فى نهاية القرن ١٠م ، وكانت إمارة موسكو هى نواة الإمبراطورية الروسية القيصرية التى بدأت تكوينها فى نهاية القرن ١٥م مع القيصر إيفان الثالث الذى خلص موسكو من حكم التتار المسلمين « ٢٥٠ عاما » لتبدأ روسيا بعد ذلك مرحلة توسع فى آسيا وأوروبا ، والتى أخذت دفعة قوية مع بطرس الأكبر مؤسس دولة روسيا الحديثة منذ نهاية القرن ١٧م[١٣]

والمسلمون يتركزون فى آسيا الوسطى ، والقوقاز ، وفى روسيا « حوض نهر الفولجا ، شمال القوقاز » وهذه المناطق تختلف من حيث توقيت وطريقة انتشار الإسلام ، وكذلك من حيث توقيت التوسع الروسى القيصرى ، ومن حيث درجة تعرضها للتنافس بين القوى الإسلامية الكبرى المجاورة[١٤]

(١٣ ، ١٤) انظر : د. نادية مصطفى ، (آسيا الوسطى والقوقاز بين القوى الإسلامية الكبرى وروسيا) ، ندوة الوطن العربى وكومنولث الدول المستقلة ، معهد البحوث والدراسات العربية ـــ ٢٦ ـــ ٢٨ يونيو ١٩٩٤ ص ١٠ ، ١١ .

انظر أيضا : مصطفى دسوق كسبه ، المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز الجزء الأول ، ص ١٣٠ ـــ ١٥٠

وكانت آسيا الوسطى مجالًا حضاريا إيرانيا ــ تركيا ، اختلط فيه الترك مع الفرس وتأثروا ببعضهم البعض منذ قدوم العنصر التركى إلى المنطقة فى القرن السادس الميلادى ثم استقرازه ، وانتشاره منذ القرن الثامن الميلادى ثم افرازه بعد ذلك لموجات هجرة بشرية كثيفة نحو الغرب كان من أهمها السلاجقة والعثمانيون ومن الثابت تاريخيا أن العرب « الخلافة الراشدة ، الأمويون ، العباسيون » والترك « المماليك والعثمانيون » تتناوب قيادة المسلمين وحمل راية نشر الإسلام والدفاع عنه كما لعب الفرس دورهم فى هذه المراحل المتتالية[١٥]

قبل العهد الشيوعى لم تكن هناك القومية القائمة على العرقية[١٦]ولم تبدأ فى التبلور فى المنطقة إلا مع أساليب « الروسنة » ثم « السفيتة » والتعريف الحالى لهذه القوميات لم يكن إلا عملية مصطنعة لتحقيق أهداف سياسية أهمها كسر الشعور لدى مسلمى الامبراطورية القيصرية ثم الشيوعية بالانتماء إلى كيان أكبر هو الأمة الإسلامية أو الأمة التركية حيث لم يكن هناك وجود لدول محددة دائمة وثابتة ــ بمعنى الدول الآن ــ ولكنها كانت مجموعة من الأقوام المتجاورة فى مساحة ممتدة وعميقة تسمى هذه المناطق خانات أو إمارات تقوم عليها أسر أو قبائل تتسع حدودها أو تنكمش وفقا لحالة قوتها بالمقارنة بجيرانها . ولكن يشعرون بهوية مشتركة بأنهم مسلمون وينحدر معظمهم من أصل

---

(١٥) انظر : نادية مصطفى ، المرجع السابق ، ص ١٢ ــ ١٣ .

(١٦) انظر : د. نادية مصطفى المرجع السابق ص ١١ ــ ١٢ .

واحد وهو الترك ، ولقد تداخل معه بعد ذلك العنصر المغولى . ولهذا فهم ينتمون إلى ثلاث مجموعات عرقية :

١ ـــ التركستانية : الأوزبك ، القازاخ ، التركمان ، التتار ، الآذريون .

٢ ـــ الإيرانية : الطاجيك .

٣ ـــ الايبروقوقازية : الشاشان والأنجوش .

وظل الحزام الجنوبى الشرقى لروسيا القيصرية جزءاً فعليا إن لم يكن قانونيا من العالم الإسلامى بما فيه من شعوب حافظت على انتمائها للإسلام ، ولا يرجع هذا البقاء للإسلام إلى الكثافة السكانية والبعد الجغرافى عن مركز القوة « موسكو » فقط ولكن يرجع إلى المقاومة العنيدة لشعوب هذه المناطق وصراعها للحفاظ على هويتها الدينية[١٧]

ومن أهم صور هذه المقاومة :

١ ـــ المقاومة المسلحة بمساندة الطرق الصوفية .

هذه المقاومة بدأت منذ بداية التوسع الروسى أى منذ منتصف القرن ١٦م وذلك فى بلاد التتار ، ثم امتدت خلال القرون ١٧ ، ١٨ ، ١٩م فى حوض نهر الفولجا والأورال وتركستان الغربية والقوقاز[١٨] .

وكان التتار المسلمون وأحفاد جنكيزخان ، ورثة القبيلة الذهبية هم الذين بدأوا المقاومة ثم قادت المقاومة الحركات الصوفية بصفة خاصة فى القوقاز فى القرنين ١٨ ، ١٩م عن طريق « الشيخ غازى مولا، الشيخ

---

(١٧) انظر : د. نادية مصطفى مرجع سبق ص ٣٨

(١٨) انظر : الفصل الثالث من هذه الدراسة ، د. نادية مصطفى المرجع السابق ص ٣٩ .

حمزة ، الشيخ شامل » وكذلك عن طريق قادة الطريقة النقشبندية حيث حازت مقاومتها أهمية كبيرة ولقدساندتها الدولة العثمانية[١٩] وكانت مقاومة الإمام شامل الداغستانى الآفارى والتى استمرت ٢٥ عاما « ١٨٢٤ ــ ١٨٥٩م » من أطول وأشرس عمليات المقاومة الإسلامية ضد التوسع الروسى . وكانت هزيمتها تعنى إتمام السيطرة الروسية على القوقاز ، ولقد كان القوقاز مركزا لمقاومة الحكم البلشفى بعد الثورة الشيوعية[٢٠]

كما قاد العلامة أبو النصر مبشر الطرازى الجهاد الإسلامى المعاصر ضد روسيا القيصرية فى الفترة (١٩١٧ ــ ١٩٣٠) ضحت فيها تركستان بأرواح خمسة ملايين شهيد ، وخمسة ملايين تم نفيهم إلى معتقلات سيبيريا ونحو ثلاثة ملايين تركوا ديارهم مهاجرين فى سبيل الله[٢١]

٢ ــ الصراع الفكرى والاجتماعى للحفاظ على الإسلام فى ظل الحكم الروسى بعد فشل المقاومة المسلحة ، وفرض الحكم الروسى هيمنته على جميع أراضى المسلمين التى لم تعد جزءا من العالم الإسلامى وواجه المسلمون واقعا جديدا يهدد باجتثاث جذورهم الدينية والثقافية والاجتماعية وتعرض المسلمون لعمليات « الروسنة » ، و« السفيتة » إلا أن الإسلام أصبح يمثل هوية ، وشخصية حضارية متميزة عن الحضارة

---

(١٩) انظر : الفصل الثالث من الدراسة

(٢٠) انظر : الفصل الرابع من هذه الدراسة .

(٢١) انظر : مصطفى دسوق كسبه مرجع سبق ص ١٨٨ .

الروسية بقيمها وعاداتها وتقاليدها ، وعقيدتها المسيحية الأرثوذكسية[٢٢]

والعصر الذى نعيش فيه تتراجع « الأيدولوجيات » الوضيعة وتنمو فيه العقائد الدينية ، وحتى الديانات غير السماوية والهندوس ينهضون دينيا ، والكنغوشيوسية تحيا واليهودية تنمو ، والمسيحية تنمو ، نحن فى صحوة دينية عالمية فى كل الديانات وإذا كان ذلك جائزا من مثل هذه الديانات فهو واجب بالنسبة للإسلام ، لأن الإسلام دين ودنيا وله نظام ومنهاج شامل .

والصحوات الدينية هى أعظم ظواهر العصر الذى نعيشه ليس فقط فى الإطار الإسلامى وإنما فى كل الأطر الدينية وإن العودة آن أوانها وأن نشعر بكل جسد الأمة الإسلامية ونحاول أن نقيم العلاقات .

ويرى الدكتور محمد عمارة أن وجود المسلمين فى وسط كيانات أخرى أنفع للمسلمين ولو كانت الهند لم تقسم ، لدخل المنبوذون جميعا الإسلام[٢٣]

وإذا كانت فرنسا تحاول أن تكون ما يسمى برابطة الشعوب الفرانكفونية مستغلة انتشار لغتها وثقافتها ، وتزعم لنفسها وصاية أدبية على هذه الشعوب فإن مظلة العالم الإسلامى تنشر نفسها طوعا على

---

(٢٢) المرجع السابق صفحات ٤١٥ ــ ٤٤٠ .

(٢٣) انظر : د. محمد عمارة ، ندوة أحرار الشيشان ، والدب الروسى ٦ ــ ١ ــ ١٩٩٥م ، ص ١٧٩ .

رقعة كبيرة من شعوب العالم اعتنقت الدين الإسلامى وتشربت الثقافة الإسلامية[24]

الإسلام هو المحرك الرئيس لعوامل القوة وعوامل مواجهة الهيمنة الغربية ، ويلغى عوامل الاستسلام أو التخاذل اللذين يجريان فى الساحة الإسلامية[25]

أهمية دول آسيا الوسطى والقوقاز :

١ ــ أهمية اقتصادية :

فيما تحتويه أراضيها من ثروات طبيعية منها اليورانيوم ، والبترول .. وغيرها .

٢ ــ أهمية ثقافية وحضارية ممثلة فى الثقافة ، والحضارة الاسلامية .

٣ ــ أهمية استراتيجية :

هذه البلدان هى البوابة الشمالية للأمة الإسلامية ، وهى الدرع الذى حمى الإسلام طويلا ، وبسقوطها تعرضت الأمة الإسلامية لأخطار جمة أدت فى النهاية إلى تفكك وحدة أراضيها .

فهى تعد بمثابة الدرع فى المربع الأمنى الإسلامى ، والذى تشكله « تركيا ، إيران ، أفغانستان ، باكستان ، الصومال ، السودان ،

---

(٢٤) سمير المضيبى لماذا نناصر أحرار الشيشان ندوة أحرار الشيشان والدب الروسى ، المركز العربى الدولى ٦ ــ ١ ــ ١٩٩٥م ص ٣٣

(٢٥) انظر : د. عبدالصبور مرزوق ، ندوة : أحرار الشيشان والدب الروسى ، المركز العربى الدولى ٦ ــ ١ ــ ١٩٩٥م ص ٨٢ .

ومصر » وهو المربع الذى يقع فيه معظم المسلمين فى العالم ، وبداخله مقدسات الأمة ومراكزها الثقافية الكبرى ، فضلا عن معظم ثرواتها ، وطرق المواصلات البحرية والبرية فيها[٢٦]

أهمية منطقة القوقاز :

جبال القوقاز هى الحد الفاصل بين الحضارتين الإسلامية والأوربية؛ لذا يمكن القول بأن هناك ارتباطا تاريخيا ، وعقائديا ، وجغرافيا بين الصراع الساخن الدائر فى كل من البوسنة والهرسك من جانب ، والقوقاز من جانب آخر ، ومحاولات إقامة دولة كردية تحت الحماية الغربية ، على حساب العراق ، وتركيا ، وإيران ، وسوريا ، وآذربيجان من جانب ثالث ولئن حدث هذا فلسوف يتمكن التحالف الغربى ــ الصهيونى من احتواء الثورة الإسلامية فى إيران ، وتقسيم العراق وسوريا ، والوثوب على حليفتهم المؤقتة تركيا لاستعادة ما يدعونه من أراضى الدولة الرومانية الشرقية .

هذا وللصراع فى القوقاز بعد اقتصادى يتمثل فيما بها من ثروة بترولية ضخمة[٢٧]

أهمية جمهورية الشيشان :

الشيشان تشكل أكبر تجمع سكانى غالبيته العظمى من المسلمين ، وأكبر كثافة سكانية فى شمال القوقاز والتى يوحدها مع الشعوب

---

(٢٦) انظر : د. فوزى طايل ، مرجع سابق ص ٢٧ ــ ٢٨ .

(٢٧) انظر المرجع السابق ، ص ٢٩ .

المجاورة خاصة داغستان ، والأنجوش أواصر عرقية فضلا عن وحدة العقيدة والتاريخ .

تشكل نواة التجمع الإسلامى الواقع على السفوح الشمالية لجبال القوقاز هذه الجبال الوعرة المغطاة بالغابات الكثيفة ، والتى تتحكم فى الأرض الواقعة بين البحر الأسود ، وبحر قزوين ، وفى الطرق البرية ، والجوية ، والسكك الحديدية التى تصل بين روسيا ، وجمهوريات الاتحاد السوفيتى السابقة فى آسيا الوسطى ، والقوقاز[٢٨]

مما سبق فى المبحث الأول ، والثانى والثالث نخلص منه إلى أن الصراع فى منطقة القوقاز يهدف إلى :

١ ـــ منع قيام كيان إسلامى قوى على هذه الأرض .

٢ ـــ تفكيك روسيا الاتحادية كما تفكك الاتحاد السوفيتى وهذا ما تخطط له الدوائر الغربية من خلال :

(أ) اصطدام روسيا مع أوكرانيا .

(ب) أو اصطدام روسيا مع منطقة داخل روسيا نفسها .

كما يرى السفير اسرافيلوف وكيلوف « سفير آذربيجان فى القاهرة » [*]

وكان الصدام مع جمهورية الشيشان لتدفع ثمن فاتورة الصراع الدولى فى هذه المنطقة ، لأن المشكلة الشيشانية كان يمكن حلها على نمط الحل فى جمهوريتى تتارستان ، ويشكيرستان سلميا وفى إطار التفاوض .

---

(٢٨) انظر :المرجع السابق ص ٦٣ .

(*) ، اسرافيلوف وكيلوف ، ندوة أحرار الشيشان ٦ ـــ ١ ـــ ١٩٩٥م .

المبحث الرابع

الآثار السياسية للمشكلة الشيشانية

هذا المبحث يتناول تطورات الأحداث منذ إعلان الاستقلال وحتى نهاية فبراير ١٩٩٥م ولا يمكن فهم ما يحدث الآن فى الشيشان دون فهم شخصية الرئيس جوهر داوداييف ثم يلى ذلك أهم التطورات من خلال رؤية كلية ، لأن الحيز المتاح لا يسمح بالتفصيل يتبعها الآثار السياسية للعمليات العسكرية فى داخل روسيا وخارجها. هذا فضلا عن موقف الإعلام الروسى والغربى من المشكلة الشيشانية ؛ لذا سيقسم هذا المبحث على النحو التالى :

أولا : من هو جوهر داوديف ؟

ثانيا : تطورات الأحداث منذ إعلان الاستقلال وحتى آخر فبراير عام ١٩٩٥م .

ثالثا : لماذا التحرك الروسى بعد مرور ثلاث سنوات على الاستقلال ؟

رابعاً : الآثار السياسية للعمليات العسكرية .

خامساً : المشكلة الشيشانية فى وسائل الإعلام الروسية والغربية .



الرئيس جوهر داوديف



علم جمهورية الشيشان

أولا ـ من هو جوهر داوديف (جوهر بن داود) ؟.

داوديف ولد عام ١٩٤٤ وبعد مولده مباشرة صدرت أوامر ستالين بتهجير شعب الشيشان جميعه من النساء والأطفال والرجال الى كازاخستان ، حيث مات ٢٠٠ ألف منهم فى المنفى وكانت عائلة داوديف من بين المهجرين ، وأمضى الرئيس الـ ١٣ سنة الأولى من حياته فى المنفى فى جنوب كازاخستان .

وفى عام ١٩٥٧ عندما ألغى خروتشوف إجراءات ستالين القاسية الظالمة سمح للشيشانيين ومنهم عائلة داوديف عام ١٩٩٥٧م بالعودة إلى بلادهم ، ودرس داوديف حتى المرحلة الثانوية ، ثم عمل كهربائيا وواصل دراسته ودخل جامعة « فيلاديقفقاس » ثم التحق بالكلية الحربية عام ١٩٦٦م وتخرج فى أكاديمية « تامبوف » كطيار حربى ، وفى عام ١٩٦٨م أصبح عضوا فى الحزب الشيوعى كما كان مطلوبا من جميع الضباط فى ذلك الزمان ، ثم التحق بدورة عسكرية عليا فى أكاديمية يورى جاجارين العسكرية للطيران فى موسكو وترق إلى رتبة لواء ، وأصبح مسؤولا عن قوات سلاح الطيران والدفاع الجوى السوفييتى فى منطقة سيبيريا . وبعد مهمات عسكرية فى أوكرانيا وسيبيريا أصبح قائد القوات الجوية السوفيتية فى استونيا ثم قائد فرقة استراتيجية للطيران الاستراتيجى البعيد المدى ، وبعدها قائدا لأسراب الطيران المسلح بالأسلحة النووية ، ومدير الاستخبارات العسكرية فى استونيا ... وقد رفض الأوامر من الحكومة السوفيتية عام ١٩٩١م بمهاجمة برلمان ومحطة وتليفزيون

استونيا فى أحداث يناير « كانون الثانى » ١٩٩١م وعاد إلى الشيشان وأصبحت له شعبية كبيرة ، وحضر اجتماعات المؤتمر الوطنى للشيشان كمراقب ثم كعضو فى اللجنة التنفيذية للمؤتمر . واستقال من الجيش السوفيتى للتفرغ للعمل السياسى فى بلاده . وقد انتخب رئيسا للشيشان فى أكتوبر عام ١٩٩١ وكان هدفه الحفاظ على الاستقلال وحمايته والحصول على الاعتراف به[٢٩] .

جوهر داوديف مسلم متحمس للإسلام وهو متصوف يتبع الطريقة النقشبندية ومذهبه شافعى وهو من الداعين إلى وحدة شمال القوقاز « داغستان ، الشيشان ، الانجوش ، أوسيتيا ، والكباردين ، البلكار » وهو يبحث عن النموذج الإسلامى المعتدل ، ولا يميل إلى العنف الدينى بأى شكل من الأشكال .

وأمر بإعادة افتتاح ١٥٥٠ مسجدا كان الشيوعيون قد أغلقوها ، واتخذ قرارا بتبنى الدولة النشاط الإسلامى والدراسات الإسلامية ، فأنشأ فى « جروزنى » معهد الدولة للدراسات الإسلامية ، كما دعم إقامة معهد الإمام الشافعى للدراسات الإسلامية وبه معلمون مصريون . وأصدر قرارا بتحريم ممارسة الطب النسائى على الأطباء الرجال[٣٠]

ثانيا : تطورات الأحداث منذ إعلان الاستقلال ، وحتى آخر فبراير عام ١٩٩٥م أعلنت جمهورية الشيشان استقلالها عام

---

(٢٩) مجلة الإصلاح ـ العدد ٣١٩ ـ ١٢/٢٩ ـ ١٩٩٥/١/٤م .

(٣٠) د. محمد حرب ، الشيشان والوجود المصرى فى القوقاز ، الأهرام ١٩٩٥/١/١٩م .

١٩٩٠م إثر عقد المؤتمر القومى الشعبى الأول للشيشان والأنجوش . وقام بمطالبة برلمان الجمهورية الشيشانية بتبنى إعلان السيادة على الأرض الشيشانية للشيشان ، وخلال الأشهر بين عام ١٩٩٠/١٩٩١م تم تحريض الروس لشعب الأنجوش بالانفصال عن الشيشان ووعدوهم باستعادة أراضيهم فى جمهورية « أوسيتيا » وأعلن الأنجوش انفصالهم فى جمهورية ذات حكم ذاتى تابع للفيدرالية الروسية وفى شهر يوليو عام ١٩٩١م عقد المؤتمر الشعبى الثانى للشيشان وكان الجنرال « جوهر داودييف » قد تقاعد من الجيش وأصبح رئيسا للجنة المؤتمر الشعبى الشيشانى وتم فى هذا المؤتمر تبنى توصية باستقلال جمهورية الشيشان التام وسيادتها على أرضها ، وفى شهر أغسطس من نفس العام حدث الانقلاب الفاشل فى موسكو ، وعلى إثر ذلك أعلن المؤتمر الشعبى الشيشانى حل البرلمان وإعلان انتخابات برلمانية جديدة وانتخاب رئيس للجمهورية ، وجرى ذلك بوجود مراقبين من جمهورية لتفيا وروسيا والدانمارك وكان ذلك بتاريخ ٢٩/١٠/١٩٩١م وشارك فى الانتخابات ٧٥٪ من السكان ، وفاز بمنصب رئيس الجمهورية الجنرال جوهر داديف بنسبة ٨٠٪ من بين ثلاثة مرشحين ، وفى ٢/١١/١٩٩١م أقسم الرئيس اليمين القانونية أمام البرلمان ، وتم إصدار قرار استقلال الجمهورية والسيادة على أرضها .

لم يعترف الروس بالاستقلال ولا بالانتخابات ، وبتاريخ ٨/١١/١٩٩١م أعلن الرئيس يلتسين حالة الطوارىء ، وقام بإنزال

ألفين من قوات أمن وزارة الداخلية فى أراضى الشيشان ، مما إدى ألى قيام الشيشان بأسر الجنود ، وطلبوا منهم تسليم أسلحتهم ، وتم ترحيلهم بعد أيام إلى موسكو عائدين من حيث أتوا ، وعلى إثر هذه العملية قام الروس بإلغاء حالة الطوارىء فى جمهورية الشيشان .

وبقيت موسكو تحاول الإساءة لسمعة القيادة والشعب الشيشانى باتهامهم بتزعم عمليات المافيا والتجارة بالمخدرات[٣١]

وتطورت الأحداث فى جمهورية الشيشان عندما أعلنت تشكيلات المعارضة المسلحة يوم السبت ٢٦ من نوفمبر ١٩٩٤م عن عزمها على اقتحام العاصمة « جروزنى » وسط مظاهرة إعلامية روسية عن قرب الخلاص من نظام الرئيس الشيشانى « جوهر داوييف » خلال ساعات .

ثم أعلن بعد ذلك أن الاستيلاء على « جروزنى » فى الساعة التاسعة والنصف ، وأنهم يعدون العدة للاحتفال بانتصارهم . وفى صباح اليوم التالى تبين أن قوات المعارضة المدعومة بالدبابات والطائرات الهليكوبتر قد انسحبت مخلفة وراءها الحرائق والدمار والقتلى والأسرى والجرحى[٣٢]

---

(٣١) وليد شابسوغ ، الشيشان : الحرب الصليبية مستمرة ! ، المسلمون ١٧/٢/١٩٩٥م .

(٣٢) د. نبيل حسين رشوان ، حرب أهلية داخلية يعقبها تدخل روسى سافر ، الأحرار ١/١٢/١٩٩٤م .

وإذا كانت المعارضة قد فقدت الكثير فى عملية اقتحام العاصمة الشيشانية « جروزنى » فقد كسب « دواديف » الكثير وصار على الصعيدين الداخلى والخارجى أفضل وأقوى ، لعدة أسباب :

أولا : أظهرت عمليات الدمار وقصف العاصمة قوى المعارضة بمظهر سيء أمام المواطن الشيشانى العادى ، فانحاز إلى الرئيس « داوديف » واستعدته على المعارضة .

ثانيا : أكد الرئيس « داوديف » للرأى العام التدخل الروسى السافر لإقصائه عن السلطة وذلك من خلال إعتراف الأسرى الروس .

ثالثا : أصبح فرض حالة الطوارىء عملية صعبة وسط جو العداء للروس من جانب المواطنين الشيشان ، والذى خلفه الهجوم الجوى والبرى على العاصمة الشيشانية .

رابعا : اقتحام العاصمة الشيشانية وظهور التورط الروسى خلق حالة من الخوف لدى رؤساء جمهوريات القوقاز الآخرين من تكرار نفس الأمر معهم ، فطالبوا الرئيس الروسى بوقف نزيف الدم[٣٣] بتاريخ ١٩٩٤/١٢/٧م التقى وزير الدفاع الروسى « جراتشوف » مع الجنرال داوديف فى جمهورية انجوشيا واتفقا على أن القضية الشيشانية قضية سياسية وليست قضية عسكرية ويجب حلها بالمفاوضات السياسية وتم تسليم الأسرى الروس إثر ذلك .

وبالرغم من ذلك الاتفاق إلا أنه وبتاريخ ١٩٩٤/١٢/١١م بدأت العمليات العسكرية البرية تساندها الضربات الجوية المتتالية وظن الروس

---

(٣٣) المرجع السابق .

أنهم سيقتحمون الجمهورية خلال يومين وستنتهى القضية بدون أى ردود فعل داخلية أو خارجية ، ويدخل الرئيس يلتسين إلى المستشفى ريثما تنتهى العمليات العسكرية حسب اعتقاده .

وتطورت الأمور حتى أصبحت مواجهات عسكرية شاملة ما بين الجيش الروسى والمقاومة الشعبية الشيشانية ودخلت القوات الروسية التى قدرت بثمانين ألف جندى وألف دبابة منها ٦٠٠ دبابة ثقيلة تقدمت على ثلاثة محاور وتتم المفاجأة من القوات الروسية بمقاومة من شعب الأنجوش والشيشان فى الداغستان .

وفشلت القوات البرية الروسية فى الهجوم؛ مما جعل القيادة الروسية تفقد أعصابها وتبدأ بقصف « جروزنى » قصفاً وحشيا همجيا ، فدمرت المساجد والمبانى والمنشآت الاقتصادية[٣٤]

النتائج السياسية لفشل القوات الروسية فى السيطـــرة على « جروزنى » كثيرة وجعلت الموقف السياسى فى روسيا أكثر تعقيدا لعدة أسباب :

أولا : أصبح الرئيس الشيشانى « داوديف » هو الجهة الوحيدة التى يمكن لروسيا التفاوض معها فلديه الأسرى .

ثانيا : بلغ الموقف من التعقيد مبلغا جعل الرئيس الشيشانى يرفض التفاوض مع « يلتسين » .

ثالثا : أظهرت محاولة اقتحام العاصمة الشيشانية وما قبلها من أحداث عدم سيطرة الرئيس الروسى على مقاليد الأمور فيما يخص عملية

---

(٣٤) انظر وليد شابسوغ ، مرجع سابق .

الشيشان ككل ، ذلك أن الرئيس يتحدث عن شيء ، وما يحدث فى الواقع شيء آخر مثل وقف الغارات على « جروزنى » .

رابعا : ضعف شديد للروح المعنوية للضباط والجنود ، فعلى سبيل المثال : صرح ضابط وقع فى الأسر « بولدريف » بأن قيادته أوهمته بأنه سيذهب إلى « جروزنى » لنزع سلاح بعض المجرمين ، ولكنه على حد تعبيره فوجىء بمقاومة رهيبة تدل على أن الذى يحمل السلاح شعب يدافع عن حقوقه واستقلاله ، وأضاف « شعرت لأول مرة أننى شخص معتدى » .

كما أن الأنباء أفادت باستسلام الجنود الروس بدون الدخول فى معارك .

خامسا : تم خلق رأى عام معاد لهذه الحملة العسكرية داخل روسيا جعل موقف القيادة السياسية والعسكرية غاية فى الحرج ، بل وجعلها تتصرف بتهور مما أوقعها فى أخطاء قاتلة .

سادسا : وهو الأهم فيتمثل فى مؤتمر القوى الديمقراطية الروسية التى دعمت الرئيس الروسى طوال فترة حكمه السابقة والتى أعلنت فيه عن مرشحيها لخوض انتخابات الرئاسة ولأول مرة تخلو القائمة من اسم الرئيس الروسى يلتسين[٣٥]

سابعا : أما من أيد الرئيس الروسى فى هذه الحملة على الشيشان فهم ألد أعدائه من الشيوعيين والقوميين وربما كان التأييد بدافع وطنى ،

---

(٣٥) أنظر : نبيل حسين رشوان (مراسل الأحرار من موسكو) ، فشل اقتحام «جروزنى» أعطى شرعية كاملة لنظام داوديف» ، الأحرار ١٩٩٥/١/٦م .

وربما كان مناورة سياسية لتوريط الرئيس يلتسين فى مأزق يعجل بسقوطه « فجير توفسكى » يسعى للكرملين والشيوعيون على عداوة مع الرئيس الروسى ويسعون للحكم .

ثامنا : على نطاق الاستقرار الدستورى داخل روسيا .

فقد أظهرت هذه الحرب أن الدستور الروسى ضعيف جدا فى صياغته فهو ينص على حق الشعوب الفيدرالية فى تقرير مصيرها وفى نفس الوقت ترفع السلاح لمنع الشعب الشيشانى من تقرير مصيره .

تاسعا : كما أظهرت هذه الحرب أن التوازن بين السلطات فى الدستور منعدم تقريبا ، فلم يستطع لا« الدوما » ولا مجلس الفيدرالية البرلمانى اتخاذ قرار مؤثرو ملزم للسلطة التنفيذية الأمر الذى دفع البرلمان الروسى لبحث تعديل الدستور لاستعادة التوازن المطلوب(٣٦) .

ثالثاً ـ لماذا التحرك الروسى الآن (بعد ثلاث سنوات من إعلان استقلال جمهورية الشيشان)؟ .

يمكن إرجاع التحرك الروسى للعوامل التالية :

ـ أولًا : عوامل خارجية .

ـ عوامل تتعلق بالأهمية الاقتصادية والاستراتيجية لجمهورية الشيشان .

ـ عوامل داخلية خاصة بروسيا الاتحادية .

---

(٣٦) د. نبيل حسين رشوان ، «حملة روسيا على جمهورية الشيشان ... النتائج والآثار المحتملة» الأحرار ٢٣/١٢/١٩٩٤م .

ـ العوامل الخارجية :

روسيا تختلف مع الولايات المتحدة الأمريكية ، وبعض الدول الغربية فيما يتعلق بالقضايا التالية(٣٧) .

١ ـ البوسنة والهرسك .

٢ ـ الملف العراقى .

٣ ـ حدود حلف شمال الأطلسى (الناتو) .

٤ ـ مشاركتها فى عمليات حفظ السلام فيما يسمى الجوار القريب .

٥ ـ استغلال المواد الطبيعية والنفط بشكل خاص فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابقة .

٦ ـ التعريفة الجمركية (طبقا لاتفاقية الجات) .

إن اختلاف وجهات النظر حول هذه المسائل السابق ذكرها ، جعل بعض المحللين يعلقون على الذى يحدث بأنه «رائحة الحرب الباردة» بالرغم من أن الرئيس «بيل كلينتون» صرح يوم ١٢/١٢/١٩٩٤ م بأن مايحدث فى الشيشان هو أمر داخلى يخص روسيا .

ومن الأهمية بمكان إبراز وتفصيل مايلى :

١ ـ التوجهات السياسية الاقتصادية والعسكرية الروسية فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق ، والتى يعارضها الغرب .

---

(٣٧) جمال حسين ، «الحرب الباردة تعود مجددا عبر البوابة الشيشانية» المسلمون ٢٣ ـ ١٢ ـ ١٩٩٤ م

٢ ـ حدود حلف شمال الأطلسى كما يراه كل من الغرب وروسيا .

١ ـ توجهات السياسة الروسية الاقتصادية والعسكرية التى يعارضها الغرب :

تقوم السياسة الروسية الحالية على أساس أن الوحدة الاقتصادية والعسكرية للجمهوريات السوفيتية السابقة ، تحت قيادة موسكو ، يمكن أن تساعد على عودة روسيا إلى الظهور كدولة قوية فوق كل القوميات وقوة عالمية ، ولا تمانع القيادة الروسية الحالية فى احتفاظ هذه الجمهوريات بمظاهر السيادة غير أنها يجب ان تظل تحت رحمة الضغوط الاقتصادية والسياسية والعسكرية الروسية .

فالخلاف بين المصالح الروسية والأمريكية أصبح أكثر وضوحا ، كما قال فيليب زيليكوت استاذ السياسة العامة فى معهد جون كنيدى بجامعة هارفارد وعضو مجلس الأمن القومى الأمريكى (من ١٩٨٩ حتى ١٩٩١) الذى يتحدث عن بدء ظهور مايسمى فى الغرب بسياسة « المغامرة » الروسية فى ضوء استخدام قوات روسية فى جورجيا وآذربيجان اللتين تحولتا إلى محميتين روسيتين .

ويؤكد زبجنيو بريجنسكى فى الدراسة التى نشرها بالمجلد ٧١ رقم ٢ من مجلة «فورين افيرز» أن النبض الامبراطورى مازال يدق فى روسيا بل يزداد قوة . ويشير مستشار الأمن القومى السابق للرئيس الأمريكى إلى الدور المتزايد للعسكرية الروسية فى محاولات الاحتفاظ بالسيطرة على الامبراطورية أو استعادة هذه السيطرة فالعسكريون الروس ثبتوا اقدامهم فى مولدوفا والقرم وأوسيتيا وآبخازيا وجورجيا

وطاجيكستان ، كما عارض هؤلاء العسكريون تقديم أى تنازلات لليابان فى جزر الكوريل ، وعارضوا تخفيض القوات الروسية فى إقليم كالينجراد ولانسحاب الفورى من جمهوريات البلطيق .

ويضاعف من خطورة التيار القومى الروسى أن استطلاعات الرأى فى روسيا توضح أن ثلثى الروس يعتبرون أن حل وتفكيك الاتحاد السوفيتى كان خطأ مأساويا يجب التخلص من آثاره أو السير فى خط معاكس له .

وفى أواخر عام ١٩٩٣ م ، أكدت القيادة العسكرية الروسية حقها الواقعى فى التدخل فى الجمهوريات السوفيتية السابقة إذا أسفرت التطورات هناك عن انتهاك المصالح الروسية أو تهديد الاستقرار الاقليمى .(٣٨) .

ويرى بريجنسكى (الذى يعمل الآن مستشاراً لمركز الدراسات الاستراتيجية والدولية وأستاذا للسياسة الخارجية الأمريكية فى معهد الدراسات المتقدمة بجامعة جون هوبكنز) أن خطة موسكو تجاه جيرانها من الدول المستقلة (الكومنولث) اعتمدت على محورين : تجريد هذه الدول تدريجيا من استقلالها الاقتصادى ومنعها من تكوين قواتها المسلحة المستقلة . وهذا يفسر سلسلة الاتفاقيات الجديدة التى أبرمتها روسيا مع هذه الدول : ميثاق الدول المستقلة الجديدة ـ معاهدة الأمن الجماعى (التى تمنح روسيا ، فى حالات عديدة ، حق السيطرة على الحدود الخارجية للاتحاد السوفياتى السابق) ـ الاتفاقية الجماعية لحفظ

---

(٣٨) نبيل زكى ، مرجع سابق .

السلام (استخدمت لتبرير التدخل فى طاجيكستان) ـ منطقة الروبل الجديدة (تستهدف اعطاء البنك المركزى الروسى الكلمة النهائية فى الأمور النقدية) ـ الاتحاد الاقتصادى (ينقل عملية صنع القرار الاقتصادى إلى موسكو) ـ المؤسسة البرلمانية المشتركة .

وقد نشر بريجنسكى دراسته فى عدد مارس ـ إبريل عام ١٩٩٤ م من مجلة «فورين افيرز» أى قبل انعقاد قمة دول الكومنولث فى ١٠ إبريل ١٩٩٤م (التى ضمت ١٢ من هذه الدول) والتى كسبت خلالها روسيا تأييدا لدورها «كقوة الحفاظ على السلام» داخل الاتحاد السوفيتى السابق ، كما وقع الزعماء خلالها مذكرة بشأن المشاركة فى حماية «الحدود الخارجية لدول الكومنولث فى آسيا الوسطى» وساندوا عملية حفظ السلام» فى طاجيكستان(٣٩) .

٢ ـ حدود حلف شمال الأطلسى كما يراه كل من الغرب وروسيا :

يرى «سيرجى شاكراى» عضو مجلس «الدوما» ووزير القوميات والسياسة الاقليمية فى الحكومة الروسية ضرورة أن تضع روسيا برنامجها الجديد للأمن القومى ، وهو الأمر الذى كان يجب ان يتم بعد حل حلف وراسو مباشرة فى رأية خاصة أنه يخشى ان تفقد روسيا سوق مبيعاتها للاسلحة .

وفى نفس الوقت ، فإنه ليس مسموحا لاوروبا الوسطى بأن تصبح جزءا عضويا من أوروبا الموحدة وتحالف أوروبى ـ أطلنطى ـ وقد أشار

---

(٣٩) نبيل زكى ، مرجع سابق .

المارشال بافيل جراتشيف وزير الدفاع الروسى ، بصراحة إلى أن روسيا «لا تستطيع السماح لبولندا بالانتماء إلى حلف الأطلنطى» .

ويفضل الروس تقديم ضمان روسى ـ اطلنطى بشأن أمن المنطقة ، ذلك أن روسيا تريد نظاما أوسع للأمن يمتد من فانكوفر إلى فلاديفوستوك ، ويذوب فى داخله ، تدريجيا ، التحالف الأوروبى ـ الأطلنطى ، مما يتيح لروسيا (المهيمنة إقليميا والتى ستستعيد نشاطها تحت مظلة الشراكة الأمريكية ـ الروسية) أن تصبح مرة أخرى القوة الأكبر فى أوراسيا .

وتريد موسكو اتفاقية خاصة مع حلف الأطلنطى تضع فى اعتبارها دور ومكانة روسيا فى العالم وفى الشؤون الأوروبية وقوتها العسكرية وأسلحتها النووية . فروسيا ، بحجمها وعمقها ، يجب أن تكون لها شخصية مختلفة عن الدول الأخرى إذا كانت ستنضم إلى برنامج «الشراكة من أجل السلام» الذى وضعه حلف الاطلنطى ، على حد تعبير بوريس يلتسين نفسه . وردد المارشال جراتشيف نفس المعنى بقوله ان عضوية روسيا فى برنامج الشراكة من أجل السلام يجب أن تكون متميزة عن الأعضاء الآخرين .

وما لم يقله يلتسين وجراتشيف هو أن العديد من أعضاء «دوما الدولة» من اتجاهات مختلفة ، يرون أن الاستراتيجية الأمريكية تستهدف تعجيز روسيا سياسيا وعسكريا عن بلوغ القدرة على الهيمنة وتستهدف تحويل روسيا إلى دولة «عادية» .. بل مازالوا ينظرون إلى

حلف الأطلنطى كعدو محتمل ، وهذا هو نفس منطلق التفكير القومى الروسى السائد[٤٠].

ثانيا : العوامل التى تتعلق بالأهمية الاقتصادية والاستراتيجية لجمهورية الشيشان [٤١] ١ ـ إن موافقة روسيا على استقلال الشيشان هو بداية انهيار روسيا الاتحادية على طريقة انهيار الاتحاد السوفيتى ، وهذا سيمهد لكل جمهوريات روسيا ذات الحكم الذاتى والمتعددة القوميات والأديان أن تحذو حذو الشيشان خصوصا جمهوريات القوقاز .

٢ ـ الشيشان غنية بالنفط ، هذا فضلا عن أن الأنابيب التى تحمل النفط الروسى تمر عبر أراضيها فكيف تسمح روسيا لهذه الجمهورية الصغيرة أن تسيطر على المنبع والمصب فى آن واحد .

٣ ـ خطوط المواصلات «خطوط السكك الحديد» التى تربط روسيا بآذربيجان وجمهوريات القوقاز بجمهورية الشيشان ، وسيطرة الأخيرة على خطوط المواصلات هذه سيخنق روسيا .

٤ ـ تقع فى جمهورية الشيشان أكبر المحطات الكهروذرية التى تمد روسيا والقوقاز بالطاقة الكهربائية .

٥ ـ استولت جمهورية الشيشان بعد فشل انقلاب أغسطس الشيوعى ١٩٩١ م على مخلفات الجيش الأحمر الذى كان يرابط على

---

(٤٠) نبيل زكى ، مرجع سابق .

(٤١) جمال حسين ، مرجع سابق .

أراضيها ، ومن ضمن ماسيطرت عليه الشيشان عدد من الصواريخ الاستراتيجية .

ثالثا : عوامل داخلية خاصة بروسيا الاتحادية .

هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى تتعلق بروسيا الاتحادية بصفة خاصة واهمها(٤٢) :

١ ـ الصدمة النفسية للروس السلاف الذين كانوا بالأمس القريب النخبة الحاكمة ، والمسيطرة على كل مجالات الحياة فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى وفجأة فقدوا هذه المكانة ، ويتطلعون مرة أخرى لبسط نفوذهم .

٢ ـ الانهيار الاقتصادى وفشل برامج الإصلاح الاقتصادى ، وتعطل ألوف المعامل والورش والمؤسسات ، والمصانع العاملة تعمل بطاقة إنتاجية تتراوح بين ٢٠٪ ـ ٥٠٪ . وأصبح المواطن الروسى لا يستطيع توفير احتياجاته من الموارد الغذائية التى كان يحصل عليها بسهولة ويسر فى العهد الشيوعى ، بسبب انخفاض قيمة الروبل وارتفاع الأسعار ، وظهور طبقة تتحكم فى أسواق السلع ، ومحاكاة النمط الاستهلاكى الغربى غير المنتج .

---

(٤٢) مصطفى دسوقى كسبه ، المشكلة الشيشانية ، دراسة جغرافية ، وتاريخية ، وسياسية ، ندوة : المشكلة الشيشانية ـ مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى ـ جامعة الأزهر . ١٨ ـ ٢ ـ ١٩٩٥ م ، ص ٢٨ ، وانظر أيضاً : عبدالملك خليل ـ الأهرام ٢٩ ـ ١١ ـ ١٩٩٤ م ، وأنظر أيضا : نيفين عبدالخالق ، الغزو الروسى لجمهورية الشيشان ، ندوة : أحرار الشيشان والدب الروسى ، ص ٦٦ ، وأنظر أيضا : د .عبدالله سعد ، ندوة أحرار الشيشان ، ص ١٨٥ ، ١٨٧ .

٣ ـ الانهيار الأمنى وعدم الإحساس بالأمن ، وأن روسيا تعيش حاليا حربا أهلية خفية تطحن الكثير بلا رحمة ممثلة فى عشرات بل مئات الاغتيالات وتطالعنا الصحف ووسائل الإعلام عن مافيا بيع السلاح حتى السلاح النووى . وهناك أتهامات موجهة إلى قادة الجيش بشأن بيع السلاح .

٤ ـ سيطرة البيروقراطية الإدارية على دفة الأمور ، وتجاهل الأوامر والقرارات السياسية ، وبالتالى فوضى فى تسيير شئون الدولة .

٥ ـ النزعة الانفصالية هى السائدة ، وأن السلطة المركزية تكاد تكون مقصورة على موسكو .

للعوامل السابقة الخارجية ، وكذلك الداخلية الخاصة بالأهمية الاستراتيجية لجمهورية الشيشان ، هذا بالإضافة إلى العوامل الداخلية والخاصة بروسيا الاتحادية رأت القيادة السياسية الروسية اختيار نهاية عام ١٩٩٤ م للهجوم العسكرى على جمهورية الشيشان ، وسبقة تمهيد إعلامي بأن الشيشان ، والقوقازيين مسئولون عن أزمة المواد الغذائية والسلع ، وأنهم مافيا وتجار مخدرات وخارجون على القانون ويجب تجريدهم من السلاح . وفى نفس الوقت حملة أمنية مكثفة للقبض على القوقازيين ومنهم الشيشانيون لتحقيق مايلى :

١ ـ توجيه رسالة قوية إلى الولايات المتحدة والغرب بأن روسيا مازالت قوة عظمى .

٢ ـ إرهاب دول أوروبا الشرقية والوسطى ولمنعها من الانضمام لحلف الأطنلطى .

٣ ـ إخضاع الجمهوريات المستقلة فى الاتحاد السوفيتى سابقا «عسكريا واقتصاديا لسيطرة موسكو[٤٣] .

٤ ـ توجيه ضربة وقائية ضد القومية الروسية المتطرفة التى يتزعمها «جيرينوفسكى» والتى استفادت من عدم حسم يلتسين موضوع الشيشان .

٥ ـ ضربة قاضية ضد القومية الشيشانية التى هددت بتعطيل المصالح الوطنية للفيدرالية الروسية لو نجح الانفصال .

٦ ـ ضربة وقائية ضد بروز القوميات الأخرى ، وضد فكرة الانفصال[٤٤]

رابعاً : الآثار السياسية للعمليات العسكرية ضد الشيشان

١ ـ داخل روسيا :

يمكن رصد الاتجاه غير المؤيد لاستخدام القوة ضد الشيشان من خلال مايلى :

ـ انتقد «سيرجى كوفاليف» مستشار الرئيس بوريس يلتسين لحقوق الإنسان سياسة الحرب والدمار التى شاهدها بنفسه فى جروزنى ، ووصف قادة «الكرملين» على أنهم «كذابون» و«خنازير» . وقال إنه لايفخر أن يعيش فى بلد يقتل أبناءه .

---

(٤٣) مصطفى دسوق كسبة ، محاضرة عن المشكلة الشيشانية بمسجد دعوة الحق ـ القاهرة ١٨ ـ ١ ـ ١٩٩٥ م .

(٤٤) انظر : راغدة درغام ، يلتسين فى الفخ الشيشانى» الحياة ٦ ـ ١ ـ ١٩٩٥ م .

ـ انتقد الرئيس ميخائيل جورباتشوف الرئيس السابق للاتحاد السوفيتى سياسة التدخل العسكرى رافضاً كل التبريرات لهذه الحرب التدميرية ، كما طالب يلتسين بالاستقالة من منصبه(٤٥) .

ـ جيدار رئيس الوزراء السابق علق على الأحداث قائلاً : «هل انجلترا على وشك التفكك بسبب محادثاتها مع الجيش الجمهورى الأيرلندى ، وهل الصين على وشك التفكك بسبب عدم سيطرتها على تايوان ؟» . ويرى أن الأساليب القديمة لايمكن تطبيقها على العالم الجديد ، وأن مستقبل روسيا لايمكن ضمانه بالعودة إلى عادات الماضى . ويقترح على يلتسين التخلص من مستشاريه فى وزارة الدفاع ومجلس الأمن القومى الذين دفعوه لتلك المأساة(٤٦) .

ـ أصدرت الإدارة الدينية لمسلمى موسكو والاقليم الأوربى بموسكو بياناً وقعه المفتى «راوى عين الدين» رئيس الإدارة الدينية جاء فيه : «أن التاريخ الروسى عرف فى نهاية القرن الثامن عشر محاولة لحل العقدة الشيشانية بزحف قوات الفرسان» ، ونحن نعرف جيداً ماآلت إليه هذه المغامرة . فلم يتسن إخماد نيران حرب القوقاز إلا بدفع ثمن باهظ من الضحايا البشرية والخسائر المادية وظل ذلك الأمرحتى أواخر السبعينيات فى القرن التاسع عشر» ، وناشد البيان الرئيس «يلتسين» لحل الأزمة سلمياً .

---

(٤٥) أنظر : محمود الليدى مرجع سابق ، والشرق الأوسط ، ١٩٩٥/٢/٢٣م

(٤٦) أنظر : ايجور جيدار ، «كارثة يلتسين المتوقعة فى الشيشان» ، الشرق الأوسط ، ١٩٩٥/١/١٠م

ـ أعلن عبدالرشيد الحاجى داودييف رئيس رابطة العلاقات الخارجية للهيئات الإسلامية الروسية أن الإسلام جزء لايتجزأ من طراز حياة الشيشان وثقافتهم ، وقد ساعدهم الدين الإسلامى الحنيف على الصمود خلال فترات الغزو المختلفة لبلاد الشيشان وفى فترة الاضطهاد الاستالينى عام ١٩٤٤م ، وطالب بوقف الحرب فوراً[٤٧] .

٢ ـ الجيش :

يصف الجنرال «الكسندر ليبيد» قائد الجيش الروسى الرابع عشر أن مايجرى فى الشيشان هو «جريمة السلطات الحاكمة ضد الشعب» .

كما تزايد الانقسام فى صفوف المؤسسة العسكرية الروسية حيث أعلن ثلاثة فرقاء من أبرز النواب الأول لوزير الدفاع عن رفضهم الحرب فى الشيشان وأنه لا يجب تجريب التدمير الشامل لأنه قد يفضى إلى أفغانستان جديدة ، وأن المسألة ليست فى الحرب مع الجنرال داودييف بقدر ما ستفضى ـ لحرب شاملة ضد الشعب الشيشانى[٤٨] .

---

(٤٧) أنظر : عبدالله حسن ، «الهيئات الإسلامية فى روسيا تستنكر الحملة العسكرية الظالمة» المسلمون ٦/١/١٩٩٥م .

(٤٨) عبدالملك خليل : «فى مواجهة حزب الحرب» الأهرام ١٧/١/١٩٩٥م ، وأنظر أيضا فى هذا الفصل «الحرب الشيشانية فى وسائل الإعلام الغربية» .

٣ ـ جمهوريات حوض نهر الفولجا ذات الأغلبية الإسلامية :

ـ اجتمع رؤساء سبع جمهوريات من الجمهوريات المكونة للاتحاد الروسى فى مدينة «شيبوكسارى» عاصمة الجوفاش (الشوفاش) . وكان الاجتماع يضم رؤساء جمهوريات «مارى» ، و«الجوفاش» و«باشكيريا» ، و«تتارستان» ، و«كادليا» ، و«موردفا» و«أودموريتا» . وتضم هذه الجمهوريات أكثر من ١٦ مليون نسمة ، وبعد الاجتماع عبر الرؤساء عن قلقهم البالغ من تطور الأحداث فى الشيشان خاصة وأن شعوبهم تضم عدداً كبيراً من المسلمين وتشعر بالتعاطف الأليم مع شعب الشيشان .

وطالب الدكتور «فيدوروف وزير العدل الروسى السابق ، ورئيس جمهورية «الجوفاش» حالياً بأنه لابد من إعادة تصحيح الأوضاع ليس فى الشيشان ، وإنما فى روسيا كلها كما أعرب الرؤساء عن خيبة أملهم فى سياسة الرئيس يلتسين لأنها سياسة طائشة ؛ مما يستلزم تشكيل وعقد مؤتمر عام لكل الجمهوريات فى روسيا لتخليصها من القرارات العشوائية ورسم سياسة قومية واضحة تحترم المشاعر القومية والدينية والإقليمية للشعوب الداخلة فى روسيا .

وأصدر الدكتور «نيقولاى فيدوروف» رئيس جمهورية «الجوفاش» مرسوماً بعدم مشاركة سكان جمهوريته فى حرب الشيشان حتى لو أمرت القيادة الروسية بذلك ، واستند إلى قانون

روسيا السوفيتية الصادر فى عام ١٩٩٠ حول مشاركة سكان روسيا فى النزاعات القومية الذى أقره برلمان روسيا عام ١٩٩٠م[٤٩] .

ـ وعلقت صحيفة روسيا الأسبوعية على بيان «تشيبوكسارى» : «... إن اجتماع رؤساء الجمهوريات السبع هو محاولة للحد من السلطة الفردية وإحياء القيادة الجماعية والاحتكام إلى الشورى ، إنه بيان جرىء جدير بالانتشار» وعلى أثر ذلك الاجتماع طالب القوميون والوطنيون فى جمهورية تتارستان بإطلاق اسم «جوهر داوديف» على أهم ميادين «قازان» عاصمة تتارستان ــ كما أن التتار يعتبرون الحرب ضد الشيشان حربا ظالمة وغير إنسانية واستعمارية . وطالبت لجنة الاستقلال التتارية بتقديم العون بكل أشكاله إلى قوات داوديف فى الحرب التحريرية الشيشانية المقدسة وفتح باب التطوع حيث أبدى العشرات من الشباب المبادرة فى تسجيل أسمائهم للانضمام إلى جيش المقاومة الشيشانية[٥٠] .

٤ ـ جمهوريات شمال القوقاز

(أ) جمهورية أوسيتيا الشمالية :

أوسيتيا الشمالية ، حليف حقيقى لروسيا تاريخياً فخلال حرب «الإمام شامل» ضد روسيا فى القرن التاسع عشر لم تقف أوسيتيا إلى جانبه ، كما لم ينف الأوسيتيون إلى سيبيريا خلال الحرب العالمية الثانية مثلما كان مصير الشيشان والأنجوش .

(٤٩) ،(٥٠) أنظر : عبدالملك خليل : المرجع السابق .

وعندما غُزت القوات الروسية الشيشان عبر أوسيتيا الشمالية فى ديسمبر ١٩٩٤م لم تلق معارضة أو مقاومة من جانب الأوسيتيين فلقد أدركوا أن من مصلحتهم إضعاف جمهورية الشيشان (شقيقة جمهورية الأنجوش) . ومن الجدير بالذكر أنه فى خريف ١٩٩٢م وقعت أول مواجهات كبيرة بين الأنجوش والأوسيتيين فى منطقة «بريجورودنى» فى أوسيتيا الشمالية . وخلال ستة أيام من الصدامات قتل ٧٥٠ شخصاً من الطرفين ونتيجة لهذه المواجهات غادر ٧٠ ألف من الأنجوش ديارهم من المنطقة ولجأوا إلى جمهورية الأنجوش . ويراودهم الأمل فى أن يعودوا إلى أوسيتيا الشمالية لأنهم يعيشون فى وضع مأسوى كلاجئين . والمنطقة محل النزاع طرد استالين عام ١٩٤٤ الأنجوش منها وخلال غيابهم عنها استولى عليها الاوسيتيين وغيرهم[٥١] .

(ب) جمهورية الأنجوش :

أوقف الأنجوش القوافل العسكرية الروسية المتجه لغزو الشيشان وطالب الرئيس «روسلان عائشوف» رئيس جمهورية الأنجوش بعقد اجتماع طارىء لقادة كل جمهوريات وأقاليم ومحافظات شمال القوقاز ، (أقاليم ستافروبول وكراستودار لمعالجة أوضاع الحرب ووقفها وقال : «لا يجب السكوت بعد الآن على المذابح الفظيعة الجارية فى الشيشان» .

(٥١) أنظر : قسطنطين ما تقييف «جمهوريات شمال القوقاز : حلفاء روسيا أم الشيشان ؟» الحياة ٢٢/١٢/٩٤م

كما أعلن الرئيس عاتشوف تضامنه تماماً مع اجتماع رؤساء الجمهوريات السبع الداخلة فى الاتحاد الروسى والذى عقد فى مدينة «تشيبوكسارى» عاصمة جمهورية الجوفاش[٥٢] .

(جـ) جمهورية داغستان :

كان رد الفعل الأول لداغستان حيال الغزو معدوما . ولم تكن هناك احتجاجات أو تظاهرات أو مقاومة . وخلال حرب الإمام شامل ضد الحكم القيصرى لزم بعض الداغستانيين الحياد ، وانتقلت بعد ذلك بفترة قصيرة إلى مواقع روسيا . وفى الحرب العالمية الثانية حافظوا على حيادهم ، ولم يتعرضوا إلى القمع على أيدى ستالين . وفى عام ١٩٩١م فى أعقاب تفكك الاتحاد السوفيتى فضل الداغستانيون أن يبقوا فى إطار الفيدرالية الروسية[٥٣] .

٥ ـ جمهوريات استقلت عن الاتحاد السوفيتى :

(أ) جورجيا :

جورجيا هى أول الأطراف المستفيدة من هذه الحرب ، فمن المعلوم أنها منيت بهزيمة على أيدى إحدى مقاطعاتها (أبخازيا) وذلك بمساعدة روسية ، وشيشانية .

---

(٥٢) عبدالله حسن ، مرجع سابق .

(٥٣) المرجع السابق

وبدأت جورجيا فى مجاملة روسيا بإغلاق حدودها فى وجه من أسمتهم بالعصابات الأبخازية التى هبت لنجدة الشيشان فى حربها ضد روسيا .

وتوجد الآن قوات روسية لحفظ السلام بين جورجيا وأبخازيا ، وتخشى روسيا فى حالة سحب القوات (فترة بقاء القوات انتهت) أن تسعى جورجيا لاستعادة أبخازيا بالقوة فيشتعل القوقاز بأكمله فى حرب تؤدى إلى تدويل الأزمة ، وهو مالاتريده روسيا وهى المعجبة بعبارة أن «الحرب فى الشيشان أمر داخلى» خاصة أنها قيلت على لسان الرئيس الأمريكى «بيل كلينتون» .

ومن ناحية أخرى لو أبقت روسيا قوات حفظ السلام فى أبخازيا ونعمت أبخازيا بالهدوء والاستقلال عن جورجيا فإنها ستحاول بكل السبل مساعدة الأصدقاء الذين جاملوها فى حربها مع جورجيا .

ويعتبر الأبخاز من المقاتلين الشرسين ، بالإضافة إلى أن أكثر من نصف سكان أبخازيا من المسلمين وهو عامل حاسم لاستقطاب أبخازيا لهذه الحرب فى كل الأحوال(٥٤) .

(ب) آذربيجان

و اعتبر الرئيس الآذربيجانى حيدرعلييف الغزو الروسى للشيشان مسألة داخلية وذلك فى تصريح له فى اسطنبول يوم ١٢/١٢/١٩٩٤م .

(٥٤) انظر : نبيل رشوان ، «تقاطع المصالح فى حرب القوقاز» ، الأحرار ـ ٢٧/١٢/١٩٩٤م .

ويمكن تبرير موقفه بأن لديه جرح «قره باغ» الذى قد يدعمه الروس لإعلان استقلاله والاعتراف به(٥٥) .

ومن المعلوم أن الشيشان ، والآذربيجان مسلمون ، والقوات الروسية اقتحمت «باكو» عام ١٩٩٠م ، وقتل ١٠ آلاف شخص فى ثلاثة أيام .

وآذربيجان وقعت اتفاقية القرن مع عدد من شركات البترول العالمية لاستغلال بترول بحر قزوين وهو الأمر الذى أثار حفيظة روسيا ، وبالتالى تريد آذربيجان قطع خط نقل البترول عن طريق الشيشان لخلق صعوبات لروسيا التى تعترض الاتفاقيات البترولية الآذربيجانية . لتؤكد لروسيا عدم اقتصادية استغلال بترول بحر قزوين بالنسبة لروسيا .

وروسيا إلى جانب الحفاظ على الفيدرالية من الانهيار تريد بحربها هذه الحفاظ على البترول والغاز الشيشانى ، الذى لو تمت السيطرة عليه تفقد روسيا ورقة هامة من أوراق الضغط على الدول المجاورة التى تحتاج إلى النفط والغاز الروسى(٥٦) .

(جـ) أوكرانيا :

أوكرانيا تحاول استثمار الحرب الشيشانية الروسية لعدة اعتبارات أهمها :

الاقتصادى : أوكرانيا مدينة لروسيا بأثمان البترول والغاز

(٥٥) محمد العباسى : حرب القوقاز الجديد ـ الحياة ١٩٩٥/١/٢٦م .

(٥٦) ، (٥٧) د. نبيل رشوان مرجع سابق فى ١٩٩٤/١٢/٢٧م

الطبيعي ، ويمكنها أن تحصل على بترول وغاز جمهورية الشيشان مقابل السلاح الذى تقدمه للشيشان ، أو تحصل نقداً على ثمنه لتسديد الديون المستحقة لروسيا .

التاريخية : فإن عدداً كبيراً من الشعب الأوكرانى يعتقد أن روسيا محت هويته الثقافية واستولت على الكثير من آثار أوكرانيا وعلى ذهب أوكرانيا ..

كما أن أوكرانيا تعلق أملاً كبيراً على إطالة أمد الحرب وهذا سيشغل روسيا عن العبث فى شئون أوكرانيا الداخلية عن طريق تغذية النزعة الاستقلالية للقرم فى أوكرانيا[٥٧] .

٦ ـ جمهورية تركيا :

الموقف التركى كان الأكثر إثارة ، لأن استقلال الشيشان سيعود بمكاسب استراتيجية على تركيا ، فهو سيمنع مرور خط البترول الآذربيجانى ، والبترول القادم من آسيا الوسطى عبر الأراضى الروسية إذ تخطط موسكو أن يصل إلى ميناء نوفوروسيسك الواقع على البحر الأسود ثم تنقله عبر المضايق التركية وترفض أنقره وفق القواعد الجديدة التى وضعتها لتنظيم المرور اعتباراً من يوليو ١٩٩٤م مرور الناقلات ، بينما ترى موسكو أن القوانين تخرق معاهدة « مونتير » ١٩٣٦م . وتخطط موسكو لنقل النفط عبر البحر الأسود إلى بلغاريا ثم تسييله عبر أنبوب إلى ميناء « داده اغاج » اليونانى ، لتفويت الفرصة على تركيا

للتحكم فى بترول آسيا الوسطى ، والحصول على مكاسب اقتصادية واستراتيجية من خلال مرور أنبوب نقله فى الأراضى التركية .

إلا أن تركيا تعى جيداً أن دعمها للشيشان فى مواجهة روسيا يعنى دعم موسكو بشكل علنى لحزب العمال الكردى الذى يشن حرباً انفصالية ضد تركيا منذ ١٠ سنوات ، وتنفق أنقره ٢٠ فى المائة من موازنتها العامة لمواجهته . لذلك حددت تركيا موقفها بضرورة إيجاد حل سلمى للمشكلة فى إطار حقوق الإنسان وضمان وحدة الأراضى الروسية لعدم إعطاء مبررات للاخرين لتقسيم تركيا(٥٨) .

خامساً :المشكلة الشيشانية فى وسائل الإعلام الروسية والغربية

(أ) المشكلة الشيشانية فى وسائل الإعلام الروسية :

الإعلام الروسى ساهم فى تكوين رأى عام يصور الشيشانى مجرماً ونصاباً ـ وأمر محافظ موسكو «يورى لوجكوف» فى صيف عام ١٩٩٤م بترحيل جميع القوقازيين الذين ليست لديهم أذونات رسمية للإقامة فى العاصمة وأيده حينذاك كثيرون .

وبدأت دوريات مسلحة شاركت فيها عناصر الجيش إلى جانب الشرطة تجوب شوارع موسكو وتركز فى صورة خاصة على من

---

(٥٨) محمد العباسى مرجع سابق ، الحياة ١٩٩٥/١/٢٦م .

توحى ملامحه بأنه قوقازى الأصل ـ وتقبض عليه ، وفرضت حراسات شديدة على محطات البنزين والمنشآت الحيوية(٥٩) .

كذلك اتهم الإعلام الروسى الجنرال جوهر داوديف على أنه زعيم عصابة ودكتاتور صغير متمرد على السلطة المركزية ، ويجب إعادته إلى رشده أو إطاحته ، وقال إنه لايمثل الإجماع الشيشانى نظراً لوجود معارضة شيشانية لديه ، وأن هدف هذه الحملة العسكرية هو إعادة سلطة القانون وفرض النظام وتثبيت الديمقراطية .

إلا أن « ايجور حيدار » رئيس الحكومة الروسية السابق رد على الموقف الرسمى بمقال نشر فى صحيفة «لوموند» الفرنسية بتاريخ ١٨/١/١٩٩٥م تحت عنوان « يجب التفاوض مع الشيشان » قال فيه : «إذا كانت موسكو تسعى لاستئصال التهريب والمافيا الشيشانية فإن عليها البدء بقصف ضواحى موسكو قبل البدء بقصف العاصمة « جروزنى »(٦٠) .

وفى محاولة لتعبئة الرأى العام الروسى المتردد والمعارض ، ومن أجل تعبئة الجنود ورفع معنوياتهم وحثهم على القتال قال الإعلام الروسى إن المقاتلين الشيشان يعملون على قتل المواطنين الروس المقيمين فى « جروزنى » . كما ادعى الإعلام الروسى أنهم يعملون على تعذيب الاسرى وقطع أعضائهم التناسلية ، وأن روسيا بحربها هذه

---

(٥٩) انظر : نيكولاى اندريف ، «الإعلام الروسى يصور الشيشانيين مجرمين ونصابين» ، الحياة ٢٤/١٢/١٩٩٤م .

(٦٠) أنظر : محمود الليدى ، «حرب الشيشان ، والشرعية الإعلامية» الشرق الأوسط ٢٣/٢/١٩٩٥م .

تدافع عن المواطنين الروس إلا أن مراسلى الاعلام الغربى الموحودين فى جروزنى أكدوا أن الأسرى الروس يلقون معاملة حسنة ، وأنه يطلق سراح بعضهم ، ويعالج الجرحى الروس كما يعالج الجرحى الشيشان[٦١] .

وما أشبه الليلة بالبارحة فى صناعة صورة الشيشان ووصفهم « بالمافيا » وبالمتمردين والهمجيين والمجرمين » ، وطبعا حسب منظور المستعمرين الروس كان احتلالهم للقوقاز أمراً مشروعاً لاغبار عليه ، بل كان واجباً لنشر المدنية والحضارة على حد زعمهم . أما المقاومة المشروعة ضد قوات الاحتلال فذلك أمر لايطاق ويستحق كل الصفات السيئة الموجودة فى القواميس ، فالثوار الذين قاوموا الاحتلال بحرب العصابات ؛ إنما هم فى نظرهم « روسيا القيصرية » قطاع طرق ومجرمون وخارجون على القانون ، والانتفاضات الشعبية ضد الظلم والعدوان وضد الاعتداء على الأعراض وقتل الأطفال والنساء والشيوخ إنما هى فى منطقهم غدر وخيانة يستحقون عليه كل أنواع العذاب والبطش متناسين كما يقول جون بادلى فى كتابه « احتلال الروس للقفقاس » : أنهم كانوا هم المعتدين[٦٢] .

ووصف « سيرجى كوفاليف »[٦٣] الإعلام الروسى بالدعاية النازية

---

(٦١) أنظر : المرجع السابق .

(٦٢) د. سيف عبدالفتاح ، « الشيشان : رؤية حضارية فى ظل النظام العالمى الجديد » ندوة : أحرار الشيشان والدب الروسى ، المركز العربى الدولى ١٩٩٥/١/٦م ، ص١٣١ .

(٦٣) مستشار الرئيس بوريس يلتسين لحقوق الإنسان ، ومن المعروف أن لـ « كوفاليف » مصداقية عالية جدا . ولاغبار عليها ، إذ شهد بذلك « أندريه ازا خاروف » ، والكاتب الروسى الشهير « الكسندر سولجنتسين » .

وقال : لاتوجد كلمة واحدة صحيحة فى البيانات الحكومية واتهم السلطة بنشر الأكاذيب التى تفوق أكاذيب الشيوعيين ، وأكاذيب «جوبلز» (وزير إعلام هتلر)(٦٤) .

(ب) الحرب الشيشانية فى وسائل الإعلام الغربية :

لم يتبن الاعلام الغربى فى مواقفه من الحرب الشيشانية الموقف السياسى للحكومات الغربية الذى اعتبرها مسألة روسية داخلية ، بل تبنى بشكل واضح موقف القوى الديمقراطية الروسية المناهضة لسياسة التدخل العسكرى والمعارضة لموقف «الكرملين» المسير من قبل بعض الجنرالات المتعطشين للحرب بهدف تغطية الإخفاقات الداخلية بالبحث عن نجاح عسكرى خارج الحدود ، حسبما قالت بعض الصحف الغربية .

ـ ألقت كافة التعليقات باللوم على يلتسين وجنرالاته وتحدثت عن عجزهم عن إيجاد حل سياسى لهذا الصراع . كما وجهت اللوم إلى الموقف الغربى الرسمي الذى تعامى عن رؤية الحقائق . وذهب بعض المعلقين إلى توجيه اللوم والنقد إلى الموقف الأمريكى الذى اتهمه بالتواطؤ مع الموقف الروسى ، وقال بعضهم : إنه تواطؤ بين الدول الكبرى «نترك لكم المجال للتدخل فى بنما وهايتى وتتركون لنا المجال للتدخل فى الشيشان» (لوموند ١٩٩٥/١/٢١م)(٦٥) .

---

(٦٤) انظر : محمود الليدى ، مرجع سابق ، الشرق الأوسط ١٩٩٥/٢/٢٣م .
(٦٥) محمود الليدى ، مرجع سابق ، الشرق الأوسط ١٩٩٥/٢/٢٣م .

ـ أما نشرات الأخبار المرئية (التليفزيون) فلم تتردد عن الوقوف مع الطرف الضعيف ، والمعتدى عليه ، وأظهرت تعاطفها من خلال عرض صور الدمار للعاصمة الشيشانية ، وصور الجرحى من النساء والأطفال ضحايا القصف العشوائى على الأحياء السكنية فى العاصمة المدمرة .

كما عرضت المقاومة الشيشانية الصامدة فى وجه الآلة العسكرية الروسية وركزت الصورة على بعض المقاتلين الشيشان وهم يهتفون « الله أكبر » مبرزة شجاعتهم وتصميمهم على المقاومة . كما عرضت مشاهد لأمهات الجنود الروس اللواتى جئن إلى « جروزنى » للبحث عن أولادهن فى الشيشان وهن ينتقدن سياسة الحرب ـ كما أوردت أجهزة الإعلام الغربية أخباراً عن رفض كبار الضباط والجنود للأوامر الصادرة لهم ، وعن بعض الاستقالات فى صفوف الجيش ، وعن الهروب من الخدمة العسكرية أو عن تسليم الجنود لأسلحتهم ، واستسلامهم للمقاتلين الشيشان الذين أحسنوا معاملتهم[٦٦] .

كما تحدث الإعلام الغربى عن عزلة يلتسين ، وعن فقدانه لتعاطف القوى الديمقراطية وأن الحزب الوحيد الذى مازال يدعمه هو حزب « جيرينوفسكى » القومى المتعصب والمؤيد لسياسة الحرب ، والذى وصف الشيشان بأنهم : « عبارة عن دمل ينبغى تنظيفه » وقال أيضاً : « إنه لو وكلت لى مهمة القيادة لتحولت (جروزنى) إلى حفرة من القذائف لايتحرك فيها أى كلب » .

---

(٦٦) المرجع السابق .

ونقلت عن المعارضة مطالبتها باستقالة وزير الدفاع «بافل جرانشيف» ، واتهمته بالعجز وعدم الكفاءة العسكرية والفساد ، ووجهت إليه تهمة توريط يلتسين فى هذه الحرب القذرة .

وعكس الإعلام الغربى بشكل عام تصدع الجبهة الداخلية الروسية مظهراً عدم وجود إجماع روسى شعبى أو حزبى أو برلمانى لهذه المغامرة ، وتحدثت عن وجود أسلوب آخر لحل النزاع غير الآلة العسكرية .

وبعد حوالى شهرين أو أكثر على اندلاع حرب الشيشان بات من الواضح أن يلتسين خسر الحرب الإعلامية ، هذا رغم ما سجله من نقاط على أرض المعركة ودخول قواته العاصمة الشيشانية واحتلال القصر الجمهورى (رمز المقاومة الشيشانية) ، ومالحق من تدمير للعاصمة وتشريد أهلها وسقوط معظم أحيائها[٦٧] .

لقد تعاطف الإعلام العالمى بصفة عامة والإعلام الغربى بصفة خاصة ضد سياسة التدمير والحرب والإبادة ويمكن تحديد العوامل التى ساعدت على هذا التعاطف العالمى[٦٨]فيما يلى :

١ ـ أنها حرب القوى ضد الضعيف (عدم تكافؤ القوى) .

٢ ـ أنها حرب دفاعية لشعب صغير ضد عدوان روسى (دولة كبرى) .

٣ ـ بسالة المقاومة الشيشانية رغم قلة عددها وعتادها .

٤ ـ حسن معاملتهم للجالية الروسية والأسرى .

---

(٦٧)،(٦٨) محمود الليدى مرجع سابق ، الشرق الأوسط ١٩٩٥/٢/٢٣م .

٥ ـ تصدع الجبهة الداخلية الروسية ووقوف القوى الديمقراطية ضد سياسة الحرب .

٦ ـ استقالة بعض الجنرالات الذين شككوا بجدوى الحرب .

٧ ـ هروب الجنود الروس من الخدمة ورفضهم إطلاق النار على المدنيين .

٨ ـ تظاهر الأهالى وأمهات الجنود القلقين على أولادهم .

مما تقدم يتضح لنا أن الكفاح الشيشانى من أجل الاستقلال حقق مكسبا إعلاميا ملحوظا وشرعية إعلامية عالمية ، مع أنه مازال بعيداً عن الشرعية السياسية .

المبحث الخامس

المشكلة الشيشانية فى اطار القانون الدولى

القانون الدولى يفرض على جميع الأعضاء فى الأمم المتحدة واجبات قانونية مقابل حقوقها الأساسية كدول ، ومن أهم هذه الواجبات ذات العلاقة بالأزمة الشيشانية ما يلى :

١ ـ مراعاة أحكام القانون الدولى فى علاقة كل دولة بغيرها .

٢ ـ الامتناع عن التدخل فى شئون الدول الأخرى .

٣ ـ معاملة جميع رعايا الدول على أساس احترام حقوق الإنسان دون تميز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ويعتبر هذا الواجب وفقاً للفقرة (٣) من المادة الأولى من الميثاق من الأهداف الأساسية التى قامت من أجلها الهيئة الدولية ، والعمل على اتخاذ جميع الإجراءات للوصول إلى تحقيق هذه الرسالة بواسطة التعاون الدولى .

ومواقف الدول الغربية ، وأمريكا بصورة خاصة من الأزمة الشيشانية يظهر منها اعتبار التدخل العسكرى الروسى فى هذه الجمهوريات «شأنا داخليا روسيا» ، على الرغم من أن عمليات الجيش الروسى فى الشيشان على حد تصريح وزير الخارجية التشيكى تتجاوز حدود ما يمكن القبول بأنه يدخل فى إطار المجال المشروع للشئون الداخلية[٦٩] .

---

(٦٩) د.بدرية عبدالله العوضى، «خطورة الازدواجية فى تطبيق مبدأ عدم التدخل فى الأزمة الشيشانية» ، الشرق الأوسط ـ ١٩٩٥/١/٢٤ .

العلاقة القانونية بين الشيشان والاتحاد الروسى :

يمكن القول بأن هناك اتجاهين لتكييف العلاقة بين الشيشان والاتحاد الروسى .

الاتجاه الأول : أن الشيشان جزء لا يتجزأ من الاتحاد الروسى[٧٠].

تقوم هذه النظرية على افتراض أن الاتحاد الروسى يضم عدداً كبيراً من الوحدات المكونة له ، والتى تتمتع فى إطار هذا الاتحاد بمراكز قانونية مختلفة . وأنصار هذه النظرية يرون أن وجود الشيشان فى جسم الاتحاد الروسى فى المراحل التاريخية الثلاث القيصرية والشيوعية والحالية قد جعل وجود الشيشان فى الاتحاد حقيقة قانونية وواقعية وأن من حق السلطة المركزية فى موسكو أن تحافظ على وحدة الاتحاد وأن أى خروج على الوحدة يقتضى تطبيق القانون الروسى ، وأن حركة الاستقلال فى الشيشان لم تصل فى نظر هذا الفريق لدرجة الثوار أو مرتبة المحاربين ، وإنما هم متمردون خارجون على سلطان القانون .

كما يرى أنصار هذه النظرية أن وحدة الدولة واستمرارها وبقاءها مقدمة على كافة الاعتبارات الأخرى ، وأنه المبدأ الأول الأولى بالاحترام بين سائر مبادىء القانون الدولى .

كما يضيف هذا الفريق حجة أخرى ، وهى أن روسيا الاتحادية قد ورثت الاتحاد السوفيتى السابق وراثة كاملة ، وهذه الوراثة فى نظرهم

(٧٠) د. عبدالله الأشعل ، «الجوانب القانونية للصراع فى الشيشان» ، ندوة : أحرار الشيشان والدب الروسى ، ص ١٠٠ ـ ١٠١.

تصحيح أى خطأ فى العلاقة بين الشيشان والاتحاد الروسى ، بل إن سلطة الاتحاد الروسى فى إطار نظرية التوارث على الشيشان أكثر وضوحاً وأهمية من علاقة هذا الاتحاد بسائر الجمهوريات السوفيتية المستقلة من حيث إن الأخيرة كانت تقف على قدم المساواة مع الاتحاد الروسى داخل الاتحاد السوفيتى بينما يعتبر الشيشان مكونا داخليا للاتحاد الروسى بصرف النظر عن مصير الجمهوريات السوفيتية السابقة الأخرى .

الاتجاه الثانى ـ حق تقرير المصير لشعب الشيشان :

يرى هذا الاتجاه أن شعب الشيشان يختلف عن بقية شعوب الاتحاد الروسى اختلافاً حاسماً فى الدين ، والعرق ، واللغة ، والثقافة ، والتاريخ ، والمزاج .

وبذلك فإن الشيشان لم تكن راضية فى يوم من الأيام عن وجودها غصباً داخل الاتحاد الروسى القيصرى ، والسوفيتى ، والحالى . وأن الشيشان قد ثارت مرات عديدة بل واستعصت على الغزو منذ البداية مما سجلته صفحات التاريخ الدامى بين الروس والشيشان ، ولم تحل سياسات موسكو فى اقتلاع أصل الشيشان من بلادهم وتوزيعهم فى أركان الإمبراطورية الروسية دون استمرار روح الأمة والتماسك والإصرار على المحافظة على حريتهم المتميزة .

وتلك حقيقة يعرفها الروس قبل غيرهم كما يعرف الروس أن وجود الشيشان فى الجسم الروسى وجود مغصوب ، وليس له أى سند

قانونى . كما أنه من المعلوم أن الاتحادات تقوم على أساس الرضا والقبول بين أطرافها ، وهو ما لم يحدث فى العلاقة بين الشيشان والروس[٧١] ، ولذلك فإن إعلان داوديف للاستقلال عام ١٩٩١م كان موجها للاتحاد السوفيتى ولروسيا الاتحادية فى وقت واحد ، وهو بمثابة إسترداد لوضع كان يجب أن يستمر دون ضغط أو إكراه ، كما أن الشيشان لم تقبل المعاهدة التى عرضها الرئيس «يلتسين» فى مارس ١٩٩٢ لإقامة اتحاد جديد بين (٨٨) وحدة سياسية داخل الاتحاد منها (٢١) جمهورية منحتها الاتفاقية مزيداً من الحرية . وقد تم التوقيع على هذه المعاهدة فى فبراير ١٩٩٤م من جانب هذه الوحدات ، ولم توقع عليها جمهورية الشيشان .

وإذا كانت المادة (٦٥) من الدستور الروسى تجيز الانفصال بموافقة ثلاثة أرباع المجلس الأعلى وثلثى المجلس الأدنى فى البرلمان فمن الواضح أن البرلمان الروسى الذى استنكر الغزو لن يوافق على الانفصال تحت أى ظرف من الظروف[٧٢].

ويرى الدكتور عبدالله الأشعل أن هذا النص الدستورى لا ينطبق على حالة الشيشان لأنها لم تنضم لمعاهدة الاتحاد ؛ وبذلك لا يجوز القول بأنه كان يتعين على الشيشان أن يطلب استقلاله بالطرق

---

(٧١) انظر : عبدالله الأشعل ، مرجع سابق .

(٧٢) انظر : د. عبدالله الأشعل ، ص ١٠١ ، وانظر أيضا : رضا محمد لاى فى «اتحاد القاتل والمقتول .. شريعة موسكو» ، الشرق الأوسط ٢٨/١٢/١٩٩٤م.

الدستورية فى البرلمان . وسوف يترتب على ما تقدم أن شعب الشيشان من الناحية الاجتماعية والقانونية اختار فى استفتاء رئاسى الاستقلال ورئيس الجمهورية فى وقت واحد وهو بذلك يعداستفتاء على حق تقرير المصير ومن ثم يعد الغزو الروسى للشيشان عدواناً وليس عملًا روسياً داخلياً ، تماماً مثلما اعتبر استيلاء الاتحاد السوفيتى على فنلندا فى الثلاثينيات عدواناً أدى إلى طرد الاتحاد السوفيتى من عصبة الأمم[73].

التدخل فى الشئون الداخلية للدول

ا ـ القاعدة العامة فى رأى غالبية فقهاء القانون الدولى التقليدى :

إن التدخل فى الشئون الداخلية للدول يعد عملًا غير مشروع ، وإن كانت هناك حالات أجاز فيها بعض فقهاء القانون الدولى التدخل على أسس إنسانية وسياسية واقتصادية . فى حين أجازت المادة (١٦) من ميثاق عصبة الأمم ، والمادتان (٤١) ، (٤٢) من ميثاق الأمم المتحدة التدخل فى الشئون الداخلية للدول من أجل حفظ السلام والأمن الدوليين[74].

ب ـ ومن الاتجاهات الحديثة فى القانون الدولى عدم الاكتراث بمبدأ عدم التدخل : حفاظاً على حقوق الإنسان عندما تسيء دولة ما معاملة الأقليات الدينية والعرقية .

---

(٧٣) انظر : عبدالله الأشعل ، مرجع سابق ، ص ١٠٢ .

(٧٤) انظر : د. بدرية العوضى ، مرجع سابق ، الشرق الأوسط ١٩٩٥/١/٢٤ .

ـ وهذا الاتجاه أخذت به الحكومة الأمريكية فى عهد الرئيس «جيمى كارتر» فى عام ١٩٧٧ م ، وتم تطبيقه فى عهد الرئيس «جورج بوش» فى عام ١٩٩١ فى ظل نظام المناطق الآمنة لحماية الأكراد من عمليات الإبادة والقمع من قبل النظام العراقى ، وتؤيد دول المجموعة الأوربية الإدارة الأمريكية فى هذا الخصوص .

ويتفق بعض فقهاء القانون الدولى مع هذا الاتجاه[٧٥].

ـ كما قامت الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية بالتدخل فى الأمور التى تعد من صميم الشئون الداخلية وتحت مظلة منظمة الأمم المتحدة تحت شعار الدفاع عن حقوق الإنسان والديمقراطية فى بعض الحالات الفردية ، أو الدفاع عن حقوق الأقليات ولم تصل الأمور إلى استخدام القوة العسكرية ، والقضاء على شعب بأكمله له هويته الخاصة وتاريخه السياسى منذ مئات السنين كما يحصل الآن بالنسبة للشعب الشيشانى وأمثلة ذلك :

ـ استنكار وإدانة أمريكا والدول الغربية قيام الحكومة الصينية بقمع ثورة الطلبة فى الصين باستخدام القوة فى عام ١٩٨٩م على أساس انها انتهكت حقوق الإنسان ، وفرضت الولايات المتحدة على الصين بعض القيود الاقتصادية والسياسة لإلزامها باحترام حقوق الإنسان .

ـ التدخل من خلال ممارسة الضغوط الاقتصادية والسياسية للدفاع دون تحفظ على بعض الدول عن حقوق الصحفيين والكتاب المضطهدين فى بريطانيا وبعض الدول .

---

(٧٥) انظر : المرجع السابق .

ـ توفير الدول الغربية للحماية الدولية للكاتبة البنجلاديشية «تسليمه نسرين» فى عام ١٩٩٤م دفاعاً عن حق الإنسان فى حرية التعبير عن الرأى .

ـ التدخل السياسى فى الاتحاد السوفيتى «سابقاً» لحماية الأقلية اليهودية وتقديم المساعدات الإنسانية والمادية لتهجير اليهود من اليمن وأثيوبيا إلى اسرائيل .

ـ ممارسة أمريكا والغرب للضغوط السياسة والاقتصادية على السودان ، وإيران احتجاجاً على عدم احترام حقوق الإنسان فى دولهم ، والادعاء بمساعدة الإرهاب فى دول العالم[٧٦].

وبلوغ السلام والاستقرار فى عالم اليوم لا يأتى باستخدام القوة بل بانتهاج سبيل التعاون داخل حدود الدولة المعنية من جهة ، والساعين إلى الاستقلال الذاتى والانفصال ، بحيث يجرى احتواء المطالبة بتقرير المصير عبر أشكال جديدة من الكونفدرالية أو الكومنولث ، وأن بلورة هذه الآليات الخاصة بهذه الاشكال التعاونية هى المشكلة الكبرى ليس فى روسيا بل فى أصقاع كثيرة من العالم .

وما لم تأخذ الأمم المتحدة ، وكذلك مؤتمر التعاون والأمن الأوروبى ، هذا الموضوع باعتباره الموضوع الأكثر إلحاحاً ، فإن هاتين المنظمتين ستتحولان إلى نسخة جديدة مطابقة لعصبة الأمم الفاشلة ، وسيتحول العالم كله إلى ميدان واحد لمعركة ضخمة[٧٧].

---

(٧٦) انظر : المرجع السابق .

(٧٧) انظر : يليان جونر ، «حرب الشيشان : يلتسين عبر الحدود عائداً إلى الدولة البوليسية» ، الشرق الأوسط ١٩٩٥/١/٧ .

ـ الصراع فى إطار القانون الدولى الإنسانى :

ليس هناك تناسب بين مستوى العنف المستخدم من جانب موسكو فى الصراع وبين الهدف المعلن حتى لو سلمنا بشرعيته ، فضلًا عن درجة الوحشية التى اتسم بها السلوك الروسى فى الشيشان .

فإذا كان المسلك الروسى يشكل لدينا عدوانا على شعب أعزل لا يرجو سوى حياة مستقلة هادئة فيكون جهاد الشيشان دفاعاً شرعياً عن النفس ويستحق العدوان الروسى أبلغ مواقف الانكار والإستنكار . ولولا ما يأمله الغرب من النظام الحاكم فى موسكو لسارع الغرب إلى اتخاذ إجراءات صارمة فردية وجماعية ضد موسكو . وعلى أية حال يتعين أن تطبق أحكام جنيف بوصفه صراعاً مسلحاً أسفر عن ضحايا قتلى وجرحى للعمليات الحربية . بل إن موسكو تقوم بعملية إبادة للجنس يتعين أن يتخذ موقف دولى ضدها . ولكن لسوء الحظ فإن روسيا صاحبة مقعد دائم فى مجلس الأمن ومراعاتها عند الغرب أولى من مراعاة ضحايا سلوكها فى الشيشان(٧٨) .

الوسائل العسكرية ليست الحل الحكيم أو الأخلاق للنزاعات السياسية ، وبوريس يلتسين انتهك مبادىء واتفاقات احترام حقوق الإنسان والتسوية السلمية للنزاعات التى وقعت عليها روسيا فى إطار منظمة الأمن والتعاون الأوربى والتى تضم ٥٣ دولة .

وفى الموقف الروسى الكثير من التميز العنصرى والدينى ، وأحداث الشيشان تذكر بأحداث آذربيجان عام ١٩٩٠ م عندما استخدم

(٧٨) د. عبدالله الأشعل ، مرجع سابق ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

« ميخائيل جورباتشوف » القوة العسكرية ضد آذربيجان ، والدبلوماسية الرقيقة فى البلطيق . فأهالى البلطيق من العرق الأبيض الأقرب إلى الروس وتحميهم الكنيسة ، بينما أهالى القوقاز عالم « متخلف » أسود البشرة ومسلم[٧٩].

كما أن الموقف الرسمى للولايات المتحدة الأمريكية ، والدول الغربية من التدخل العسكرى الروسى فى جمهورية الشيشان ، والذى يشكل تحيزاً سافراً من جانب هذه الدول « للاتحاد الروسى » على اعتبار أن حق تقرير المصير لشعوب القوقاز المكون للاتحاد الروسى ليست من الأولويات السياسية الغربية والأمريكية ، ولا تشكل تهديداً لأمنها القومى ولكن الواضح أنه تكتيك سياسى للقضاء على الهوية الإسلامية ضمن إطار الحملة الغربية على الإسلام فى الجمهوريات المسلمة فى الاتحاد الروسى استناداً على مبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية للاتحاد الروسى ، والتى تتفق فى نهاية الأمر مع المصالح السياسية والعسكرية للدول الغربية والولايات المتحدة على المدى البعيد[٨٠].

---

(٧٩) انظر : رغدة درغام ، « يلتسين فى الفخ الشيشانى » ، الحياة ١٩٩٥/١/٦م.

(٨٠) انظر : د. بدرية عبدالله العوضى ، مرجع سابق ، الشرق الأوسط ١٩٩٥/١/٢٤ .

خاتمة الكتاب :

فى أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتى ، أصبحت الجمهوريات الاتحادية مستقلة ، ويربطها إطار للتعاون السياسى والاقتصادى والعسكرى يسمي «الكومنولث» .

ومن هذه الجمهوريات الاتحادية جمهورية روسيا الاتحادية ، والتى تضم بداخلها حوالى ٢٠ مليون مسلم يتركزون فى كل من : حوض الفولجا ، وسيبيريا ، وشمال القوقاز . وجمهورية الشيشان والأنجوس جمهورية ذات حكم ذاتى فى روسيا الاتحادية ، ويبلغ عدد سكانها ١,٣ مليون نسمة (٦٠٪ تقريبا شيشان ، ١٢٪ تقريبا أنجوش ، والباق روس واوكران) ومساحتها ١٩٦٠٠ كم٢ .

وأعلنت جمهورية الشيشان استقلالها عن روسيا بعد انتخابات برلمانية ورئاسية تعبر عن إرادة الشعب الشيشانى . كما أن هناك جمهوريات أخرى فى حوض نهر الفولجا كتتارستان ، وبشكيرستان حصلت من روسيا فى إطار مفاوضات سلمية على احتفاظها ببعض عوائد الموارد الاقتصادية من أراضيها ، وإبراز هويتها وثقافتها ، لكن يلتمس استخدم القوة العسكرية مع الشيشان ، لماذا ؟ ويرجع ذلك إلى :

أولا :ــ أهمية جهورية الشيشان :

١ ـ الأهمية الجيواستراتيجية :

ا ـ جمهورية الشيشان تقع على السفوح الشمالية لجبال القوقاز ، وجبال القوقاز هى الحد الفاصل بين الحضارة الإسلامية والحضارة

الأوروبية . وتفصل روسيا عن إيران وتركيا اللتين وقفتا ضد التوسع الروسى ، ومنع روسيا من الوصول إلى المياه الدافئة .

ب ـ الشيشان تتحكم فى خطوط المواصلات التى تربط روسيا بالقوقاز البعيد (آذربيجان ، وجورجيا ..) .

٢ ـ الأهمية الاقتصادية :

يوجد احتياطى ضخم من البترول تستثمره روسيا ، وتضغط به على الجمهوريات الاتحادية الأخرى فى الاتحاد الروسى السابق .

٣ ـ الأهمية الثقافية والحضارية :

الشخصية الشيشانية هى تفاعل لعدة عوامل (البيئة والعقيدة والخبرة التاريخية) :

الشيشان من أقدم الشعوب التى عاشت فى شمال القوقاز الجبلية المغطاة بغابات أشجار الزان ويمتاز الشيشان بالجمال والطول والنحافة ، وهذه مؤهلات تساهم فى تقوية الشخصية فضلا عن البديهة الحاضرة ، وكرم الضيافة ، والشجاعة ، وهذا فى ذاته يولد غيرة وحسد فى من يملك صفة واحدة ، ومن الشيشان خرج الشيخ منصور أول من رفع راية الجهاد المقدس ضد التوسع الروسى . ثم ظهرت المريدية كحركة «صوفية» إسلامية تعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية ومقاومة التوسع الروسى ومن أبرز قادتها الشيخ شامل الذى وحد أجزاء كبيرة من شمال القوقاز وسعى الجنرال داوديف للاستقلال عن روسيا وتوحيد شمال القوقاز كأسلافه . الأمر الذى جعل الروس يشوهون صورة هذا الشعب ورموزه حتى يفقدوا الاحترام والمصداقية ، ووصف الشيشان

والجنرال دواديف بالمافيا وتجار المخدرات ، وأنه زعيم عصابة ليس ببعيد .

ا ـ **البيئة** : المناطق الجبلية المغطاة بغابات أشجار الزان كانت حصنا طبيعيا يساعد على المقاومة ، وملاذا للاختفاء عن العدو وقت الضرورة . حتى أن «جون بادلى» قال : «الذى هزم الشيشان فى حربها ضد روسيا البلطة وليس السيف» ؛ لأن قطع أشجار الغابة يفقدها صفتى الحصن و الملاذ ؛ ولذا كان إدراك الشيخ شامل لهذه الميزة فمنع قطع أشجار الغابة .. وإذا استلزم الأمر فبإذن منه شخصيا .

ب ـ **العقيدة** : دخل الإسلام فى القوقاز على ثلاث مراحل ، الأولى مع الفتوحات الإسلامية الأولى ، والثانية على يد تيمور لنك ، والثالثة على يد الطرق الصوفية فى عهد الدولة العثمانية وخاصة النقشبندية وساهم الإسلام فى صقل وبلورة الشخصية الشيشانية الفريدة والتى تجسدت فى المريدية كحركة صوفية إسلامية تعمل على تطبيق مبادىء الشريعة الإسلامية وتعلم اللغة العربية ، ورفض الخضوع للروس ومقاومتهم مما أفشل المخطط القيصرى بالسيطرة على العالم الإسلامى عبر تركيا وإيران ، والوصول للمياه الدافئة .

ج ـ **الخبرة التاريخية** : رفض كل عمليات «الروسنة والسفيتة» عن طريق المقاومة العسكرية (الجهاد) ، وحتى بعد إخضاعهم لم تهدأ الثورات ضد روسيا ، وظل الإسلام مركوزاً فى أعماقهم إلى ان تفجر فى صورة صحوة إسلامية تقودها الطريقة النقشبندية ، ويظهر ذلك من المصطلحات التى نقلتها وسائل الإعلام الغربية والعربية «النصر أو

الشهادة» ، «الله أكبر الله اكبر» «القسم على المصحف» ، إعادة فتح المساجد ، وإقامة المعاهد التى تدرس علوم الشريعة الإسلامية ، ووصف من يقاومون القوات الروسية بالمجاهدين .

ومن ناحية أخرى أدت عمليات النفى والتهجير فى العهد الشيوعى إلى حالة من الاغتراب المأسوى ، وأججته محاولات الروس طمس معالم الأمة الشيشانية بذكرها كل قوميات شمال القوقاز عدا الشيشان وإختزال جمهورية الجبل (شمال القوقاز) إلى جمهورية الشيشان والأنجوش ، ثم إقليم جروزنى ، والإساءة إلى شامل والمريدية كحركة تحررية ثورية ويثبت ذلك ما ورد فى الطبعة الأولى والثانية للموسوعة السوفيتية الكبرى .

هذا فضلا عن الطموح السياسى للشيشان بإقامة وحدة فى شمال القوقاز ، وهم أكثر تأهيلا من غيرهم لتجانسهم عرقيا ولغويا ، كما أن الشيخ شاملا استقوى بهم لوحدة شمال القوقاز بعد أن تخلى بعض الداغستانيين عنه ، ومحاولة جوهر داوديف إقامة هذه الوحدة بعد إعلانه الاستقلال عن روسيا الاتحادية .

إذن الخبرة التاريخية المركوزة فى أعماق الشيشان تعظم عوامل الانفصال والخروج عن سيطرة موسكو ، ويعكس ذلك أيضاً شراسة المقاومة الشيشانية فى العمليات العسكرية .

كل هذا له دلالاته عند روسيا التى تحاول عودة أمجاد الإمبراطورية القيصرية ، والاتحاد السوفيتى السابق ، وعبر عن ذلك «فلاديمير جيرينوفسكى» زعيم اليمين المتطرف . والذى يسعى لتوحيد العالم

المسيحى فى القدس واستعادة القسطنيطنية (استطنبول حاليا) ، وإهلاك الحضارة الإسلامية ، وتفتيت تركيا ، وإيران ، وأفغانستان لتسود اللغة الروسية ، والروبل أى إحلال الحضارة المسيحية الأرثوذكسية بدلا من الإسلام .

ثانيا :ـ القوى الغربية والصهيونية :

تعمل القوى الغربية والصهيونية على تقليص دور روسياوفى نفس الوقت تقوم بدور الوكيل عنها على النحو التالى :

ا ـ تفكيك روسيا : وهذا لايتم إلا من خلال إصطدامها مع أوكرانيا أو إحدى المناطق داخلها .

ب ـ قيام روسيا بدور الوكيل عن الغرب فى منع قيام كيان إسلامى قوى يملأ الفراغ الأيدولوجى الذى خلفه انهيار الاتحاد السوفيتى .

ثالثا : ظهور ثلاثة توجهات سياسية فى أعقاب إنهيار الاتحاد السوفيتى :

الأول ـ ويمثله «جيرنيوفسكى» للسيطرة على الجنوب (تركيا ، إيران ، أفغانستان) واهلاك الحضارة الإسلامية ، وهذا الاتجاه حصل على ٢٤٪ من أصوات الناخبين ، عام ١٩٩٣م ، ويقوم بالضغط على يلتسين لقمع الاستقلال فى الشيشان .

الثانى : ويمثله «سولجتنسين» منح الجمهوريات الإسلامية استقلالها وتكوين اتحاد روسى سلافى من روسيا ، وأوكرانيا ، وروسيا البيضاء ، والتحالف مع العالم الإسلامى إذا أرادت موسكو أن يكون القرن الحادى والعشرين قرنا روسيا .

الثالث : ويمثله المستشار السياسى للاتحاد الروسى ، ويرى أن تكون روسيا نقطة التقاء وتجمع للحضارة الأوروبية ، والحضارة الإسلامية التركية ، باعتبار أن ذلك هو الرسالة التاريخية لروسيا .

رابعاً : المهانة التى تعرضت لها روسيا من الغرب ومعاملتها كدولة من الدرجة الثانية ومحاولة الغرب فرض سيطرته على التوجهات السياسية والعكسرية والاقتصادية لروسيا والمتمثلة فى كل من مشكلة البوسنة والهرسك والمشكلة العراقية ، وحدود حلف شمال الأطلنطى ، ومنعها من التدخل العسكرى فى دول الجوار القريب والجمهوريات السابقة فى الاتحاد السوفيتى .

خامساً : فضلا عن فشل الإصلاح الاقتصادى ، والانهيار الأمنى ، والمشاكل الداخلية ، والاتهامات الموجهة لقيادة للجيش بالفساد وبيع الأسلحة حتى النووية لذ رأت القيادة السياسية الروسية القيام بحرب إبادة وتدمير شامل للشيشان لتحقق بذلك عدة أهداف :

١ ـ إشغال مواطنى روسيا الاتحادية بمشكلة خارجية لشغلهم عن توجيه النقد للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المنهارة فى روسيا .

٢ ـ توجيه رسالة فورية للولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية التى تحاول الحد من توجهات روسيا للعودة مرة أخرى كقوة عظمى بأن يد روسيا مازالت قوية ولن تتوانى عن استخدام القوة العسكرية إذا لزم الأمر .

٣ ـ وكذلك توجيه رسالة إلى القوميات التى تفكر فى الانفصال بأن هذا مصيرها ، وإلى الجمهوريات السابقة فى الاتحاد السوفيتى ، ودول أوروبا الشرقية حتى لاتخرج عن الخط الذى تريده موسكو ومنعها من الأنضمام لحلف الأطلنطى .

ويعكس قوة هذه الرسالة ضخامة حجم القوة العسكرية المستخدمة ضد الشيشان والتى تتراوح بين ٦٠ ـ ٨٠ ألف جندى ، وألف دبابة غير الطيران ، كما أن طول المقاومة الشيشانية يعكس هو الآخر أن المقاومة ليست لزعيم عصابة بل لشعب يسعى من أجل الحرية والاستقلال فى إطار هوية تستمد جذورها من مبادى الشريعة الإسلامية مما أدى إلى تعاطف وسائل الإعلام الغربية مع الشيشان على عكس مواقف الدول الغربية الرسمية ، والتى ترى أن هذا شأن داخلى لايجب التدخل فيه طالما أنه يتوافق مع استراتيجيتها التى تهدف إلى تفكيك روسيا ، ومنع قيام كيان إسلامى قوى فى هذه المنطقة .

فهرس

